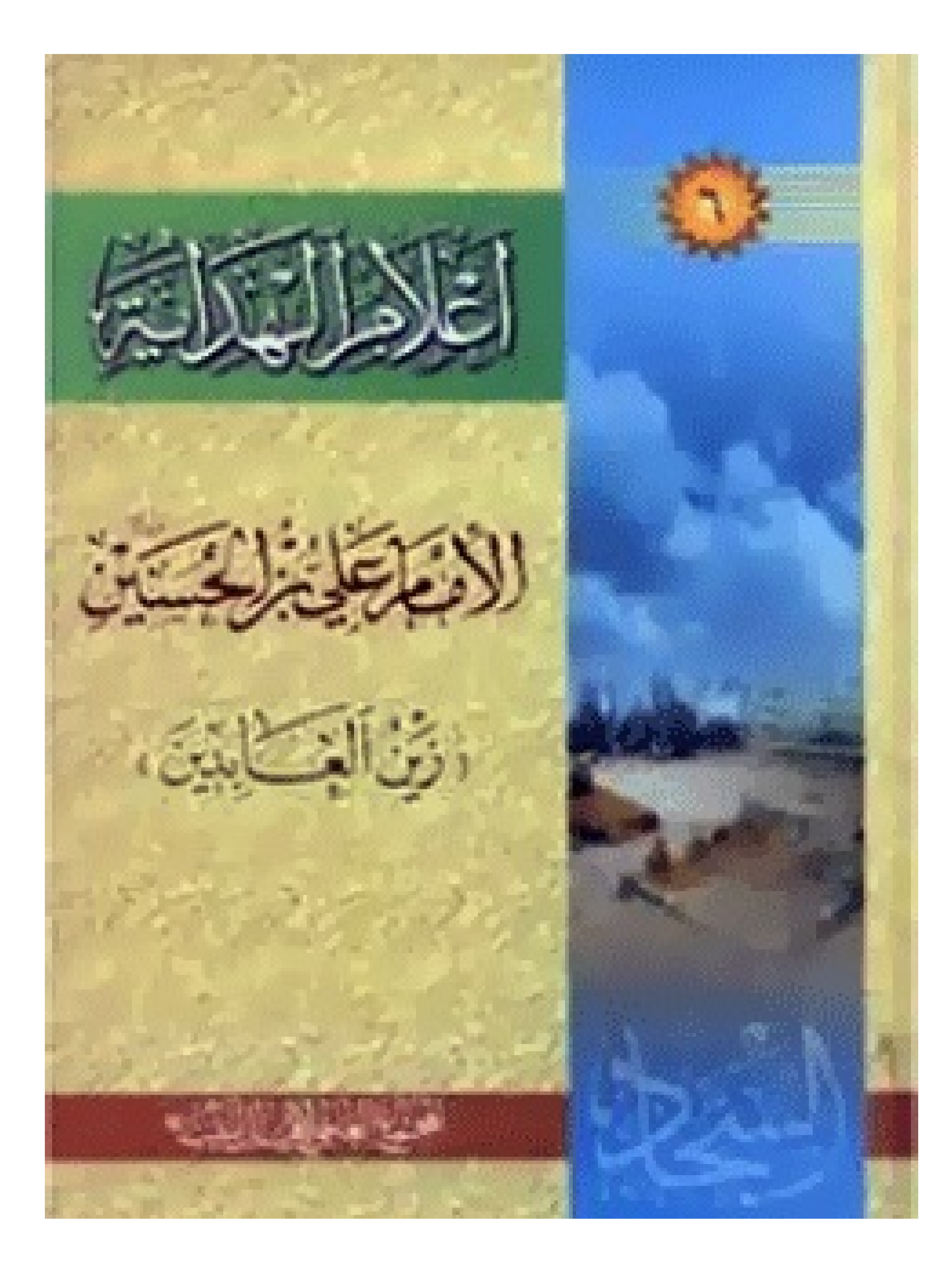


٦
أعلام الهداية
الإمام علي بن الحسين
زين العابدين
السجاد


بسم الله الرحمن الرحیم

اعلام الهدایهٔ (الإمام علی بن الحسین زین العابدین) علیهما السلام

کاتب:

لجنهٔ التالیف

نشرت فی الطباعهٔ:

المطبعهٔ لیلی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

اعلام الهداية (الإمام على بن الحسين زين العابدين) عليهما السلام

اشارة

المؤلف: لجنة التأليف

الكمية: ۵۰۰۰ نسخة

الطبعة: الاولى\par طبع فى سنة: ۱۴۲۲\par المطبعة: ليلى

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى أعطى كلّ شىء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداةً لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء وسيّد الرسل والأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله) وعلى آله الميامين النجباء. لقد خلق الله الانسان وزوّده بعنصرى العقل والإرادة، فبالعقل يبصر ويكتشف الحقّ ويميّزه عن الباطل، وبالإرادة يختار ما يراه صالحاً له ومحقّقاً لأغراضه وأهدافه. وقد جعل الله العقل المميِّز حجةً له على خلقه، وأعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنّه هو الذى علّم الإنسان ما لم يعلم، وأرشده إلى طريق كماله اللائق به، وعرّفه الغاية التى خلقه من أجلها، وجاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها. وأوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية وآفاقها ومستلزماتها وطرقها، كما بيّن لنا عللها وأسبابها من جهة، وأسفر عن ثمارها ونتائجها من جهة اُخرى. قال تعالى: [صفحه ۸] (قُلْ إنّ هُدى الله هو الهُدى) [الأنعام (۶): ۷۱]. (والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) [البقرة (۲): ۲۱۳]. (والله يقول الحقّ وهو يهدى السبيل) [الأحزاب (۳۳): ۴]. (ومن يعتصم بالله فقد هُدى إلى صراط مستقيم) [آل عمران (۳): ۱۰۱]. (قل الله يهدى للحقّ أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتّبع أ مّن لا يهدّى إلاّ أن يُهدى فمالكم كيف تحكمون)[يونس (۱۰): ۳۵]. (ويرى الذين اُوتوا العلم الذى اُنزل اليك من ربّك هو الحقّ ويهدى إلى صراط العزيز الحميد) [سبأ (۳۴): ۶]. (ومن أضلّ ممن اتّبع هواه بغير هدىً من الله) [القصص (۲۸): ۵۰]. فالله تعالى هو مصدر الهداية. وهدايته هى الهداية الحقيقية، وهو الذى يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم وإلى الحقّ القويم. وهذه الحقائق يؤيدها العلم ويدركها العلماء ويخضعون لها بملء وجودهم. ولقد أودع الله فى فطرة الانسان النزوع إلى الكمال والجمال ثمّ مَنّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، وأسبغ عليه نعمة التعرّف على طريق الكمال، ومن هنا قال تعالى: (وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلاّ ليعبدونِ)[الذاريات (۵۱): ۵۶]. وحيث لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة؛ إذ كانت المعرفة والعبادة طريقاً منحصراً وهدفاً وغايةً موصلةً إلى قمّة الكمال. وبعد أن زوّد الله الانسان بطاقتى الغضب والشهوة ليحقّق له وقود الحركة نحو الكمال؛ لم يؤمَن عليه من سيطرة الغضب والشهوة والهوى الناشئ منهما، والملازم لهما. فمن هنا احتاج الانسان ـ بالإضافة إلى عقله وسائر [صفحه ۹] أدوات المعرفة ـ الى ما يضمن له سلامة البصيرة والرؤية؛ كى تتمّ عليه الحجّة، وتكمل نعمة الهداية، وتتوفّر لديه كلّ الأسباب التى تجعله يختار طريق الخير والسعادة، أو طريق الشرّ والشقاء بملء إرادته. ومن هنا اقتضت سُنّة الهداية الربّانية أن يُسند عقل الانسان عن طريق الوحى الإلهى، ومن خلال الهداة الذين اختارهم الله لتولّى مسؤولية هداية العباد وذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة وإعطاء الارشادات اللازمة لكلّ مرافق الحياة. وقد حمل الأنبياء وأوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ وعلى مدى العصور والقرون، ولم يترك الله عباده مهملين دون حجة هادية وعلم مرشد ونور مُضىء، كما أفصحت نصوص الوحى ـ مؤيّدةً لدلائل العقل ـ بأنّ الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه، لئلّا يكون للناس على الله حجّة، فالحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق، ولو لم يبق فى الأرض إلاّ اثنان لكان أحدهما الحجّة، وصرّح القرآن ـ بشكل لا يقبل الريب ـ قائلاً: (إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد)[الرعد (۱۳): ۷]. ويتولّى أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم الهداة المهديّون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، والتى تتلخّص فى: ۱ ـ تلقّى الوحى بشكل كامل واستيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة. وهذه

المرحلة تتطلّب الاستعداد التام لتلقّى الرسالة، ومن هنا يكون الاصطفاء الإلهى لرسله شأناً من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلاً: (الله أعلم حيث يجعل رسالته) [الانعام (۶):۱۲۴] و (الله يجتبى من رسله من يشاء)[آل عمران (۳):۱۷۹]. [صفحه ۱۰] ۲ ـ إبلاغ الرسالة الإلهية الى البشرية ولمن اُرسلوا إليه، ويتوقّف الإبلاغ على الكفاءة التامّة التى تتمثّل فى «الاستيعاب والإحاطة اللازمة» بتفاصيل الرسالة وأهدافها ومتطلّباتها، و «العصمة» عن الخطأ والانحراف معاً، قال تعالى: (كان الناسُ اُمّةً واحدةً فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتابَ بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)[البقرة (۲): ۲۱۳]. ۳ ـ تكوين اُمة مؤمنة بالرسالة الإلهية، وإعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها وتطبيق قوانينها فى الحياة، وقد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمّة مستخدمةً عنوانى التزكية والتعليم، قال تعالى: (يزكّيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمة) [الجمعة (۶۲): ۲] والتزكية هى التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. وتتطلّب التربية القدوة الصالحة التى تتمتّع بكلّ عناصر الكمال، كما قال تعالى: (لقد كان لكم فى رسول الله اُسوة حسنة) [الاحزاب:(۳۳): ۲۱]. ۴ ـ صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف والضياع فى الفترة المقرّرة لها، وهذه المهمة أيضاً تتطلّب الكفاءة العلمية والنفسية. والتى تسمى العصمة. ۵ ـ العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية وتثبيت القيم الأخلاقية فى نفوس الأفراد وأركان المجتمعات البشرية وذلك بتنفيذ الاُطروحة الربّانية، وتطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشرى من خلال تأسيس كيان سياسىٍّ يتولّى إدارة شؤون الاُمة على أساس الرسالة الربّانية للبشرية، ويتطلّب التنفيذ قيادةً حكيمةً، وشجاعةً فائقةً، وصموداً كبيراً، ومعرفةً تامةً بالنفوس وبطبقات المجتمع والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية وقوانين الإدارة والتربية وسنن الحياة، ونلخّصها فى الكفاءة العلمية لإدارة دولة عالمية دينية، هذا فضلاً عن العصمة التى تعبّر عن الكفاءة النفسية التى تصون القيادة [صفحه ۱۱] الدينية من كلّ سلوك منحرف أو عمل خاطى بإمكانه أن يؤثّر تأثيراً سلبيّاً على مسيرة القيادة وانقياد الاُمة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة وأغراضها. وقد سلك الأنبياء السابقون وأوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامى، واقتحموا سبيل التربية الشاقّ، وتحمّلوا فى سبيل أداء المهامّ الرسالية كلّ صعب، وقدّموا فى سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلّ ما يمكن أن يقدّمه الإنسان المتفانى فى مبدئه وعقيدته، ولم يتراجعوا لحظة، ولم يتلكّأوا طرفة عين. وقد توّج الله جهودهم وجهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) وحمّله الأمانة الكبرى ومسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالباً منه تحقيق أهدافها. وقد خطا الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) فى هذا الطريق الوعر خطوات مدهشة، وحقّق فى أقصر فترة زمنية أكبر نتاج ممكن فى حساب الدعوات التغييرية والرسالات الثورية، وكانت حصيلة جهاده وكدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلى: ۱ ـ تقديم رسالة كاملة للبشرية تحتوى على عناصر الديمومة والبقاء. ۲ ـ تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ والانحراف. ۳ ـ تكوين اُمة مسلمة تؤمن بالإسلام مبدأً، وبالرسول قائداً، وبالشريعة قانوناً للحياة. ۴ـ تأسيس دولة إسلامية وكيان سياسىٍّ يحمل لواء الإسلام ويطبّق شريعة السماء. ۵ ـ تقديم الوجه المشرق للقيادة الربّانية الحكيمة المتمثّلة فى قيادته (صلى الله عليه وآله). [صفحه ۱۲] ولتحقيق أهداف الرسالة بشكل كامل كان من الضرورى: أ ـ أن تستمرّ القيادة الكفوءة فى تطبيق الرسالة وصيانتها من أيدى العابثين الذين يتربّصون بها الدوائر. ب ـ أن تستمرّ عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربٍّ كفوء علمياً ونفسياً حيث يكون قدوة حسنة فى الخلق والسلوك كالرسول(صلى الله عليه وآله)، يستوعب الرسالة ويجسّدها فى كل حركاته وسكناته. ومن هنا كان التخطيط الإلهىّ يحتّم على الرسول (صلى الله عليه وآله) إعداد الصفوة من أهل بيته، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم؛ لتسلّم مقاليد الحركة النبويّة العظيمة والهداية الربّانية الخالدة بأمر من الله سبحانه وصيانة للرسالة الإلهية التى كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين، وتربية للأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التى تولّوا تبيين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها على مرّ العصور، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها. وتجلّى هذا التخطيط الربّانى فى ما نصّ عليه الرسول(صلى الله عليه وآله) بقوله: «إنّى تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتى، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض». وكان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرّفهم النبى الأكرم(صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تعالى لقيادة الاُ مّة من بعده. إنّ سيرة الأئمّة الاثنى عشر من أهل البيت (عليهم

السـلام) تمثّل المسيرة الواقعية للاسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله)، ودراسة حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركـة الاسـلام الأصـيل الـذى أخـذ يشقّ طريقه إلى أعماق الاُمـة بعـد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول (صـلى الله عليه وآله)، [صفحه ١٣] فأخـذ الأئمـة المعصومون (عليهم السـلام) يعملون على توعية الاُمة وتحريك طاقتها باتجاه إيجاد وتصـعيد الوعى الرسالىّ للشـريعة ولحركـة الرسول (صـلى الله عليه وآله) وثورته المباركـة، غير خارجين عن مسار السـنن الكونية التى تتحكّم فى سلوك القيادة والاُمـة جمعاء. وتبلورت حياة الأئمّة الراشدين فى استمرارهم على نهج الرسول العظيم وانفتاح الاُمة عليهم والتفاعـل معهم كأعلاـم للهدايـة ومصابيـح لإنـارة الـدرب للسـالكين المـؤمنين بقيـادتهم، فكـانوا هم الأدلاّـء على الله وعلى مرضـاته، والمسـتقرّين فى أمر الله، والتامّين فى محبّته، والـذائبين فى الشوق اليه، والسابقين إلى تسـلّق قمم الكمال الإنسانىّ المنشود. وقد حفلت حيـاتهم بـأنواع الجهـاد والصبر على طاعـة الله وتحمّل جفاء أهل الجفاء حتّى ضـربوا أعلى أمثلـة الصـمود لتنفيـذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذلّ، حتى فازوا بلقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم وجهاد كبير. ولا يستطيع المؤرّخون والكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايـا حيـاتهم العطرة ويـدّعوا دراسـتها بشـكل كامـل، ومن هنـا فإنّ محاولتنا هـذه إنّما هى إعطاء قبسات من حياتهم، ولقطات من سـيرتهم وسـلوكهم ومواقفهم التى دوّنها المؤرّخون واسـتطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة والتحقيق، عسـى الله أن ينفع بها إنّه ولىّ التوفيق. إنّ دراسـتنا لحركـة أهل البيت (عليهم السـلام) الرسالية تبدء برسول الإسـلام وخاتم الأنبياء محمد بن عبدالله (صـلى الله عليه وآله) وتنتهى بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن العسكرى المهدى المنتظر عجّل الله تعالى فرجه وأنار الأرض بعدله. [صفحه ١۴] ويختص هـذا الكتاب بدراسـة حياة الإمام علىّ بن الحسـين زين العابـدين (عليه السـلام) وهو المعصوم السادس من أعلام الهداية والرابع من الأئمة الأثنى عشـر بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) والذى جسّد الاسلام المحمّدى بكل أبعاده فى حياته الفردية والاجتماعية فى ظروف اجتماعية وسياسـية عصـيبة فحقق القيّم الاسلامية المُثلى فى الفكر والعقيدة والخلق والسلوك وكان نبراساً يشعّ ايمانـاً وطُهراً وبهـاءً للعـالَمين. ولاـ بـدَّ لنـا من تقـديم الشـكر الى كلّ الاخوة الأعزّاء الـذين بـذلوا جهـداً وافراً وشاركوا فى إنجاز هـذا المشـروع المبارك وإخراجه إلى عالم النور، لا سـيما أعضاء لجنـة التأليف بإشـراف سـماحة السـيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى. ولا يسعنا إلاّ أن نبتهل الى الله تعالى بالدعاء والشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعة المباركة فإنه حسبنا ونعم النصير. [صفحه ١٧]

الامام زين العابدين فى سطور

هو الإمام علىّ بن الحسـين (عليه السـلام) رابع أئمـة أهل البيت (عليهم السـلام)، وجـدّه الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب وصـىّ رسول الله(صـلى الله عليه وآله)، وأوّل من أسـلم وآمن برسالته، وكان منه بمنزلـة هارون من موسـى، كما صـحّ فى الحـديث عنه [١] . وجـدّته فاطمـة الزهراء بنت رسول الله(صـلى الله عليه وآله) وبضـعته، وفلذة كبده، وسـيّدة نساء العالمين كما كان أبوها يصـفها. وأبوه الإمام الحسـين (عليه السلام) أحد سيِّدَىْ شباب أهل الجنّة، سبط الرسول وريحانته ومن قال فيه جدّه(صلى الله عليه وآله): «حسين منّى وأنا من حسين»، وهو الذى استشهد فى كربلاء يوم عاشوراء دفاعاً عن الإسلام والمسلمين. وهو أحد الأئمّة الاثنى عشر (عليهم السلام) الذين نصّ عليهم النبىّ(صلى الله عليه وآله) كما جاء فى صحيحى البخارى ومسلم وغيرهما، إذ قال: «الخلفاء بعدى اثنا عشر كلّهم من قريش» [٢] . وقـد ولد الإمام علىّ بن الحسـين (عليهما السـلام) فى سـنة ثمان وثلاثين للهجرة، [صـفحه ١٨] وقيل قبل ذلك بسـنة أو سنتين. وعاش سـبعة وخمسـين سـنة تقريباً، قضـى ما يقارب سـنتين أو أربع منها فى كنف جدّه الإمام علىّ(عليه السلام)، ثمّ ترعرع فى مدرسة عمّه الحسن وأبيه الحسـين(عليهما السـلام) سبطى الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله)، وارتوى من نمير العلوم النبوية، واستقى من ينبوع أهل البيت الطاهرين. برز على الصـعيد العلمى إماماً فى الدين ومناراً فى العلم، ومرجعاً لأحكام الشريعة وعلومها، ومثلاً أعلى فى الورع والعبادة والتقوى، واعترف المسـلمون جميعاً بعلمه واسـتقامته وأفضـليّته، وانقـاد الواعون منهم إلى زعامته وفقهه ومرجعيّته. كان للمسـلمين عموماً تعلّق عاطفى شديـد بهـذا الإمام، وولاء روحى عميق له، وكانت قواعـده الشـعبية ممتدّة فى كلّ مكان من العالم

الإسـلامى، كمـا يشـير إلى ذلـك موقف الحجيـج الأعظم منه، حينما حـجّ هشام بن عبـد الملك [۳] . لم تكن ثقـة الاُمّـة بالإمـام زين العابـدين(عليه السـلام) ـ على اختلاف اتجاهاتها ومـذاهبها ـ مقتصـرة على الجانب الفقهى والروحى فحسب، بل كانت تؤمن به مرجعاً وقائـداً، ومفزعاً فى كلّ مشاكل الحياة وقضاياها، بوصـفه امتـداداً لآبائه الطاهرين. ومن هنا نجـد أنّ عبـد الملك بن مروان قد اسـتنجد بالإمام زين العابدين(عليه السـلام) لحلّ مشـكلة التعامل بالنقود الرومية إبّان تهديد الملك الرومانى [صـفحه ۱۹] له بإذلال المسلمين [۴] . وقد قدّر للإمام زين العابدين أن يتسلّم مسؤولياته القيادية والروحية بعد استشهاد أبيه (عليه السلام) فمارسها خلال النصف الثانى من القرن الأول، فى مرحلـة من أدقّ المراحل التى مرّت بها الاُمـة وقتئـذ، وهى المرحلـة التى أعقبت موجة الفتوح الاُولى، فقد امتدّت هذه الموجة بزخمها الروحى وحماسـها العسكرى والعقائدى، فزلزلت عروش الأكاسرة والقياصرة، وضمّت شعوباً مختلفة وبلاداً واسعة إلى الـدعوة الجديـدة، وأصبح المسـلمون قادة الجزء الأعظم من العالم المتمدّن وقتئذ خلال نصف قرن. تعرضت الاُمة الإسـلامية فى عصـر هـذا الإمام (عليه السـلام) لخطرين كبيرين: الخطر الأول: هو خطر الانفتاح على الثقافات المتنوعـة، والـذى قـد ينتهى بالاُمة إلى التميّع والذوبان وفقدان أصالتها، فكان لابدّ من عمل علمى يؤكّد للمسلمين أصالتهم الفكرية وشخصيّتهم التشريعية المتميّزة المستمدة من الكتاب والسـنّة. وكان لابـدّ من تأصـيل للشخصـية الاسـلامية، وذلك من خلال زرع بـذور الاجتهاد. وهذا ما قام به الإمام على بن الحسـين(عليه السـلام) فقد بدأ حلقة من البحث والدرس فى مسـجد الرسول(صلى الله عليه وآله) وأخذ يحدّث الناس بصنوف المعرفة الإسـلامية، مـن تفسـير وحـديث وفقـه وتربيـة وعرفـان، وراح يفيض عليهم من علـوم آبـائه الطـاهرين. وهكـذا تخرّج من هـذه الحلقة الدراسيّة عدد مهمّ من فقهاء المسـلمين، [صفحه ۲۰] وكانت هـذه الحلقـة المباركـة هى المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس الفقه الإسـلامى وكانت الأساس لحركـة الفقه الناشـطة. الخطر الثانى: هو الخطر الناجم عن موجـة الرخاء والانسـياق مع ملـذّات الحياة الدنيا والإسراف فى زينة هذه الحياة المحدودة، وبالتالى ضمور الشعور بالقيم الخلقية. وقد اتّخذ الإمام زين العابدين(عليه السلام) من الدعاء أساسـاً لـدرء هـذا الخطر الكبير الـذى ينخر فى الشخصـية الإسـلامية ويهزّها من داخلها هزّاً عنيفاً ويحول بينها وبين الاسـتمرار فى أداء رسالتهـا. ومن هنـا كانت «الصـحيفة السـجادية» تعبيراً صادقاً عن عمل اجتماعى عظيم كانت ضـرورة المرحلـة تفرضه على الإمام(عليه السـلام) إضافة إلى كونها تراثاً ربّانياً فريداً يظلّ على مرّ الدهور مصدر عطاء ومشـعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب، وتظلّ الإنسانية بحاجة إلى هذا التراث المحمّدى العلوى، وتزداد إليه حاجة كلّما ازداد الشيطان للإنسانية إغراءً والدنيا فتنةً له [۵] . [صفحه ۲۱]

انطباعات عن شخصية الإمام زين العابدين

اشاره

اتّفق المسـلمون على تعظيم الإمـام زين العابـدين(عليه السـلام) وأجمعوا على الاـعتراف له بالفضـل، وأنّه علم شـاهق فى هـذه الـدنيا، لايـدانيه أحـد فى فضـائله وعلمه وتقواه، وكان من مظاهر تبجيلهم له: أنّهم كانوا يتبركون بتقبيل يـده ووضـعها على عيونهم [۶] ، ولم يقتصـر تعظيمه على الذين صـحبوه أو التقوا به، وإنّما شـمل المؤرخين على اختلاف ميولهم واتّجاهاتهم، فقد رسـموا بإعجاب وإكبار سيرته، وأضفوا عليه جميع الألقاب الكريمة والنعوت الشريفة.

اقوال و آراء معاصريه فيه

عبّر المعاصـرون للإمام(عليه السلام) من العلماء والفقهاء والمؤرّخين بانطباعاتهم عن شخصيّته، وكلها إكبار وتعظيم له، سواء فى ذلك من أخلص له فى الودّ أو أضمر له العداوة والبغضاء، وفيما يلى نبذة من كلماتهم: ۱ ـ قال الصحابىّ الجليل جابر بن عبد الله الأنصارى: ما رؤى فى أولاد الأنبياء مثل علىّ بن الحسـين(عليه السلام)... [۷] . [صفحه ۲۲] ۲ ـ كان عبد الله بن عباس على تقدّمه فى السنّ يجلّ

الإمام (عليه السلام) وينحنى خضوعاً له وتكريماً، فإذا رآه قام تعظيماً ورفع صوته قائلًا: مرحباً بالحبيب ابن الحبيب [۸] . ۳ ـ وُصِف محمّد بن مسلم القرشى الزهرى بالفقيه، وأحد الأئمّة الأعلام وعالم الحجاز والشام [۹] وقد كان على خطّ غير أهل البيت(عليهم السلام) ولكنّه أدلى بمجموعة من الكلمات القيّمة أعرب فيها عمّا يتصف به الإمام(عليه السلام) من القيم الكريمة والمُثل العظيمة، وهذه بعض كلماته: أ ـ ما رأيت هاشمياً مثل علىّ بن الحسين... [۱۰] . ب ـ لم أدرك فى أهل البيت رجلاً ـ كان أفضل من على بن الحسين [۱۱] . ج ـ.. ما رأيت أحداً أفقه منه [۱۲] . ۴ ـ سعيد بن المسيّب: وهو من الفقهاء البارزين فى يثرب، وقال عنه الرواة: إنّه ليس من التابعين من هو أوسع منه علماً [۱۳] ، وقد صحب الإمام(عليه السلام) ووقف على ورعه، وشدّة تحرّجه فى الدين، وقد سجّل ما رآه بهذه الكلمات: أ ـ ما رأيت قطّ أفضل من علىّ بن الحسين(عليه السلام) وما رأيته قطّ إلّا مَقَتُّ نفسى... [۱۴] . ب ـ ما رأيت أورع منه... [۱۵] . ج ـ كان سعيد جالساً وإلى جانبه فتىً من قريش، فطلع الإمام(عليه السلام) فسأل [صفحه ۲۳] القريشىّ سعيداً عنه، فأجابه سعيد: هذا سيّد العابدين [۱۶] . ۵ ـ زيد بن أسلم: وكان فى طليعة فقهاء المدينة، ومن مفسِّرى القرآن [۱۷] ، وقد أدلى بعدّة كلمات بشأن الإمام(عليه السلام) منها: أ ـ ما جالست فى أهل القبلة مثله [۱۸] . ب ـ ما رأيت مثل علىّ بن الحسين فيهم (أى: فى أهل البيت) [۱۹] . ج ـ ما رأيت مثل علىّ بن الحسين فهماً حافظاً [۲۰] . ۶ ـ حماد بن زيد: وهو من أبرز فقهاء البصرة، اُعتبر من أئمّة المسلمين [۲۱] ، قال فيه: كان علىّ بن الحسين أفضل هاشمىٍّ أدركته [۲۲] . ۷ ـ يحيى بن سعيد: وهو من كبار التابعين، ومن أفاضل الفقهاء والعلماء [۲۳] ، وقد قال: سمعت علىّ بن الحسين وكان أفضل هاشمى رأيته [۲۴] . ۸ ـ لقد تعدّى الاعتراف بالفضل للإمام(عليه السلام) إلى أعدائه ومبغضيه، فهذا يزيد بن معاوية وبعد أن ألحّ عليه أهل الشام فى أن يخطب الإمام(عليه السلام) أبدى مخاوفه منه قائلاً ـ: إنّه من أهل بيت زُقّوا العلم زقّاً، إنّه لا ينزل إلّا بفضيحتى وفضيحة آل أبى سفيان... [۲۵] . [صفحه ۲۴] ۹ ـ عبد الملك بن مروان: وهذا عدوّ آخر يقول للإمام (عليه السلام):... إنّك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وعصرك، ولقد اُوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك ولا قبلك إلّا من مضى من سلفك... [۲۶] . ۱۰ ـ منصور الدوانيقى: وهذا عدوّ آخر أيضاً لأهل البيت(عليهم السلام) قد أشاد بفضل الإمام(عليه السلام) فى رسالته إلى ذى النفس الزكية بقوله: ولم يولد فيكم (أى فى العلويّين) بعد وفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله) مولود مثله (أى مثل زين العابدين) [۲۷] .

آراء العلماء و المورخين فيه

۱ ـ قال اليعقوبى: كان أفضل الناس وأشدّهم عبادة، وكان يسمّى: زين العابدين، وكان يسمّى أيضاً: ذا الثفنات، لما كان فى وجهه من أثر السجود... [۲۸] . ۲ ـ قال الحافظ أبو القاسم علىّ بن الحسن الشافعى المعروف بابن عساكر: فى ترجمة الإمام(عليه السلام): كان علىّ بن الحسين ثقةً مأموناً، كثير الحديث، عالياً رفيعاً... [۲۹] . ۳ ـ قال الذهبى: كانت له جلالة عجيبة، وحقّ له والله ذلك، فقد كان أهلًا للإمامة العظمى؛ لشرفه وسؤدده وعلمه وتألّهه وكمال عقله... [۳۰] . ۴ ـ قال الحافظ أبو نعيم: قال: علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب(عليهم السلام) [صفحه ۲۵] زين العابدين ومنار القانتين، كان عابداً وفيّاً وجواداً صفيّاً... [۳۱] . ۵ ـ قال صفىّ الدين: كان زين العابدين عظيم الهدى والسمت الصالح... [۳۲] . ۶ ـ قال النووى: وأجمعوا على جلالته فى كلّ شىء... [۳۳] . ۷ ـ قال عماد الدين إدريس القرشى: كان الإمام علىّ بن الحسين زين العابدين أفضل أهل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأشرفهم بعد الحسن والحسين عليهم جميعاً الصلاة والسلام، وأكثرهم ورعاً وزهداً وعبادة [۳۴] . ۸ ـ قال النسّابة الشهير ابن عنبة: وفضائله (عليه السلام) أكثر من أن تحصى أو يحيط بها الوصف [۳۵] . ۹ ـ قال الشيخ المفيد: كان علىّ بن الحسين أفضل خلق الله بعد أبيه علماً وعملاً، وقال: قد روى عنه فقهاء العامّة من العلوم ما لا ـ يحصى كثرة، وحُفِظ عنه من المواعظ والأدعية وفضائل القرآن والحلال والحرام والمغازى والأيام ما هو مشهور بين العلماء... [۳۶] . ۱۰ ـ وقال ابن تيمية: أمّا علىّ بن الحسين فمن كبار التابعين وساداتهم علماً وديناً... وله من الخشوع وصدقة السرّ وغير ذلك من الفضائل ما هو معروف [۳۷] . ۱۱ ـ قال الشيخانى القادرى: سيّدنا زين العابدين علىّ بن

الحسین بن أبی طالب اشتهرت أیادیه ومکارمه، وطارت بالجوّ فی الجود محاسنه، عظیم القدر، رحب الساحة والصدر، وله الکرامات الظاهرة ما شوهد بالأعین الناظرة [صفحه ۲۶] وثبت بالآثار المتواترة... [۳۸] . ۱۲ ـ قال محمّد بن طلحة القرشی الشافعی: هذا زین العابدین، قدوة الزاهدین، وسیّد المتقین، وإمام المؤمنین، شیمته تشهد له أنّه من سلالة رسول الله(صلی الله علیه وآله) وسمته یثبت مقام قربه من الله زلفاً، وثفناته تسجّل له کثرة صلاته وتهجّده، وإعراضه عن متاع الدنیا ینطق بزهده فیها، درّت له أخلاق التقوی فتفوّقها، وأشرقت له أنوار التأیید فاهتدی بها، وآلفته أوراد العبادة فآنس بصحبتها، وحالفته وظایف الطاعة فتحلّی بحلیتها، طالما اتّخذ اللیل مطیّة رکبها لقطع طریق الآخرة، وظمأ الهواجر دلیلاً استرشد به فی مسافة المسافرة، وله من الخوارق والکرامات ما شوهد بالأعین الباصرة وثبت بالآثار المتواترة وشهد له أنّه من ملوک الآخرة... [۳۹] . ۱۳ ـ قال الإمام الشافعی: إنّ علیّ بن الحسین أفقه أهل المدینة [۴۰] . ۱۴ ـ قال الجاحظ: وأمّا علیّ بن الحسین فلم أرَ الخارجی فی أمره إلّا کالشیعی، ولم أرَ الشیعی إلّا کالمعتزلی، ولم أرَ المعتزلی إلّا کالعامی، ولم أرَ العامی إلّا کالخاصی، ولم أجد أحداً یتماری فی تفضیله ویشک فی تقدیمه... [۴۱] . ۱۵ ـ قال سبط ابن الجوزی: وهو أبو الأئمّة وکنیته أبو الحسن ویلقب بزین العابدین وسمّاه رسول الله(صلی الله علیه وآله) سید العابدین... والسجاد؛ وذی الثفنات، والزکی والأمین، والثفنات: ما یقع علی الأرض من أعضاء البعیر إذا استناخ وغلظ کالرکبتین فکان طول السجود قد أثّر فی ثفناته [۴۲] . [صفحه ۲۷]

مظاهر من شخصیة الإمام زین العابدین

الحلم

کان الإمام من أعظم الناس حلماً، وأکظمهم للغیظ، فمن صور حلمه التی رواها المؤرّخون: ۱ ـ کانت له جاریة تسکب علی یدیه الماء إذا أراد الوضوء للصلاة، فسقط الإبریق من یدها علی وجهه الشریف فشجّه، فبادرت الجاریة قائلة: إنّ الله عزّوجلّ یقول: (والکاظمین الغیظ) وأسرع الإمام قائلاً: «کظمت غیظی»، وطمعت الجاریة فی حلم الإمام ونبله، فراحت تطلب منه المزید قائلة: (والعافین عن الناس) فقال الإمام(علیه السلام): «عفا الله عنک»، ثمّ قالت: (والله یحبّ المحسنین) فقال (علیه السلام) لها: «إذهبی فأنت حرّة» [۴۳] . ۲ ـ سبّه لئیمٌ فأشاح(علیه السلام) بوجهه عنه، فقال له اللئیم: إیّاک أعنی... وأسرع الإمام قائلاً: «وعنک اُغضی...» وترکه الإمام ولم یقابله بالمثل [۴۴] . ۳ ـ ومن عظیم حلمه (علیه السلام): أنّ رجلاً افتری علیه وبالغ فی سبّه، [صفحه ۲۸] فقال(علیه السلام) له: «إن کُنّا کما قلت فنستغفر الله، وإن لم نکن کما قلت فغفر الله لک...» [۴۵] .

السخاء

أجمع المؤرِّخون علی أنّه کان من أسخی الناس وأنداهم کفّاً، وأبرَّهم بالفقراء والضعفاء، وقد نقلوا نوادر کثیرة من فیض جوده، منها: ۱ ـ مرض محمّد بن اُسامة فعاده الإمام (علیه السلام)، ولمّا استقرّ به المجلس أجهش محمّد بالبکاء، فقال له الإمام(علیه السلام): ما یبکیک؟ فقال: علیّ دین، فقال له الإمام: کم هو؟ فأجاب: خمسة عشر ألف دینار، فقال له الإمام(علیه السلام): هی علیّ، ولم یقم الإمام من مجلسه حتی دفعها له [۴۶] . ۲ ـ ومن کرمه وسخائه أنّه کان یطعم الناس إطعاماً عامّاً فی کلّ یوم، وذلک فی وقت الظهر فی داره [۴۷] . ۳ ـ وکان یعول مائة بیت فی السرّ، وکان فی کلّ بیت جماعة من الناس [۴۸] .

تعامله مع الفقراء

تکریمه للفقراء

کـان(عليه السـلام) يحتفی بـالفقراء ويرعی عواطفهم ومشاعرهم، فکان إذا أعطی سائلاً قبّله، حتی لا يُری عليه أثر الـذلّ [صـفحه ۲۹] والحاجة [۴۹] ، وکان إذا قصده سائل رحّب به وقال له: «مرحباً بمن يحمل زادی إلی دار الآخرة» [۵۰] .

عطفه علی الفقراء

کـان(عليه السـلام) کثير العطف والحنان علی الفقراء والمساکين، وکان يعجبه أن يحضـر علی مائـدة طعامه اليتامی والأضـراء والزمنی والمسـاکين الـذين لا ـ حيلـة لهم، وکـان ينـاولهم بيـده، کمـا کـان يحمـل لهم الطعـام أو الحطب علی ظهره حتی يأتی باباً من أبوابهم فيناولهم إيّاه [۵۱] وبلغ من مراعاته لجانب الفقراء والعطف عليهم أنّه کره اجتـذاذ النخل فی الليل؛ وذلک لعدم حضور الفقراء فی هذا الوقت فيحرمون من العطاء، فقد قال(عليه السـلام) لقهرمانه وقد جذّ نخلاً له من آخر الليل: «لا تفعل، ألا تعلم أنّ رسول الله (صـلی الله عليه وآله) نهی عن الحصاد والجذاذ بالليل؟!». وکان يقول: «الضغث تعطيه من يسأل فذلک حقه يوم حصاده» [۵۲] .

نهيه عن رد السائل

ونهی الإمام(عليه السـلام) عن ردّ السائل؛ وذلک لما له من المضاعفات السيّئة التی منها زوال النعمـة وفجأة النقمـة. وأکـد الإمام(عليه السـلام) علی ضـرورة ذلـک فی کثير من أحـاديثه، فقـد روی أبو حمزة الثمالی، قال: صـلّيت مع علیّ بن الحسـين الفجر بالمدينـة يوم جمعة، فلمّا فرغ من صـلاته نهض إلی منزله وأنا معه، فدعا مولاةً له تسـمّی سکينة، فقال لها: «لا يعبر علی بابی سائل إلاّ أطعمتموه فإنّ اليوم جمعـة»،فقـال له أبو حمزة: ليس من يسـأل مسـتحقاً، فقال(عليه السـلام): «أخاف أن يکون بعض من يسألنا مسـتحقاً فلا نطعمه، [صفحه ۳۰] ونردّه فينزل بنـا أهل البيت ما نزل بيعقوب وآله، أطعموهم، أطعموهم، إنّ يعقوب کان يذبـح کلّ يوم کبشاً فيتصـدّق منه، ويأکـل منه هو وعيـاله، وإنّ سائلاً مؤمناً صوّاماً مسـتحقّاً، له عنـد الله منزلـة اجتاز علی باب يعقوب يوم جمعـة عنـد أوان إفطاره، فجعل يهتف علی بـابه: أطعموا السائـل الغريب الجـائع من فضل طعامکم، وهم يسـمعونه، قـد جهلوا حقّه، ولم يصـدّقوا قوله، فلمّا يئس منهم وغشـيه الليل مضـی علی وجهه، وبات طاوياً يشـکو جوعه إلی الله، وبات يعقوب وآل يعقوب شـباعاً بطاناً وعندهم فضـلة من طعامهم، فـأوحی الله إلی يعقوب فی صبيحـة تلـک الليلـة: لقـد أذللت عبـدی ذلـة اسـتجررت بها غضبی، واسـتوجبت بها أدبی ونزول عقوبتی، وبلوای عليـک وعلی ولـدک، يـا يعقوب أحبّ أنبيـائی إلیّ وأکرمهم علیّ من رحم مسـاکين عبادی وقرّبهم إليه وأطعمهم وکان لهم مأوی وملجأ، أما رحمت عبدی المجتهد فی عبادته، القانع باليسير من ظاهر الدنيا؟! أما وعزّتی لأنزلنّ بک بلوای، ولأجعلنّک وولدک غرضاً للمصائب. فقال أبو حمزة: جعلت فـداک متی رأی يوسف الرؤيا؟ قال(عليه السـلام): فی تلک الليلـة التی بات فيها يعقوب وآله شباعاً وبات السائل الفقير طاوياً جائعاً» [۵۳] .

صدقاته

اشاره

وکان من أعظم ما يصـبو إليه الامام زين العابدين(عليه السـلام) فی حياته الصدقة علی الفقراء لإنعاشهم ورفع البؤس عنهم، وکان(عليه السـلام) يحثّ علی الصدقة؛ وذلک لما يترتّب عليها من الأجر الجزيل، فقد قال: «ما من رجل تصدّق علی مسـکين مستضعف فدعا له المسکين بشیء فی تلک الساعة إلاّ استجيب له» [۵۴] . ونشير إلی بعض ألوان صدقاته وجميل خصاله: [صفحه ۳۱]

التصدق بثيابه

كان(عليه السلام) يلبس فى الشتاء الخزّ، فإذا جاء الصيف تصدّق به أو باعه وتصدّق بثمنه، وكان يلبس فى الصيف ثوبين من متاع مصر ويتصدّق بهما إذا جاء الشتاء [۵۵] ، وكان يقول: «إنى لأستحى من ربّى أن آكل ثمن ثوب قد عبدت الله فيه» [۵۶] .

التصدق بما يحب

كان يتصدّق باللوز والسكَّر، فسئل عن ذلك فتلا قوله تعالى: (لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا ممّا تحبّون) [۵۷] . وروى أنّه كان يعجبه العنب، وكان صائماً فقدّمت له جاريته عنقوداً من العنب وقت الإفطار، فجاء سائل فأمر بدفعه إليه، فبعثت الجارية من اشتراه منه، وقدّمته إلى الامام، فطرق سائل آخر الباب، فأمر(عليه السلام) بدفع العنقود إليه، فبعثت الجارية من اشتراه منه وقدّمته للإمام، فطرق سائل ثالث الباب فدفعه الإمام إليه [۵۸] .

مقاسمة أمواله

وقاسم الإمام أمواله مرّتين فأخذ قسماً له، وتصدّق بالقسم الآخر على الفقراء والمساكين [۵۹] . [صفحه ۳۲]

صدقاته فى السر

وكان أحبّ شىء عند الإمام(عليه السلام) الصدقة فى السر، لئلّا يعرفه أحد، وقد أراد أن يربط نفسه ومن يعطيهم من الفقراء برباط الحبّ فى الله تعالى، وتوثيقاً لصلته بإخوانه الفقراء بالإسلام، وكان يحثّ على صدقة السرّ ويقول: «إنّها تطفىء غضب الربّ» [۶۰] . وقد اعتاد الفقراء على صلة لهم فى الليل، فكانوا يقفون على أبوابهم ينتظرونه، فإذا رأوه تباشروا وقالوا: جاء صاحب الجراب [۶۱] . وكان له ابن عم يأتيه بالليل فيناوله شيئاً من الدنانير فيقول له العلوى: إنّ علىّ بن الحسين لا ـ يوصلنى، ويدعو عليه، فيسمع الإمام ذلك ويغضى عنه، ولا يُعرّفه بنفسه، ولمّا توفّى(عليه السلام) فقد الصلة، فعلم أنّ الذى كان يوصله هو الإمام علىّ بن الحسين(عليه السلام) فكان يأتى قبره باكياً ومعتذراً منه [۶۲] . وقال ابن عائشة: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السرّ حتى مات علىّ بن الحسين [۶۳] . وكان(عليه السلام) شديد التكتّم فى صلاته وهباته، فكان إذا ناول أحداً شيئاً غطّى وجهه لئلّا يعرفه [۶۴] . وقال الذهبى: إنّه كان كثير الصدقة فى السرّ [۶۵] . [صفحه ۳۳] وكان(عليه السلام) يجعل الطعام الذى يوزّعه على الفقراء فى جراب ويحمله على ظهره، وقد ترك أثراً عليه [۶۶] .

ابتغاؤه مرضاة الله

ولم يكن الإمام(عليه السلام) يبتغى فى برّه وإحسانه إلى الفقراء إلّا وجه الله عزّوجلّ والدار الآخرة، ولم تكن عطاياه وصدقاته(عليه السلام) مشوبة بأىّ غرض من أغراض الدنيا. قال الزهرى: رأيت علىّ بن الحسين فى ليلة باردة وهو يحمل على ظهره دقيقاً، فقلت له: يابن رسول الله! ما هذا؟ فأجابه(عليه السلام): «أُريد سفراً، أُعدّ له زاداً أحمله إلى موضع حريز». فقال: هذا غلامى يحمله عنك، فامتنع الإمام من إجابته، وتضرّع الزهرى إليه أن يحمله هو بنفسه عنه، إلّا ان الإمام أصرّ على ما ذهب إليه، وقال له: «ولكنّى لا أرفع نفسى عمّا ينجينى فى سفرى، ويحسّن ورودى على ما أردُ عليه، أسألك بحق الله لمّا مضيت لحاجتك». وانصرف الزهرى عن الإمام، وبعد أيام التقى به، وقد ظنّ أنّه كان على جناح سفر ولم يعِ مراده فقال له: يابن رسول الله، لست أرى لذلك السفر الذى تركته أثراً. فأجابه الإمام(عليه السلام): «يا زهرى، ليس ما ظننت، ولكنّه الموت وله أستعدُّ، إنّما الاستعداد للموت تجنّب الحرام وبذل الندى فى الخير» [۶۷] .

العزة والإباء

ومن صفات الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين(عليه السلام) العزّة والإباء، [صفحه ۳۴] فقد ورثها من أبيه الحسين سيّد الشهداء(عليه السلام) الذى تحدّى طغاة عصره قائلاً: «والله لا اُعطيكم بيدى إعطاء الذليل، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد» [۶۸] . وقد تمثّلت هذه الظاهرة الكريمة فى شخصيّة الإمام زين العابدين(عليه السلام) فى قوله: «ما أحبّ أنّ لى بذلّ نفسى حمر النعم» [۶۹] . وقال فى عزة النفس: «من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا» [۷۰] . ويقول المؤرخون: إنّ أحدهم أخذ منه بعض حقوقه بغير حق، وكان الإمام(عليه السلام) بمكّة، وكان الوليد بن عبد الملك حينئذ متربّعاً على كرسى الخلافة وقد حضر موسم الحج، فقيل له: لو سألت الوليد أن يردّ عليك حقّك؟ فقال لهم كلمته الخالدة فى دنيا العزّ والإباء: «ويحك أفى حرم الله عزّوجلّ أسأل غير الله عزّوجلّ؟! إنّى آنف أن أسأل الدنيا من خالقها، فكيف أسألها مخلوقاً مثلى؟!» [۷۱] . ومن عزّته: أنّه ما أكل بقرابته من رسول الله(صلى الله عليه وآله) درهماً قطّ [۷۲] .

الزهد

لقد اشتهر فى عصره(عليه السلام) أنّه من أزهد الناس حتى أنّ الزهرى حينما سُئل عن أزهد الناس قال: علىّ بن الحسين [۷۳] . ورأى(عليه السلام) سائلاً يبكى فتألّم له وراح يقول: «لو أنّ الدنيا كانت فى كفّ هذا [صفحه ۳۵] ثمّ سقطت منه لما كان ينبغى له أن يبكى عليها» [۷۴] . وقال سعيد بن المسيب: كان علىّ بن الحسين(عليه السلام) يعظ الناس ويزهّدهم فى الدنيا ويرغبهم فى أعمال الآخرة بهذا الكلام فى كلّ جمعة فى مسجد رسول الله(صلى الله عليه وآله) وحفظ عنه وكتب، وكان يقول: «أيّها الناس، اتّقوا الله واعلموا أنّكم اليه تُرجعون... يابن آدم، إنّ أجلك أسرع شيء إليك، قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك ويوشك أن يدركك، وكأن قد اُوفيت أجلك وقبض الملك روحك وصرت إلى قبرك وحيداً، فردّ اليك فيه روحك، واقتحم عليك فيه ملكان ناكر ونكير لمساءلتك وشديد امتحانك... فاتّقوا الله عباد الله، واعلموا أنّ الله عزّوجلّ لم يحبّ زهرة الدنيا وعاجلها لأحد من أوليائه، ولم يرغّبهم فيها وفى عاجل زهرتها وظاهر بهجتها، وإنّما خلق الدنيا وأهلها ليبلوهم فيها أيّهم أحسن عملاً لآخرته، وأيم الله لقد ضرب لكم فيه الأمثال، وعرّف الآيات لقوم يعقلون، ولا قوة إلاّ بالله، فازهدوا فيما زهّدكم الله عزّوجلّ فيه من عاجل الحياة الدنيا... ولا تركنوا إلى زهرة الدنيا وما فيها ركونَ من اتّخذها دار قرار ومنزل استيطان، فإنّها دار بُلغة، ومنزل قلعة، ودار عمل، فتزوّدوا الأعمال الصالحة فيها قبل تفرّق أيّامها، وقبل الإذن من الله فى خرابها... جعلنا الله وإيّاكم من الزاهدين فى عاجل زهرة الحياة الدنيا، الراغبين لآجل ثواب الآخرة، فإنّما نحن به وله...» [۷۵] .

الانابة إلى الله تعالى

إنّ اشتهار الإمام بلقب زين العابدين وسيّد الساجدين ممّا يشير إلى وضوح عنصر الإنابة إلى الله والانقطاع اليه فى حياة الإمام وسيرته [صفحه ۳۶] وشخصيّته. على أنّ أدعية الصحيفة السجّادية هى الدليل الآخر على هذه الحقيقة، فإنّ إلقاء نظرة سريعة وخاطفة على عناوين الأدعية يكشف لنا مدى التجاء الإمام إلى الله فى شؤون حياته، فما من موقف إلاّ وللإمام فيه دعاء وابتهال وتضرّع، هذا فضلاً عن مضامين الأدعية التى يكاد ينفرد بها هو(عليه السلام) فى هذه الصحيفة المعروفة وغيرها، لقد ذاب الإمام فى محبّة الله وأخلص له أعظم الإخلاص، وقد انعكس ذلك على جميع حركاته وسكناته. وممّا رواه المؤرخون: أنّه اجتاز على رجل جالس على باب رجل ثرىّ فبادره الإمام قائلاً: «ما يقعدك على باب هذا المترف الجبار؟ فقال الرجل: البؤس (أى: الفقر)، فقال له(عليه السلام): قم فأُرشدك إلى باب خير من بابه وإلى ربّ خير لك منه...» ونهض معه الرجل إلى مسجد رسول الله(صلى الله عليه وآله) وعلّمه ما

يعمله من الصلاة والدعاء وتلاوة القرآن وطلب الحاجة من الله والالتجاء إلى حصنه الحريز [۷۶] .

سيرته في بيته

كـان الإمام زين العابـدين(عليه السـلام) من أرأف الناس وأبرّهم وأرحمهم بأهل بيته، وكان لا يتميّز عليهم، وقـد اُثر عنه أنّه قال: «لَئن أدخـل إلى السوق ومعى دراهم ابتـاع بهـا لعيالى لحماً وقـد قرموا [۷۷] أحبّ اليَّ من أن أعتـق نسـمة» [۷۸] . وكـان يبكر فى خروجه مصـبحاً لطلب الرزق لعياله، فقيل له: إلى أين [صـفحه ۳۷] تـذهب؟ فقال: أتصـدّق لعيالى قبل أن أتصدّق. ثم قال: من طلب الحلال، فإنّه من الله عزّوجلّ صدقـة عليهم [۷۹] . وكان (عليه السـلام) يعين أهله فى حوائجهم البيتيـة، ولا يأمر أحـداً منهم فيما يخصّ شأناً من شؤونه الخاصـة، كما كان يتولّى بنفسه خدمـة نفسه خصوصاً فيما يخصّ إلى شؤون عبادته، فإنّه لم يك يسـتعين بها أو يعهد إلى أحد فى قضائها.

مع أبويه

وقابـل الإمام المعروف الـذى أسـدته إليه مربّيته بكلّ ما تمكّن عليه من أنواع الإحسان، وقـد بلغ من جميل برّه بها أنّه امتنع أن يؤاكلها فلامه الناس، وأخذوا يسألونه بإلحاح قائلين: أنت أبرّ الناس وأوصلهم رحماً، فلماذا لا تؤاكل اُمّك؟ فأجابهم جواب من لم تشهد الدنيا مثـل أدبه وكماله قائلاً: «أخشـى أن تسـبق يـدى إلى ما سـبقت إليه عينها فأكون عاقّاً لها» [۸۰] . ومن برّه لأبويه دعـاؤه لهما، وهو من أسـمى القواعد فى التربية الإسـلامية الهادفة، وهذه مقاطع من هذه اللوحة الخالدة من دعائه(عليه السـلام): «... واخصـص اللهمّ والدىّ بالكرامـة لـديك والصـلاة منـك يـا أرحم الراحمين... وألهمنى علم مـا يجب لهمـا علىّ إلهامـاً، واجمع لى علم ذلـك كلّه تماماً، ثم استعملنى بمـا تلهمنى منه، ووفّقنى للنفـوذ فيمـا تبصـرنى من علمه... اللهم اجعلنى أهابهمـا هيبـة السـلطان العسـوف، وأبرّهمـا برّ الاُم الرؤوف، واجعل طاعتى لوالدىّ وبرّى بهما أقرّ لعينى من رقدة [صفحه ۳۸] الوسنان، وأثلج لصدرى من شربة الظمآن، حتى اُوثر على هواى هواهما، واُقـدّم على رضاى رضاهما، واسـتكثر برّهما بى وإن قلّ، واسـتقلّ برّى بهما وإن كثر، اللهمّ خفّض لهما صوتى، وأطب لهمـا كلامـى، وألِن لهمـا عريكتى، واعطف عليهمـا قلبى، وصـيرنى بهما رفيقاً وعليهما شـفيقاً... اللهمّ اشـكرلهما تربيتى، وأثبهما على تكرمتى، واحفظ لهما ما حفظاه منّى فى صـغرى... اللهمّ لا تُنسنى ذكرهما فى أدبار صلواتى، وفى إناً من آناء ليلى، وفى كل ساعة من ساعات نهارى... اللهمّ صلّ على محمد وآله، واغفر لى بدعائى لهما، واغفر لهما ببرّهما بى...» [۸۱] .

مع أبنائه

أمّا سـلوك الإمام علىّ بن الحسـين زين العابـدين(عليه السـلام) مع أبنائه فقـد تميّز بالتربيـة الإسـلامية الرفيعة لهم، فغرس فى نفوسـهم نزعاته الخيّرة واتّجاهاته الإصلاحية العظيمة، وقد صاروا بحكم تربيته لهم من ألمع رجال الفكر والعلم والجهاد فى الإسلام. فكان ولده الإمام محمد الباقر(عليه السـلام) أشهر أئمّة المسلمين، وأكثرهم عطاءً للعلم. وأمّا ولده عبد الله الباهر فقد كان من أبرز علماء المسلمين فى فضله وسمّو منزلته العلمية. أمّا ولده زيد فقد كان من أجلّ علماء المسلمين، وقد برعَ فى علوم كثيرة كعلم الفقه والحديث والتفسير وعلم الكلام وغيرها، وهو الذى تبنّى حقوق المظلومين المضـطهدين، وقاد مسـيرتهم الدامية فى ثورته التى نشـرت الوعى السياسى فى المجتمع الاسلامى، وساهمت مساهمة إيجابية وفعّالة [صفحه ۳۹] فى الاطاحة بالحكم الاُموى [۸۲] . وزوّد الإمام (عليه السلام) أبناءه ببعض الوصايا التربوية لتكون منهجاً يسيرون عليه، قال (عليه السلام): ۱ ـ «يا بُنىّ، اُنظر خمسـةً فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا تُرافقهم فى طريق» فقـال له ولـده: من هم؟ قال(عليه السـلام): «إيّاك ومصاحبـة الكـذّاب، فإنّه بمنزلـة السـراب، يقرّب لك البعيـد ويبعّـد لك القريب. وإيّاك ومصاحبـة الفاسق، فإنّه بايعك بأكلـة أو أقلّ من ذلك. وإيّاك ومصاحبة البخيل، فإنّه يخذلك فى ماله، وأنت أحوج

مـا تکون إلیه. وإیّـاک ومصاحبـة الأحمق، فإنّه یریـد أن ینفعک فیضـرّک. وإیّاک ومصاحبـة القاطع لرحمه، فإنّی وجـدته ملعوناً فی کتاب الله...» [۸۳] . ۲ ـ قال (علیه السلام): «یا بُنیّ، اصبر علی النائبة، ولا تتعرّض للحقوق، ولا تجب أخاک إلی شـیء مضـرّته علیک أعظم من منفعته لـک...» [۸۴] . ۳ ـ وقـال(علیه السـلام): «یا بُنیّ، إنّ الله لم یرضک لی فأوصاک بی، ورضـینی لک فحـذّرنی منک، واعلم أنّ خیر الآباء للأبناء من لم تدعه المودّة إلی التفریط فیه، وخیر الأبناء للآباء من لم یدعه التقصیر إلی العقوق له» [۸۵] . [صفحه ۴۰]

مع ممالیکه

وسار الإمام(علیه السـلام) مع ممالیکه سـیرة تتّسم بالرفق والعطف والحنان، فکان یعاملهم کأبنائه، وقد وجدوا فی کنفه من الرفق ما لم یجدوا فی ظلّ آبائهم، حتّی أنّه لم یعاقب أمَةً ولا عبداً فیما إذا اقترفا ذنباً [۸۶] . وقد کان له مملوک فدعاه مرّتین فلم یجبه، وفی الثالثة قـال له الإمـام برفق ولطف: «یا بُنیَّ، أما سـمعت صوتی؟» قال: بلی...، فقال له(علیه السـلام): «لِمَ لَمْ تُجبْنی؟» فقال: أمنت منک، فخرج الإمام وراح یحمد الله ویقول: «الحمد لله الذی جعل مملوکی یأمننی...» [۸۷] . [صفحه ۴۳]

نشأة الإمام زین العابدین

اشاره

لقـد توفّرت للإمام زین العابـدین(علیه السـلام) جمیع المکوّنات التربویـة الرفیعـة التی لم یظفر بها أحـد سواه، وقد عملت علی تکوینه وبناء شخصـیّته بصورة متمیّزة، جعلته فی الرعیل الأول من أئمّة المسلمین الذین منحهم الرسول(صلی الله علیه وآله) ثقته، وجعلهم قادة لاُمّته واُمناء علی أداء رسالته. نشأ الامام فی أرفع بیت وأسماه ألا وهو بیت النبوّة والإمامة الذی أذن الله أن یرفع ویذکر فیه اسمه [۸۸] ، ومنـذ الأیـام الاُولی من حیـاته کان جـده الإمام أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب(علیه السـلام) یتعاهـده بالرعایـة ویشعّ علیه من أنوار روحه التی طبّق شـذاها العالم بأسره، فکان الحفیـد ـ بحقٍّ ـ صورة صادقـة عن جدّه، یحاکیه ویضاهیه فی شخصـیّته ومکوّناته النفسـیة. کمـا عـاش الإمـام(علیه السـلام) فی کنف عمّه الزکی الإمـام الحسن المجتبی(علیه السـلام) سیّد شـباب أهـل الجنّة وریحانـة رسول الله(صـلی الله علیه وآله) وسـبطه الأول، إذ کـان یغـدق علیه من عطفه وحنانه، ویغرس فی نفسه مُثُلَه العظیمـة وخصاله السامیـة، وکان الإمام(علیه السـلام) طوال هذه السـنین تحت ظلّ والده العظیم أبی الأحرار وسیّد [صفحه ۴۴] الشـهداء الإمام الحسین بن علیّ(علیهما السـلام) الذی رأی فی ولده علی زین العابدین(علیه السلام) امتداداً ذاتیّاً ومشرقاً لروحانیّة النبوّة ومُثُل الإمامة، فأولاه المزید من رعایته وعنایته، وقـدّمه علی بقیـة أبنائه، وصاحَبَه فی أکثر أوقاته. لقد ولد الإمام زین العابدین(علیه السـلام) فی المدینة فی الیوم الخامس من شعبان سنة (۳۶ هـ) [۸۹] یوم فتـح البصـرة، حیث إنّ الإمام علی(علیه السـلام) لم ینتقل بعـد بعاصـمته من المدینـة الی الکوفة. وتوفّی بالمدینة سـنة (۹۴ أو ۹۵ هـ). وهنـاک من المـؤرخین ذکر أنّه ولـد فی سـنة (۳۸ هـ) وفی مدینـة الکوفـة حیث کـان جـدّه الإمام أمیر المؤمنین(علیه السـلام) قد اتّخذها عاصـمة لدولته بعد حرب الجمل، فمن الطبیعی أن یکون الحسـین السـبط(علیه السلام) مع أهله عن أبیه(علیه السلام) فی هذه الفترة بشکل خاص [۹۰] .

امه

اسـمها «شهربانو» أو «شهر بانویه» أو «شاه زنان» بنت یزدجرد آخر ملوک الفرس [۹۱] ، وذکر البعض أنّ اُمه قـد أجابت نداء ربّها أیّام نفاسها فلم تلد سواه [۹۲] . [صفحه ۴۵]

كناه

أبو الحسن، أبو محمّد، أبو الحسين، أبو عبد الله [۹۳] .

القابه

«زين العابدين» و «ذو الثفنات» و «سيّد العابدين» و «قدوة الزاهدين» و «سيّد المتّقين» و «إمام المؤمنين» و «الأمين» و «السجّاد» و «الزكى» و «زين الصالحين» و «منار القانتين» و «العدل» و «إمام الأُمّة» و «البكّاء»، وقد اشتهر بلقبى «السجاد» و «زين العابدين» أكثر من غيرهما. إنّ هذه الألقاب قد منحها الناس للإمام عندما وجدوه التجسيد الحىّ لها، والمصداق الكامل لـ: (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) [۹۴] ، وبعض الذين منحوه هذه الألقاب لم يكونوا من شيعته، ولم يكونوا يعتبرونه إماماً من قبل الله تعالى، لكنّهم ما استطاعوا أن يتجاهلوا الحقائق التى رأوها فيه. لقد ذكر المؤرّخون ما يبيّن لنا بعض العلل التأريخية لجملة من هذه الألقاب المباركة: ۱ ـ روى عن الصحابى الجليل جابر بن عبد الله الانصارى أنّه قال: كنت جالساً عند رسول الله(صلى الله عليه وآله) والحسين فى حجره وهو يلاعبه فقال(صلى الله عليه وآله): «يا جابر، يولد له مولود اسمه علىّ، إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم (سيّد العابدين) [صفحه ۴۶] فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمّد، فإن أنت أدركته يا جابر فاقرأه منّى السلام» [۹۵] . ۲ ـ كان الزهرى إذا حدّث عن علىّ بن الحسين(عليه السلام) قال: حدّثنى «زين العابدين» علىّ بن الحسين، فقال له سفيان بن عيينة: ولِمَ تقول له زين العابدين؟ قال: لأنّى سمعت سعيد بن المسيب يحدّث عن ابن عباس أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: «إذا كان يوم القيامة ينادى مناد أين زين العابدين؟ فكأنّى أنظر إلى ولدى علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب يخطر (يخطو) بين الصفوف» [۹۶] . ۳ ـ وجاء عن الإمام أبى جعفر الباقر(عليه السلام) أنّه قال: «كان لأبى فى مواضع سجوده آثار ناتئة، وكان يقطعها فى السنة مرتّين، فى كلّ مرة خمس ثفنات، فسمّى ذا الثفنات لذلك» [۹۷] . ۴ ـ كما جاء عنه عن كثرة سجود أبيه: ما ذكر لله عزّوجلّ نعمة عليه إلّا وسجد، ولا دفع الله عنه سوءً إلّا وسجد، ولا فرغ من صلاة مفروضة إلّا وسجد، وكان أثر السجود فى جميع مواضع سجوده فسمّى بالسجّاد [۹۸] . [صفحه ۴۷]

مراحل حياة الإمام زين العابدين

اشارة

تنقسم حياة الإمام زين العابدين(عليه السلام) ـ كما تنقسم حياة سائر الأئمة(عليهم السلام) ـ الى مرحلتين متميّزتين: ۱ ـ مرحلة ما قبل التصدّى للإمامة والزعامة. ۲ ـ مرحلة التصدّى وممارسة القيادة حتى الشهادة. لقد عاش الإمام زين العابدين(عليه السلام) فى المرحلة الأُولى من حياته فى ظلال جدّه الإمام أمير المؤمنين، وعمّه الإمام الحسن المجتبى وأبيه الإمام الحسين سيد الشهداء(عليهم السلام) مدة تناهز العقدين ونصف العقد، حيث قضى فى كنف جدّه الإمام على(عليه السلام) ما يزيد قليلًا عن أربع سنوات، وما لا يقل عن سنتين لو كانت ولادته سنة (۳۸ هـ). بينما قضى عقداً آخر من حياته فى كنف عمّه وأبيه(عليهما السلام) حيث استشهد عمّه الإمام الحسن السبط(عليه السلام) سنة ۵۰ هجرية. كما قضى عقداً ثانياً فى ظلّ قيادة أبيه الحسين السبط(عليه السلام) وهى الفترة الواقعة بين مطلع سنة (۵۰ هـ) وبداية سنة (۶۰ هـ). لقد عاش الإمام زين العابدين(عليه السلام) فترة المخاض الصعب خلال المرحلة الأُولى من حياته وقضاها مع كل من جدّه وعمّه وأبيه(عليهم السلام)، واستعدّ مراحل حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام)) [صفحه ۴۸] بعدها لتحمّل أعباء الإمامة والقيادة بعد استشهاد أبيه والصفوة من أهل بيته وأصحابه فى ملحمة عاشوراء الخالدة التى مهّد لها معاوية بن أبى سفيان وتحمّل وزرها ابنه يزيد المعلن بفسقه والمستأثر بحكم الله فى أرض الإسلام المباركة. وأمّا المرحلة الثانية من حياته الكريمة قد

ناهزت ثلاثة عقود ونصف عقد من عمره الشريف، وعاصر خلالها كُلّاً من حكم يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ومروان بن الحكم وعبدالملك بن مروان، ثم اغتالته الأيدى الاُموية الأثيمة بأمر من الحاكم وليد بن عبدالملك بن مروان واستشهد فى (۲۵) من المحرّم أو ما يقرب منه سنة (۹۴) أو (۹۵) هجرية عن عمر يناهز (۵۷) سنة أو دونها قليلًا [۹۹] فكانت مدّة إمامته وزعامته حوالى (۳۴) سنة. وفى هذه الدراسة نقسّم المرحلة الثانية من حياة هذا الإمام الحافلة بأنواع الجهاد الى قسمين متميزين من الكفاح والجهاد: الأوّل: جهاده بعد ملحمة عاشوراء وقبل استقراره فى المدينة. الثانى: جهاده بعد استقراره فى المدينة. وعلى هذا التقسيم سوف ندرس حياته ضمن مراحل ثلاث: المرحلة الاُولى: حياته قبل استشهاد أبيه(عليه السلام). المرحلة الثانية: حياته بعد استشهاد أبيه وقبل استقراره فى المدينة. المرحلة الثالثة: حياته بعد استقراره فى المدينة. [صفحه ۴۹]

الامام زين العابدين من الولادة الى الإمامة

اشاره

وتتضمّن استعراض عصر الإمام(عليه السلام) وحياته قبل كربلاء، أى من الولادة حتى استشهاد أبيه(عليه السلام) من سنة (۳۸ أو ۳۶ هـ) إلى سنة (۶۱ هـ). لقد عاصر الإمام زين العابدين(عليه السلام) فى مرحلتى الطفولة والفتوّة حكم معاوية بن أبى سفيان الذى تميّز بالاضطراب أولاً، ثمّ تلاه القمع فى العراق، والتأزّم فى الحجاز، وإقصاء السُنّة وظهور البدعة. ولقد استشهد الإمام أمير المؤمنين علىّ(عليه السلام) فى الكوفة فى شهر رمضان من سنة أربعين للهجرة، فيما كان يعبّئ الناس لحرب جديدة مع معاوية، وإثر استشهاده(عليه السلام) بايع أهل العراق ولده الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) خليفة عليهم، إلاّ أنّ قلوب أغلب المبايعين لم تكن تصدّق ألسنتهم، فلا ينتظر من المتظاهرين بالتشيّع فى الكوفة وفى جيش الإمام علىٍّ(عليه السلام) ـ الذين آذوه إلى الدرجة التى تمنّى فيها غير مرّة الموت ـ أن يكون سلوكهم مع ولده الحسن(عليه السلام) أفضل ممّا كان معه. وكانت الكوفة فى السنوات الأخيرة من عمر الإمام علىّ(عليه السلام) تضمّ مختلف الاتجاهات والجماعات، فكان هنالك اللاهثون وراء السلطة، [صفحه ۵۰] الطامعون فى أن يوليهم الخليفة الجديد منصباً ما والمسلمون الجدد الذين دفعتهم الآمال الكبيرة إلى الإعراض عن مدنهم والتوجّه إلى عاصمة الخلافة على أمل الحصول على عمل يحقّق رغباتهم، والانتهازيون من الموالى الذين تحالفوا مع هذه القبيلة العربية أو تلك لتغطّى على تآمرهم؛ إذ لا ـ يجرؤون على التحرّك دون غطاء عروبى. لقد تقوّم المجتمع الكوفى وتذاك بهذه الجماعات التى وجّهت قدرتها لإيجاد العراقيل والعقبات أمام حركة الإمام الحسن السبط(عليه السلام) عندما اشترط قيس بن سعد بن عبادة بيعته للإمام الحسن(عليه السلام) بمحاربة أهل الشام، لكنّ الإمام اضطرّ إلى الصلح مع معاوية بعد أن كشفت أكثر قوات الإمام ما كانت تضمر من أهداف تآمرية على شخص الإمام، والمخلصين من أصحابه بإنضواء بعضهم تحت لواء معاوية، وبثّهم الإشاعات التى أسفرت عن التخاذل المقيت، حتى كتب من كتب منهم إلى معاوية بتسليمهم إمامهم وقائدهم إلى معاوية. لقد امتازت الفترة الواقعة بين سنة (۴۱ هـ) وسنة (۶۰ هـ) بتشديد القهر والقمع على أتباع أهل البيت(عليهم السلام) فى العراق، ويتبيّن من خلال تعامل معاوية مع زعماء هذه المنطقة ـ الذين كانوا يلتقونه بين الحين والآخر ـ الدرجة التى بلغها سخطه على أهل العراق. وقد انكفأ السياسيون العراقيون ـ الذين خدعوا فى حرب صفّين وسلّطوا أهل الشام على مقدراتهم ـ فى بيوتهم إبّان حكم معاوية، لكنّهم كانوا ينتظرون أن تسنح لهم فرصة جديدة للتحرك. ومن جهة اُخرى لحق بالمسلمين المخلصين ـ الذين نشأوا على التربية الإسلامية النقية وارتفعوا عن المنظار القومى والقبلى أو نظروا من خلاله [صفحه ۵۱] بالشكل الذى لم يضرّ بدينهم ـ أذىً أكبر ممّا لحق بالطائفة الاُولى، إذ كانوا يرون فى عهد معاوية ـ الذى امتدّ نحو عشرين عاماً ـ اندراس سنّة النبىّ(صلى الله عليه وآله). لقد ظهرت البدعة وساد النظام الملكى عوضاً عن الخلافة، واستلم مقاليد اُمور المسلمين أفراد اُسرة قامت بكلّ ما بوسعها من أجل القضاء على الإسلام والمسلمين، حتى أنّ ولداً غير شرعىّ من

آل ثقيف يصبح ـ وبشهادة بائع خمر ـ أخاً لمعاوية [۱۰۰] . وخلافاً لصريح القرآن الكريم لقد بثّ معاوية الجواسيس بين الناس ليحصوا عليهم أنفاسهم، ونسخ الوفاء بالعهد والإيمان، فقتلوا حجر بن عديٍّ بعد كلّ الضمانات التى أعطوها له، وبمؤامرة نسج خيوطها معاوية دسّت جعدة بنت الأشعث بن قيس السمّ لزوجها الإمام الحسن المجتبى سبط رسول الله(صلى الله عليه وآله). إلى عشرات الممارسات الأُخرى المخالفة لصريح القرآن وسنّة النبىّ(صلى الله عليه وآله) التى كان يتّسم بها ذلك العهد. فكانت النتيجة أنّه لم يبقَ أىّ مظهر اسلامىٍّ للحكومة الإسلامية فى الشام والعراق اللّذين كانا يمثّلان أخطر مركزين فى الدولة آنذاك، كما اقتصر فقه المسلمين على الصلاة والصوم والحجّ والزكاة وما يسمّى بالجهاد، وكان المتديّنون المخلصون يتألّمون بشدّة لتفشّى البدع، فكانوا يتربّصون الفرص التى تتيح لهم إقصاء ما ابتدعه معاوية فى عصره باسم الإسلام. [صفحه ۵۲]

الوضع السياسى فى العراق عند موت معاوية

وعندما مات معاوية اعتبر الفريقان المتنفّذان فى العراق أنّ الفرصة باتت مؤاتية: أ ـ فريق أهل الدين الذين عاشوا آلام المسلمين وأحزنهم غياب سُنة النبىّ(صلى الله عليه وآله)، وكانوا يستهدفون القضاء على النظام الملكى وإعادة الحكومة الإسلامية كما كانت فى عصر الخلفاء السابقين على الأقل. ب ـ السياسيون المحترفون اللاهثون وراء السلطة الذين كانوا يرومون وضع حدّ لتحكّم الشام بالعراق. وفى الأيام التى كان العراق فيها يغصّ بالأحداث الخطيرة كان للأجواء فى الشام طابع آخر. كان يزيد فى قرية حوارين [۱۰۱] عندما هلك والده معاوية، فعاد بمساعى والى الشام «الضحّاك بن قيس» إلى دمشق ليعلن نفسه خليفة للمسلمين، وأسرع إلى محاولة تبديد مخاوفه من الأشخاص الذين سيعارضونه، فكتب فى الأيام الأُولى من خلافته رسالة إلى حاكم المدينة طلب منه فيها أن يأخذ البيعة له من الحسين بن علىّ(عليه السلام) وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير، وكان واضحاً من البداية أنّ الحسين(عليه السلام) لن يبايع يزيد، واعتبر ابن الزبير نفسه خليفة، إلاّ أنّ الناس تجاهلوه، ولم يكن لابن عمر أىّ دور فى الأوضاع، فلن تحقّق بيعته أو عدمها أىّ ضرر بخلافة يزيد، من هنا فإنّ يزيد لا يخشى إلاّ [صفحه ۵۳] الحسين بن علىّ(عليه السلام) ويتعجّل أن يتبيّن موقفه. وفى تلك الفترة كان من الطبيعى أن يختار العراق ـ الذى كان يتحيّن الفرص ـ ابن بنت النبىّ(صلى الله عليه وآله) قائداً له ليحقّق أهداف المؤمنين المخلصين والسياسيين المحترفين فى آن واحد، باعتباره الشخص الوحيد الذى يمكنه إحياء سنّة النبىّ(صلى الله عليه وآله) والقضاء على البدع، وأنّه الوحيد القادر على استقطاب قلوب الناس بشرافة نسبه وجلالة قدره وكرامة نفسه وتقواه، وهو الأشدّ رفضاً للظلم، ولهذا السبب رفض مبايعة يزيد. ومن هنا تشكّلت المجالس وانعقدت الجماعات فى الكوفة فكانت النتيجة أن وُجّهت الدعوة إلى الحسين بن علىّ ابن بنت النبىّ(صلى الله عليه وآله) فى الحجاز لينتقل إلى العراق، وتضمّنت الدعوة المؤكدة بأنّ أهل الكوفة على اُهبة الاستعداد لقتال الأمويّين الذين غصبوا الحكم تحت راية الحسين(عليه السلام). وقد بعث الحسين(عليه السلام) ابن عمّه مسلم بن عقيل إلى الكوفة ومعه إجابات الإمام الحسين(عليه السلام) على رسائل الكوفيين. وقد التف الكوفيّون حول ابن عقيل ورحّبوا به وأكّدوا له مرّةً اُخرى استعدادهم لخوض الحرب ضدّ طُغاة الشام تحت قيادة الحسين، فأرسل إلى الحسين(عليه السلام) رسالة أوضح فيها أنّ فى الكوفة مئة ألف رجل يتعهّدون بمناصرة الإمام مشدّداً على ضرورة إسراع الإمام فى التحرّك إلى العراق. والمدهش أنّ رسائل بعثت فى تلك الأيام من الكوفة إلى الشام تؤكّد ليزيد أنّه إذا أراد الكوفة فإنّ عليه أن يبعث عليها حاكماً مقتدراً، لأنّ حاكمها النعمان بن بشير أظهر ضعفاً فى تعاطيه مع الأحداث. [صفحه ۵۴] وقد تباحث يزيد فى هذا الأمر مع مستشاره الرومى السيرجون، الذى أشار عليه بتعيين عبيد الله بن زياد حاكماً على الكوفة، وبوصول ابن زياد الى الكوفة تخلّى أهلها عن مسلم، وأتاحوا لابن زياد قتله مع مضيّفه هانئ بن عروة، ومن جهة اُخرى كان الإمام الحسين وأهل بيته (عليهم السلام) وعدد من أنصاره فى الطريق إلى العراق، والإمام زين العابدين (عليه السلام) يرافق والده فى كل هذه الظروف العصيبة حتى وصلوا العراق [۱۰۲] .

النص علی إمامة زین العابدین

لقد نصّ رسول الله(صلی الله علیه وآله) علی إمامة اثنی عشر إماماً من أهل بیته الأطهار، وعیّنَهم بذکر أسمائهم وأوصافهم، کما هو المعروف من حدیث الصحابی جابر بن عبدالله الأنصاری وغیره عند العامّة والخاصّة [۱۰۳] . کما نصّ کلّ إمام معصوم علی الإمام الذی یلیه قبل استشهاده فی مواطن عدیدة بما یتناسب مع ظروف عصره، وقد کان النصّ یکتب ویودع عند أحد سرّاً، ویجعل طلبه دلیلًا علی الاستحقاق، ونلاحظ تکرّر هذه الظاهرة فی حیاة أبی عبدالله الحسین(علیه السلام) بالنسبة لابنه زین العابدین(علیه السلام) تارة فی المدینة واُخری فی کربلاء قبیل استشهاده. وممّا روی من النصّ علی إمامة ولده(علیه السلام) ما رواه الطوسی، عن أبی جعفر الباقر(علیه السلام): أنّ الحسین لمّا خرج الی العراق دفع الی اُمّ سلمة زوجة [صفحه ۵۵] النبیّ(صلی الله علیه وآله) الوصیّة والکتب وغیر ذلک وقال لها: «إذا أتاک أکبر وُلدی فادفعی إلیه ما قد دفعتُ إلیک». فلما قُتل الحسین(علیه السلام) أتی علیّ بن الحسین(علیه السلام) اُمّ سلمة فدفعت إلیه کلّ شیء أعطاها الحسین(علیه السلام). وفی نصٍّ آخر: أنّه(علیه السلام) جعل طلبها منها علامة علی إمامة الطالب لها من الأنام فَطلبها زین العابدین(علیه السلام) [۱۰۴] . وروی الکلینی عن أبی الجارود عن الإمام الباقر(علیه السلام): أنّ الحسین(علیه السلام) لمّا حضره الذی حضره دعا ابنته فاطمة الکبری فدفع إلیها کتاباً ملفوفاً ووصیّة ظاهرة، وکان علیّ بن الحسین(علیه السلام) مریضاً لا یرون أنّه یبقی بعده، فلمّا قُتل الحسین(علیه السلام) ورجع أهل بیته الی المدینة دفعت فاطمة الکتاب الی علیّ بن الحسین(علیه السلام) [۱۰۵] . وسوف نلاحظ فی احتجاج الإمام(علیه السلام) مع عمّه محمد بن الحنفیّة أنّه قال له: «إنّ أبی صلوات الله علیه أوصی إلیّ قبل أن یتوجّه الی العراق وعهد إلیّ فی ذلک قبل أن یستشهد بساعة» [۱۰۶] .

الامام زین العابدین یوم عاشوراء

إنّ أشدّ ما کان یحزّ فی نفوس أهل بیت الرسالة ومحبّیهم ما رواه حمید ابن مسلم، وهو شاهد عیان بعد ظهر الیوم العاشر من المحرّم إثر استشهاد [صفحه ۵۶] الإمام الحسین(علیه السلام) إذ قال: لقد کنت أری المرأة من نسائه وبناته وأهله تنازع ثوبها من ظهرها حتی تغلب علیه فیُذهب به منها. ثمّ انتهینا إلی علیّ بن الحسین(علیه السلام) وهو منبسط علی فراش وهو شدید المرض، ومع شمر جماعة من الرجّالة، فقالوا له: ألا تقتل هذا العلیل؟ فقلت: سبحان الله أیقتل الصبیان؟! إنّما هذا صبیٌّ وإنّه لما به، فلم أزل حتی دفعتهم عنه. وجاء عمر بن سعد فصاحت النساء فی وجهه وبکین، فقال لأصحابه: لا یدخل أحد منکم بیوت هؤلاء النسوة ولا تتعرّضوا لهذا الغلام المریض... من أخذ من متاعهنّ شیئاً فلیردّه علیهن، فوالله ما ردّ أحد منهم شیئاً [۱۰۷] . وهکذا شارک الإمام زین العابدین(علیه السلام) أباه الحسین السبط(علیه السلام) فی جهاده ضد الطغاة ولکنه لم یرزق الشهادة مع أبیه والأبرار من أهل بیته وأصحابه، فإنّ الله سبحانه کان قد حفظه لیتولّی قیادة الاُمّة بعد أبیه(علیه السلام) ویقوم بالدور المعدّ له لصیانة رسالة جده(صلی الله علیه وآله) من أیدی العتاة العابثین وانتحال الضالّین المبطلین ومن التیارات الوافدة علی حضیرة الإسلام التی أخذت رقعتها بالاتّساع والانتشار السریع. [صفحه ۵۹]

الامام زین العابدین من کربلاء الی المدینة

الامام زین العابدین بعد ملحمة عاشوراء

اشارة

ذکر المؤرّخون عن شاهد عیان أنّه قال: قدمت الکوفة فی المحرّم من سنة احدی وستّین، منصرف علیّ بن الحسین(علیه السلام)

بالنسوة من كربلاء ومعه الأجناد يحيطون بهم، وقد خرج الناس للنظر اليهم، فلمّا اُقبل بهم على الجمال بغير وطاء جعل نساء الكوفة يبكين، ويلتدِمنَ [۱۰۸] ، فسمعت عليّ بن الحسين وهو يقول بصوت ضئيل وقد نهكته العلّة وفي عنقه الجامعة ويده مغلولة إلى عنقه: «إنّ هؤلاء النسوة يبكين فمن قتلنا؟!» [۱۰۹] . وعندما أدخلوا الإمام السجاد(عليه السلام) على ابن زياد سأله من أنت؟ فقال: «أنا عليّ بن الحسين»، فقال له: أليس قد قتل الله عليّ بن الحسين؟ فقال عليّ(عليه السلام): «قد كان لي أخ يسمّى عليّاً قتله الناس، فقال ابن زياد: بل الله قتله، فقال عليّ بن الحسين(عليه السلام): (الله يتوفّى الأنفس حين موتها)، فغضب ابن زياد وقال: وبك جرأة لجوابي وفيك بقية للردّ عليّ؟! اذهبوا به فاضربوا عنقه [۱۱۰] . [صفحه ۶۰] فتعلّقت به عمّته زينب وقالت: ياابن زياد، حسبك من دمائنا، واعتنقته وقالت: لا والله لا اُفارقه فإن قتلته فاقتلني معه، فقال لها عليّ(عليه السلام): اسكتي يا عمّة حتى اُكلّمه، ثمّ أقبل عليه فقال: أبالقتل تهدّدني ياابن زياد؟ أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة؟ ثمّ أمر ابن زياد بعلي بن الحسين(عليه السلام) وأهل بيته فحملوا إلى دار بجنب المسجد الأعظم، ولمّا أصبح ابن زياد أمر برأس الحسين(عليه السلام) فطيف به في سكك الكوفة كلّها وقبائلها، ولمّا فرغ القوم من الطواف به في الكوفة ردّوه إلى باب القصر [۱۱۱] . ثمّ إنّ ابن زياد نصب الرؤوس كلّها بالكوفة على الخشب، كما أنّه كان قد نصب رأس مسلم بن عقيل من قبل بالكوفة. وكتب ابن زياد إلى يزيد يخبره بقتل الحسين(عليه السلام) وخبر أهل بيته [۱۱۲] كما بعث إلى عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة ـ وهو من بني اُمية ـ يخبره بقتل الحسين(عليه السلام). ولمّا وصل كتاب ابن زياد إلى الشام أمره يزيد بحمل رأس الحسين(عليه السلام) ورؤوس من قتل معه إليه، فأمر ابن زياد بنساء الحسين(عليه السلام) وصبيانه فجُهِّزوا، وأمر بعليّ بن الحسين(عليهما السلام) فغُلّ بغِلٍّ إلى عنقه، ثمّ سرّح بهم في أثر الرؤوس مع مجفر بن ثعلبة العائذي وشمر بن ذي الجوشن، وحملهم على الأقتاب، وساروا بهم كما يسار بسبايا الكفار، فانطلقوا بهم حتى لحقوا بالقوم الذين معهم الرؤوس، فلم يكلّم عليّ بن الحسين(عليه السلام) أحداً منهم في الطريق بكلمة حتى بلغوا الشام [۱۱۳] . [صفحه ۶۱]

سبايا آل البيت في دمشق

خضعت الشام منذ فتحها بأيدي المسلمين لحكّام مثل خالد بن الوليد ومعاوية بن أبي سفيان، فلم يشاهد الشاميّون النبيّ(صلى الله عليه وآله) ولم يسمعوا حديثه الشريف منه مباشرةً، ولم يطّلعوا على سيرة أصحابه عن كثب، أمّا النفر القليل من صحابة رسول الله(صلى الله عليه وآله) الذين انتقلوا إلى الشام وأقاموا فيها فلم يكن لهم أثر في الناس، فكانت النتيجة أنّ أهل الشام اعتبروا سلوك معاوية بن أبي سفيان وأصحابه سنّة للمسلمين، ولمّا كانت الشام خاضعة للإمبراطورية الرومية قروناً طويلة، فقد كانت حكومات العصر الإسلاميّ أفضل من سابقاتها بالنسبة للشاميّين. ومن هنا ليس أمراً عجيباً أن نقرأ في كتب التأريخ أنّ شيخاً شامياً دنا من الإمام السجاد(عليه السلام) عند دخول سبايا آل محمّد(صلى الله عليه وآله) الشام وقال له: الحمد الله الذي أهلككم وأمكن الأمير منكم. فقال له الإمام(عليه السلام): يا شيخ أقرأت القرآن؟ فقال الشيخ: بلى. فقال له الإمام(عليه السلام): أقرأت (قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى)؟ فقال الشيخ: بلى. فقال له الإمام(عليه السلام): فنحن القربى، يا شيخ! ثمّ قال له: فهل قرأت (وآتِ ذا القربى حقّه)؟ قال: قد قرأت ذلك. قال(عليه السلام): فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية: (واعلموا أنّما غنمتم من شيء فإنّ لله خمسه وللرسول ولذي القربى)؟ [صفحه ۶۲] قال: نعم. قال الإمام(عليه السلام): نحن القربى. يا شيخ! هل قرأت (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً)؟ قال الشيخ: بلى. قال له الإمام(عليه السلام): نحن أهل البيت الذين اختصّنا الله بآية الطهارة. قال الشيخ: بالله إنّكم هم؟! قال الإمام(عليه السلام): تالله إنّا لنحن هم من غير شكٍّ وحقِّ جدِّنا رسول الله(صلى الله عليه وآله) إنّا لنحن هم. فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهمّ إنّي أبرأ اليك من عدوّ آل محمّد [۱۱۴] . وذكر المؤرّخون أنّه لمّا قدم عليّ بن الحسين(عليه السلام) وقد قُتل الحسين بن عليّ(عليه السلام) استقبله ابراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقال: يا عليّ بن الحسين،

من غلب؟ وهو مغطّ رأسه وهو فی المحمل، فقال له علیّ بن الحسین: إذا أردت أن تعلم من غلب ودخل وقت الصلاة فأذّن ثمّ أقم [۱۱۵] . لقد کان جواب علیّ بن الحسین(علیه السلام) أنّ الصراع إنّما هو علی الأذان وتکبیر الله تعالی والإقرار بوحدانیّته ولیس علی رئاسة بنی هاشم، وأنّ استشهاد الحسین والصفوة من أهل بیته وأصحابه هو سبب بقاء الإسلام المحمّدی وثباته أمام جاهلیة بنی اُمیّة ومن حذا حذوهم ممّن لم یذوقوا حلاوة الإیمان والإسلام. [صفحه ۶۳]

الامام فی مجلس یزید

اُدخل رأس الحسین(علیه السلام) ونساؤه ومن تخلّف من أهله علی یزید وهم مقرّنون فی الحبال وزین العابدین(علیه السلام) مغلول، فلمّا وقفوا بین یدیه علی تلک الحال تمثّل یزید بشعر حصین بن حمام المرّی قائلًا: نفلّقُ هاماً من رجال أعزّة علینا وهم کانوا أعقَّ وأظلما [۱۱۶] . فردّ علیه الإمام علیّ بن الحسین(علیه السلام) بقوله تعالی: (ما أصاب من مصیبة فی الأرض ولا فی أنفسکم إلاّ فی کتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلک علی الله یسیر لکیلا تأسوا علی ما فاتکم ولا تفرحوا بما آتاکم والله لا یحبّ کلَّ مختال فخور) [۱۱۷] . وتمیّز یزید غضباً، فتلا قوله تعالی: (ما أصابکم من مصیبة فبما کسبت أیدیکم ویعفوا عن کثیر) [۱۱۸] . وینقل المؤرّخون عن فاطمة بنت الحسین(علیه السلام) قولها: فلمّا جلسنا بین یدی یزید رقّ لنا فقام إلیه رجل من أهل الشام أحمر، فقال: یا أمیر المؤمنین، هب لی هذه الجاریة ـ یعنینی ـ فأرعدت وظننت أنّ ذلک جائز لهم فأخذت بثیاب عمّتی زینب وکانت تعلم أنّ ذلک لا یکون. فقالت عمّتی للشامی: کذبت والله ولؤمت والله، ما ذاک لک ولا له! فغضب یزید وقال: کذبت إنّ ذلک لی ولو شئت أن أفعل لفعلت! قالت: کلاّ والله ما جعل الله لک ذلک إلاّ أن تخرج من ملتنا وتدین بغیرها، فاستطار یزید غضباً، وقال: إیّای تستقبلین بهذا؟ إنّما خرج من الدین [صفحه ۶۴] أبوک وأخوک! قالت: بدین الله ودین أبی ودین أخی اهتدیت أنت وجدّک وأبوک إن کُنت مسلماً، قال: کذبتِ یا عدوّة الله! قالت: أنت أمیر تشتم ظالماً وتقهر بسلطانک، فکأنّه استحیی وسکت. فعاد الشامیّ فقال: هب لی هذه الجاریة، فقال یزید: اعزب، وهب الله لک حتفاً قاضیاً [۱۱۹] . ویبدو أنّ اعتماد یزید لهجة أقلّ قسوة وشراسة من لهجة ابن زیاد فی الکوفة یعود إلی أنّ الأخیر کان یرید أن یدلّل علی إخلاصه لسیّده، بینما لا یحتاج یزید ذلک، ولعلّ یزید أدرک أنّه قد ارتکب خطأً کبیراً فی قتله الحسین(علیه السلام) وسبیه أهل بیت النبوّة، من هنا فإنّه أراد تخفیف مشاعر السخط تجاهه. وفی تلک الأیام أوعز یزید إلی خطیب دمشق أن یصعد المنبر ویبالغ فی ذمّ الحسین وأبیه(علیهما السلام) فانبری الیه الإمام زین العابدین(علیه السلام) فصاح به: «ویلک أیّها الخاطب، إشتریت رضاء المخلوق بسخط الخالق فتبوّأ مقعدک من النار». واتّجه الإمام نحو یزید فقال له: «أتأذن لی أن أصعد هذه الأعواد فأتکلّم بکلمات فیهنّ لله رضیً، ولهؤلاء الجالسین أجرٌ وثواب...». وبهت الحاضرون وعجبوا من هذا الفتی العلیل الذی ردّ علی الخطیب والأمیر وهو أسیر، فرفض یزید إجابته، وألحّ علیه الجالسون بالسماح له فلم یجد بُدّاً من إجابتهم فسمح له، واعتلی الإمام أعواد المنبر، وکان من جملة ما [صفحه ۶۵] قاله: «أیّها الناس، اُعطینا ستاً، وفُضّلنا بسبع: اُعطینا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبّة فی قلوب المؤمنین، وفُضّلنا بأن منّا النبیّ المختار محمّداً(صلی الله علیه وآله) ومنّا الصِّدّیق ومنّا الطیّار ومنّا أسد الله وأسد الرسول(صلی الله علیه وآله) ومنّا سیّدة نساء العالمین فاطمة البتول، ومنّا سبطا هذه الاُمّة وسیّدا شباب أهل الجنّة». وبعد هذه المقدّمة التعریفیة لاُسرته أخذ(علیه السلام) فی بیان فضائلهم، قائلًا: «فمن عرفنی فقد عرفنی، ومن لم یعرفنی أنبأته بحسبی ونسبی. أنا ابن مکّة ومنی، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الزکاة بأطراف الرداء، أنا ابن خیر من ائتزر وارتدی، أنا ابن خیر من انتعل واحتفی، أنا ابن خیر من طاف وسعی، أنا ابن خیر من حجّ ولبّی، أنا ابن من حُمل علی البراق فی الهواء، أنا ابن من اُسری به من المسجد الحرام إلی المسجد الأقصی، فسبحان من أسری، أنا ابن من بلغ به جبرئیل إلی سدرة المنتهی، أنا ابن من دنا فتدلّی فکان قاب قوسین أو أدنی، أنا ابن من صلّی بملائکة السماء، أنا ابن من أوحی الیه الجلیل ما أوحی، أنا ابن محمّد المصطفی، أنا ابن علیّ المرتضی، أنا ابن من ضرب خراطیم الخلق حتی قالوا: لا إله إلاّ الله. أنا ابن من ضرب بین یدی رسول الله(صلی الله علیه وآله) بسیفین،

وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وقاتل ببـدر وحُنين، ولم يكفر بالله طرفة عين. أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيّين، وقـاطع الملحـدين، ويعسوب المسـلمين، ونور المجاهـدين، وزين العابـدين، وتاج البكّائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين ورسول ربّ العالمين. أنا ابن المؤيّد بجبرئيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامى عن حرم المسلمين وقاتل الناكثين والقاسطين والمـارقين، والمجاهـد أعـداءه النـاصبين، وأفخر مـن مشـى مـن قريش أجمعين، وأوّل من أجـاب واسـتجاب لله من المـؤمنين، وأقـدم السابقين، وقاصم [صفحه ۶۶] المعتدين، ومبير المشركين، وسهم من مرامى الله، وبستان حكمة الله،... ذاك جدّى علىّ بن أبى طالب. أنا ابن فاطمـة الزهراء، أنا ابن سيّدة النساء، أنا ابن الطهر البتول، أنا ابن بضـعة الرسول(صـلى الله عليه وآله)، أنا ابن المرمّل بالدماء، أنا ابن ذبيـح كربلاـء، أنا ابن من بكى عليه الجنّ فى الظلماء، وناحت عليه الطير فى الهواء». ولم يزل الإمام يقول: أنا أنا حتى ضـجّ الناس بالبكاء، وخشـى يزيـد من وقوع الفتنـة وحـدوث ما لا تحمـد عقباه، فقـد أوجـد خطاب الإمام انقلاباً فكرياً إذ عرّف الإمام نفسه لأهل الشـام وأحـاطهم علمـاً بمـا كانوا يجهلون. فأوعز يزيـد إلى المؤذّن أن يؤذّن ليقطع على الإمام كلامه، فصاح المؤذن «الله أكبر» فالتفت إليه الامـام فقـال له: «كبّرت كبيراً لا يقاس، ولا يـدرك بالحواس، لا شـىء أكبر من الله»، فلمّا قال المؤذّن: أشـهد أن لا إله إلاّ الله قال الإمـام(عليه السـلام): «شـهد بهـا شـعرى وبشـرى ولحمى ودمى ومخى وعظمى»، ولمّا قال المؤذّن: أشـهد أنّ محمـداً رسول الله التفت الإمام إلى يزيـد فقال له: «يا يزيـد! محمّـد هـذا جـدّى أم جـدّك؟ فإن زعمت أنّـه جـدّك فقد كذبت، وإن قلت: أنّـه جدّى فلمَ قتلت عترته [۱۲۰] »؟! ووجم يزيـد ولم يجر جواباً، فإنّ الرسول العظيم(صـلى الله عليه وآله) هو جـدّ سـيّد العابـدين، وأمّا جـدّ يزيـد فهوأبو سفيـان العـدوّ الأـوّل للنبىّ(صـلى الله عليه وآله)، وتبيّن لأهـل الشـام أنّهم غارقون فى الإثم، وأنّ الحكم الاُموىّ قـد جهـد فى إغوائهم وإضـلالهم، وتبيّن بوضوح أنّ الحقد الشخصـىّ وغياب النضج السياسىّ هما السببان لعدم [صفحه ۶۷] إدراك يزيـد عمق ثورة الإمام الحسين(عليه السـلام) ممّا أدّى إلى توهّمه بأنّها لن تؤدّىَ إلى نتائـج خطيرة على حكمه. ولعلّ أكبر شاهـد على هـذا التوهّم هو رسالة يزيد فى بدايات تسـلّمه الحكم لواليه على المدينة والتى أمره فيها بأخذ البيعة من الحسـين(عليه السلام) أو قتله وبعث رأسه إلى دمشق إن رفض البيعة. وفى سياق الحديث عن حسابات يزيد الخاطئة نُشير أيضاً إلى عملية نقل أسرى أهل البيت(عليهم السلام) إلى الكوفة، ومن ثمّ إلى الشام، وما تخلّل ذلك من ممارسات إرهابيـة عكست نزعته الإجراميـة، ولم يلتفت يزيد إلى خطورة الجريمة التى ارتكبها إلاّ بعـد أن تدفّقت عليه التقارير التى تتحدّث عن ردود الفعل والاحتجاجات على قتله ريحانة رسول الله(صـلى الله عليه وآله)، ولذلك حاول أن يلقى مسؤولية الجريمة البشعة على ابن مرجانة، قائلاً للإمام السجاد(عليه السلام): لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو أنّى صاحب أبيك ما سألنى خصـلة أبـداً إلاّ أعطيته إيّاها، ولدفعت الحتف عنه بكلّ ما اسـتطعت، ولكن الله قضـى الله ما رأيت، كاتبنى من المدينة وأنْهِ كلَّ حاجـة تكون لك [۱۲۱] . والتقى الإمـام السـجاد(عليه السـلام) خلال وجوده فى الشام بالمنهال بن عمرو، فبادره قائلاً: كيف أمسـيت يا ابن رسول الله؟ فرمقه الإمام بطرفه وقال له: «أمسينا كمَثَل بنى إسرائيل فى آل فرعون، يذبّحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، أمست العرب تفتخر على العجم بـأنّ محمّـداً منهـا، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأنّ محمّـداً منها، وأمسـينا أهل بيته مقتولين مشـرّدين، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون» [۱۲۲] . [صفحه ۶۸] وعهد يزيد إلى النعمان بن بشـير أن يصاحب ودائع رسول الله(صـلى الله عليه وآله) وعقائل الرسالة فيردَّهنّ إلى يثرب [۱۲۳] وأمر بإخراجهنّ ليلاً خوفاً من الفتنة واضطراب الأوضاع [۱۲۴] . [صفحه ۶۹]

الامام زين العابدين فى المدينة

اشاره

بدأت ردود الفعل على مقتل الإمام الحسـين(عليه السـلام) بالظهور مع دخول سـبايا أهل البيت(عليهم السلام) إلى الكوفة. فبالرغم من القمع والإرهـاب اللـذين مارسـهما ابن زياد مع كلّ من كان يبـدى أدنى معارضـة ليزيـد، فإنّ أصواتاً بـدأت ترتفع محتجّـةً على الظلم

السائد. فعندما صعد ابن زياد المنبر وأثنى على يزيد وحزبه وأساء إلى الحسين(عليه السلام) وأهل بيت الرسالة «قام إليه عبد الله بن عفيف الأزدى وقال له: يا عدوّ الله إنّ الكذّاب أنت وأبوك والذى ولاّك وأبوه يابن مرجانة، تقتل أولاد النبيّين وتقوم على المنبر مقام الصدّيقين؟! فقال ابن زياد: علىّ به، فأخذته الجلاوزة فنادى بشعار الأزد، فاجتمع منهم سبعمائة فانتزعوه من الجلاوزة، فلمّا كان الليل أرسل إليه ابن زياد من أخرجه من بيته فضرب عنقه وصلبه» [١٢٥] ، ومع أنّ هذه المواجهة انتهت لصالح ابن زياد لكنّها كانت مقدّمة لاعتراضات اُخرى. وظهرت فى الشام أيضاً بوادر السخط والاستياء، الأمر الذى جعل يزيد ينحو باللائمة فى قتل الحسين(عليه السلام) على ابن زياد، إلاّ أنّ أشدّ ردود الفعل كانت تلك التى برزت فى الحجاز، فقد انتقل عبد الله بن الزبير إلى مكة فى الأيّام الاُولى من حكومة يزيد، واتّخذها قاعدة لمعارضته للشام، وقام بتوظيف [صفحه ٧٠] فاجعة كربلاء للتنديد بنظام يزيد، وألقى خطاباً وصف فيه العراقيّين بعدم الوفاء، وأثنى على الحسين بن علىّ(عليه السلام) ووصفه بالتقوى والعبادة. وفى المدينة ألقى الإمام زين العابدين(عليه السلام) خطاباً فى أهلها لدى عودته من الشام والعراق، يقول المؤرّخون: إنّ الإمام(عليه السلام) جمع الناس خارج المدينة قبل دخوله اليها، وخطب فيهم قائلًا: «الحمد لله ربّ العالمين مالك يوم الدين بارئ الخلائق أجمعين، الذى بَعُد فارتفع فى السماوات العُلى، وقَرُب فشهد النجوى، نحمده على عظائم الاُمور، وفجائع الدهور، ومضاضة اللواذع، وجليل الرزء، وعظيم المصائب الفاظعة الكاظّة الفادحة الجائحة. أيّها القوم، إنّ الله ـ وله الحمد ـ ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة فى الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبد الله الحسين(عليه السلام) وسُبى نساؤه وصبيته، وداروا برأسه فى البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزيّة التى لا مثلها رزيّة. أيّها الناس، فأىّ رجالات منكم يسرّون بعد قتله؟! أم أىّ فؤاد لا يحزن مِن أجله؟! أم أيّة عين منكم تحبس دمعها وتضنّ عن انْهمالِها؟! فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسماوات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان ولجج البحار والملائكة المقرّبون وأهل السماوات أجمعون. يا أيّها الناس، أىّ قلب لا ينصدع لقتله؟! أم أىّ فؤاد لا يحنّ إليه؟! أم أىّ سمع يسمع هذه الثلمة التى ثلمت فى الإسلام ولا يصمّ؟! أيّها الناس، أصبحنا مطرودين مشرّدين مذودين وشاسعين عن الأمصار، كأ نّا أولاد ترك وكابل، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة فى الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأوّلين، إنْ هذا إلاّ اختلاق. والله، لو أنّ النبىّ تقدّم اليهم فى قتالنا كما تقدم اليهم فى الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفجعها وأكظّها [صفحه ٧١] وأفظعها وأمرّها وأفدحها! فعند الله نحتسب فيما أصابنا وأبلغ بنا، فإنّه عزيز ذو انتقام» [١٢٦] . لقد جسّد هذا الخطاب ـ على قصره ـ واقعة كربلاء على حقيقتها مركّزاً على المظلومية التى لحقت بأهل البيت(عليهم السلام) فى قتل الحسين بن علىّ(عليه السلام) من جانب، وأسرِ أهل بيته من جانب آخر، بالإضافة إلى المظلومية التى لحقتهم بعد واقعة الطفّ، إذ حملت رؤوس الشهداء بما فيهم سيّدهم الحسين(عليه السلام) فوق الأسنّة من بلد إلى بلد. وعقّب الإمام زين العابدين(عليه السلام) ـ بلمحة سريعة ومعبّرة ومؤثّرة ـ واصفاً ما لقيه آل البيت من السبى والتشريد والتعامل السيّء والمهين، وهم أهل بيت الوحى ومعدن الرسالة، وهم قادة أهل الإيمان وأبواب الخير والرحمة والهداية. وأنهى الإمام خطابه بوصف فى منتهى الدقّة عن عظمة الجرائم التى ارتكبها جيش السلطة الاُموية فى حقّ أهل البيت(عليهم السلام)، فإن الرسول(صلى الله عليه وآله) لو كان يأمر هؤلاء بالتمثيل بأهل البيت وتعذيبهم؛ لما كانوا يزيدون على ما فعلوا، فكيف بهم وقد نهاهم عن التمثيل حتى بالكلب العقور؟! وكيف يمكن توجيه كلّ ما فعلوه وقد أوصاهم النبىّ(صلى الله عليه وآله) بحفظه فى عترته، ولم يطالبهم بأجر للرسالة سوى المودّة فى قرباه؟! فالإمام زين العابدين(عليه السلام) حاول فى خطابه هذا تكريس مظلومية أهل البيت لاستنهاض الروح الثورية فى أهل المدينة، وتحريك الوعى النهضوى ضدّ الظلم والجبروت الاُموى والطغيان السفيانى. ولم تكن الأوضاع هادئة فى المدينة فى هذه السنة التى كانت تحت [صفحه ٧٢] إدارة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان، وأوضح شاهد على اضطراب الأوضاع فى المدينة هو استبدال ثلاثة ولاة خلال عامين، واستبدل يزيد الوليد بن عتبة بعثمان بن محمد بن أبى سفيان [١٢٧] . وأراد عثمان أن يدلّل على كفاءته فى إدارة المدينة ويكسب رضا وجوهها عن يزيد وعنه فأرسل وفداً من أبناء المهاجرين والأنصار إلى دمشق، ليشاهدوا الخليفة الشابّ عن كثب وينالوا نصيبهم

من هداياه، إلّا أن الوفد رأى فى سلوك يزيد ما يشين ويقبح. ولما رجعوا إلى المدينة أظهروا شتم يزيد وعيبه، وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويضرب بالطنابير، وتعزف عنده القِيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الحراب ـ وهم اللصوص ـ وإنّا نشهدكم أنّا قد خلعناه. وقال عبد الله بن حنظلة: لو لم أجد إلّا بنيّ هؤلاء لجاهدته بهم، وقد أعطانى وأكرمنى وما قبلت عطاءه إلّا لأتقوّى به. فخلعه الناس وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد وولّوه عليهم [۱۲۸] .

ثورة أهل المدينة

إنّ نقد الوفد المدنى ليزيد لم يكن هو الدليل الوحيد عند أهل المدينة على انحراف يزيد وتنكّره للإسلام وجوره وطغيانه، بل إنّهم كانوا قد لمسوا جور يزيد وعمّاله على البلدان الإسلامية وفسقهم وشدّة بطشهم واستهتارهم [صفحه ۷۳] بالحرمات الإلهية التى لا مجال لتأويلها، إذ كيف يمكن تأويل ما ارتكبه من القتل الفظيع فى حقّ الحسين بن على بن أبى طالب(عليه السلام) ريحانة الرسول وسيّد شباب أهل الجنة وما اقترفه من السبى لأهله وحُرَمه؟ وكيف يمكن تأويل ما أظهره من شربه للخمور التى حرّمها الله بالنصّ الصريح؟! هذا، فضلًا عن حقد الاُمويين على الأنصار، والذى لم يتردّد الاُمويّون فى إظهاره لهم، ومن هنا لم يتلكّأ أهل المدينة فى اخراج عامل يزيد عليها، فحاصروا بنى اُمية وأتباعهم، وكلّم مروان بن الحكم ـ وهو العدوّ اللدود لآل الرسول (صلى الله عليه وآله) ـ الإمام زين العابدين(عليه السلام) فى منح الأمان له، فاستجاب الإمام (عليه السلام) لهذا الطلب تكرّماً [۱۲۹] وإغضاءً عن كلّ ما ارتكبه هذا العدوّ فى حقّ أهل البيت(عليهم السلام)، فى دفن الإمام الحسن(عليه السلام) وفى الضغط على الإمام الحسين(عليه السلام) من أجل أخذ البيعة ليزيد. ولمّا بلغ أمر الثورة إلى مسامع يزيد أرسل مسلم بن عقبة ليقضى على ثورة أهل المدينة ـ وهى مدينة رسول الله(صلى الله عليه وآله) ومهبط وحى الله ـ وزوّده بتعليمات خاصّة تجاههم قائلاً ـ له: اُدع القوم ثلاثاً فإن أجابوك وإلّا فقاتلهم، فإذا ظهرتَ عليهم فأبحها ـ أى المدينة ـ ثلاثاً، فما فيها من مال أو دابّة أو سلاح أو طعام فهو للجند [۱۳۰] وأمرهُ أن يُجهِز على جريحهم ويقتل مدبرهم [۱۳۱] . وصل جيش يزيد إلى المدينة، وبعد قتال عنيف مع أهلها استبسل فيه الثائرون دفاعاً عن دينهم، واستشهد أغلب المدافعين بمن فيهم عبد الله بن [صفحه ۷۴] حنظلة ومجموعة من صحابة رسول الله(صلى الله عليه وآله) ونفّذ قائد الجيش أوامر سيّده يزيد، وأوعز إلى جنوده باستباحة المدينة، فهجم الجند على البيوت وقتلوا الأطفال والنساء والشيوخ، كما أسروا آخرين. قال المؤرّخ ابن كثير: أباح مسلم بن عقبة ـ الذى يقول فيه السلف (مسرف بن عقبة) قبّحه الله من شيخ سوء ما أجهله ـ المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد ـ لا ـ جزاه الله خيراً ـ وقتل خلقاً من أشرافها وقرّائها، وانتهب أموالاً ـ كثيرة منها... وجاءته امرأة فقالت: أنا مولاتك وابنى فى الاُسارى، فقال: عجّلوه لها، فضرب عنقه، وقال: اُعطوها رأسه، ووقعوا على النساء حتى قيل: إنّه حبلت ألف أمرأة فى تلك الأيام من غير زوج. قال المدائنى، عن هشام بن حسان: ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد وقعة الحرّة من غير زوج. وروى عن الزهرى أنّه قال: كان القتلى يوم الحرّة سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار، ووجوه الموالى ممّن لا أعرف من حرٍّ وعبد وغيرهم عشرة آلاف [۱۳۲] . وحدث مرةً أن دخلت الجيوش الشامية أحد البيوت، فلمّا لم يجدوا فيه إلّا امرأة وطفلاً سألوها إن كان فى البيت شيء ينهبونه، فقالت: إنّه ليس لديها مال، فأخذوا طفلها وضربوا رأسه بالحائط فقتلوه بعد أن انتثر دماغه من أثر الضرب بالحائط [۱۳۳] . ثمّ نصب كرسىّ لمسلم بن عقبة، وجىء بالاُسارى من أهل المدينة فكان يطلب من كلّ واحد منهم أن يبايع ويقول: إنّنى عبد مملوك ليزيد بن [صفحه ۷۵] معاوية يتحكّم فىّ وفى دمى وفى مالى وفى أهلى ما يشاء [۱۳۴] . وكلّ من كان يمتنع ولم يبايع بالعبودية ليزيد وكان يصرّ على القول بأنّه عبدٌ لله ـ سبحانه وتعالى ـ كان مصيره القتل [۱۳۵] . وجىء له بيزيد بن عبد الله ـ وجدّته اُمّ سلمة زوج رسول الله(صلى الله عليه وآله) ـ مع محمد بن حذيفة العدوى، فطلب اليهما أن يبايعا، فقالا: نحن نبايع على كتاب الله وسنّة نبيّه، فقال مسلم: لا ـ والله لا اُقيلكم هذا أبداً، فقدّمهما فضرب أعناقهما. فقال مروان بن الحكم ـ وكان حاضراً ـ: سبحان الله! أتقتل رجلين من قريش أتيا ليؤمنا فضربت أعناقهما؟! فنخس مسلم مروان بالقضيب فى خاصرته، ثمّ قال له: وأنت والله لو قلت بمقالتهما ما

رأيت السماء إلاّ ـ برقـة. (أى لقُتِلْتَ) [۱۳۶] . ثمّ جىء بـآخر فقـال: إنّى اُبـايع على سنّة عمر، فقـال: اقتلوه، فقتـل [۱۳۷] . واُتى بزين العابـدين(عليه السـلام) إلى مسلم بن عقبة، وهو مغتاظ عليه فتبرّأ منه ومن آبائه. فلمّا رآه وقد أشـرف عليه ارتعد وقام له، وأقعده إلى جانبه، وقال له: سـلنى حوائجك، فلم يسأله فى أحد ممّن قدّم إلى السـيف إلاّ شـفّعه فيه، ثمّ انصـرف عنه. [صفحه ۷۶] فقيل لعلىّ بن الحسين(عليه السلام): رأيناك تحرّك شفتيك، فما الذى قلت؟ قال: «قلت: اللهمّ ربّ السماوات السبع وما أظللن، والأرضين السبع وما أقللن، ربّ العرش العظيم، ربّ محمّـد وآله الطـاهرين، أعوذ بـك من شـرّه، وأدرأ بـك فى نحره، أسألك أن تؤتينى خيره، وتكفينى شرّه». قيل لمسـلم: رأيناك تسبّ هذا الغلام وسـلفه، فلمّا اُتى به إليك رفعت منزلته؟ فقال: ما كان ذلك لرأى منّى، لقد مُلئ قلبى منه رعباً، ولم يبايع الإمام(عليه السـلام) ليزيـد كما لم يبايع علىّ بن عبـد الله بن العباس، حيث امتنع بأخواله من كنـدة، فالحصـين بن نمير نائب مسـلم بن عقبة قال: لا يبايع ابن اختنا إلاّ كبيعة على بن الحسـين [۱۳۸] . وذكر المؤرّخون: أنّ الإمام زين العابدين(عليه السـلام) كفل فى واقعـة الحرّة أربعمئـة امرأة من عبد مناف، وظلّ ينفق عليهنّ حتى خروج جيش مسـلم من المدينة [۱۳۹] . وجاء الحديث من غير وجه: أنّ مسـرف بن عقبـة لمّا قـدم المدينـة أرسل إلى علىّ بن الحسـين(عليهما السـلام) فأتاه، فلما صار إليه قرّبه وأكرمه وقال له: أوصـانى أمير المؤمنين بـبرّك وتمييزك من غيرك... [۱۴۰] . وواضـح أنّ البيعـة إذا ما عرضت بشـرطها الاسـتعبادى على الإمام(عليه السـلام) فـإنّه سيسـتمرّ على نهجه الرافض، وأنّ معنى الرفض هنا إنّه يتضـرّج بـدمائه الزكيـة، وهـذا يعنى دخول صورة من صور النقمة العارمة ضد الممارسات [صـفحه ۷۷] الاُمويـة القمعيـة التى سوف تزلزل أعمـدة الكيان الحاكم. وبعـد انتهاء الأيام الدامية على مدينة الرسول(صـلى الله عليه وآله) قال مسلم بن عقبة: اللّهمّ إنّى لم أعمل عملاً قط بعد شهادة لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله أحبّ إلىّ من قتل أهل المدينـة، ولا أرجى عنـدى فى الآخرة [۱۴۱] . كان مسـلم فى تلك الأيام قـد تجاوز التسـعين من عمره، أى انّه كان قريباً جداً من حتفه وقد هلك بُعيد وقعة الحرّة وقبل أن يصل إلى مكة، وكان من الذين لم يحملوا من الإسلام إلاّ اسمه، ووظّفوا ظاهر القرآن والحـديث لتسويغ جرائمهم، فقـد كان من المخلصـين لمعاويـة بن أبى سـفيان، وفى صـفّين كان يقود معسـكر معاويـة بن أبى سفيان ضـد الخليفة الشـرعى للمسـلمين، ألا وهو الإمام علىّ بن أبى طالب أمير المؤمنين(عليه السـلام) [۱۴۲] . ولعلّه لم يسـمع حديث الرسول(صلى الله عليه وآله) الذى جاء فيه: «من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» [۱۴۳] . ولعلّه قـد سـمع هذا الحديث، لكنّه لمّا وجد من يعتبر نفسه خليفة للنبىّ(صـلى الله عليه وآله) قد تجرّأ على قتل ابن بنت النبىّ(صـلى الله عليه وآله) وسبى بناته من مدينة إلى اُخرى، دون أن يعترض عليه أحد، فمِمّ يخشـى هو إن اعتدى على مدينة النبىّ(صـلى الله عليه وآله)؟! وبعد أن قمع بوحشـيّة ثورة أهل المدينة وأجهض انتفاضـتهم؛ توجّه مسلم إلى مكة التى أعلن فيها عبد الله بن الزبير ثورته على الحكم الاُموى، [صـفحه ۷۸] لكنّه لقى حتفه فى الطريق، فتسـلّم الحصـين بن نمير قيادة الجيش الاُموى بناءً على أوامر يزيـد، وعنـدما وصـل أطراف مكـة فرض حصـاراً عليها وضـرب الكعبـة بالمنجنيق وأحرقها [۱۴۴] . وفى الوقت الـذى كـانت فيه مكّـة تحت حصـار الجيش الاُموى لقى يزيـد حتفه، فعقـد قائـد الجيش الاُموى ـ الـذى لم يكن وقتـذاك يعرف زعيمه الذى يقاتل معه ـ مفاوضات مع ابن الزبير أعرب له فيها عن استعداده لقبول بيعته شريطة أن يرافقه إلى الشام، إلاّ أنّ ابن الزبير رفض الشرط، فعاد الحصين وجيشه إلى الشام.

انشقاق البيت الاموى

مات يزيد فى ربيع الأول من سنة (۶۴ هـ) وهو فى سنّ الثامنة والثلاثين من عمره فى حُوّارين، وكانت صـحيفة أعماله فى مدّة حكمه ـ الذى اسـتمر ثلاث سـنوات وبضـعة أشـهر ـ مُسودّة بقتل ابن بنت النبىّ وأسر أهل بيت الوحى وحرائرالرسالة إلى جانب القتل الجماعى لأهل المدينـة وهـدم الكعبـة المشـرّفة. وبعد موت يزيد بايع أهل الشام ولده معاوية، إلاّ أنّ حكمه لم يسـتمر أكثر من أربعين يوماً، إذ أعلن تنازله عن العرش، ومات بعدها فى ظروف غامضة، فانشقّت القيادات المؤيّدة لبنى اُمية على نفسها إلى كتلتين: كتلة أيّدت زعامة مروان بن الحكم، وقـد مثّل هـذا الاتجـاه القبائـل اليمانيـة بقيادة حسّان الكلبى، بينما أيّـدت قوى القيسـيّين بقيادة الضـحّاك بن قيس

الفهری، [صفحه ۷۹] عبد الله بن الزبير. وإبّان خلافة يزيد القصيرة امتدّت؛ أيدی الكلبيّن تدريجياً إلی مراكز السلطة، فمارسوا ضغوطاً شديدة علی القيسيّين،الأمر الذی أزعج الضحّاك كثيراً فانتهز الفرصة بعد موت يزيد ليبايع ابن الزبير ـ وهو من العرب العدنانية ـ واشتبك الكلبيّون والقيسيّون فی «مرج راهط» [۱۴۵] فی معركة أسفرت عن انتصار الكلبيّين، فأصبح مروان بن الحكم خليفة، واستقرّت الأوضاع المضطربة فی الشام نسبيّاً.

تزايد المعارضة للحكم الاموی

صعّد عبد الله بن الزبير معارضته للشام التی بدأها بعد موت معاوية، حيث كان قد دعا الحجازيّن لمبايعته كخليفة للمسلمين، فاستجابت له الأكثرية الساحقة منهم، وشهد العراق من جديد تحرّكات ضد الحكم الاُموی. ويبدو أنّ الذين دعو الإمام الحسين(عليه السلام) إلی العراق عبر الرسائل المتوالية ورحّبوا بممثّله اليهم ثمّ تخلّوا عنه وعن الحسين(عليه السلام) بتلك الصورة المخزية ندموا علی موقفهم المُذلّ ذاك، لكن هل الذين تحرّكوا ضدّ الشام كانوا نادمين جميعاً؟ الجواب: كلّا، فليس جميع الذين تحركوا بعد موت يزيد كانوا يحملون همّ الإسلام، فقد كان هناك من يريد إخضاع الشام للعراق وإعادة عاصمة الخلافة إلی العراق. وعلی أیّ حال، فقد أعلن المتديّنون والسياسيّون معارضتهم ضد حكم [صفحه ۸۰] الشام، لكنّهم لم يحققوا شيئاً يذكر [۱۴۶] علی صعيد إسقاط الحكم علی المدی القريب، فقتل سليمان بن صرد قائد التوّابين، ورجع من بقی من جيشه إلی الكوفة، وفی تلك الغضون أظهر المختار بن أبی عبيدة الثقفی دعوته حاملاً شعار يا لثارات الحسين (عليه السلام). بدأ المختار بإعداد الشيعة للثورة بعد فشل ثورة التوّابين، وكان يعرف جيداً أنّ أیّ تحرّك شيعی يقتضی زعامة من أهل بيت الرسالة(عليهما السلام)، وأنّ الانطلاق ينبغی أن يتمّ باسمهم ومَن أفضل من علیّ بن الحسين(عليه السلام)؟ وإن رفض الإمام الاستجابة لذلك فليس أمامه غير محمد بن علی بن أبی طالب وهو عمّ الإمام السجاد(عليه السلام). من هنا كاتب المختار الإمام زين العابدين(عليه السلام) وعمّه معاً، أمّا الإمام(عليه السلام) ـ فلم يعلن عن تأييده الصريح له، لكنّه(عليه السلام) أمضی عمله عندما ثأر من قتلة أبيه الحسين(عليه السلام). أمّا عمه محمد بن الحنفيّة فقد أجاب علی سؤال الوفد الذی جاء من الكوفة ليستفسر عن مدی شرعية الانضواء تحت راية المختار قائلاً: أما ما ذكرتم من دعاء مَن دعاكم الی الطلب بدمائنا فوالله لوددت أنّ الله انتصر لنا من عدوّنا بمن شاء من خلقه [۱۴۷] . وفهم الوفد تأييد ابن الحنفية لحركة المختار وهكذا استطاع المختار أن يستقطب كبار الشيعة مثل ابراهيم بن مالك الأشتر وغيره. [صفحه ۸۱] وأرسل المختار رأسَیْ عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد إلی الإمام فسجد(عليه السلام) شكراً لله تعالی وقال: «الحمد لله الذی أدرك لی ثأری من أعدائی وجزی الله المختار خيراً» [۱۴۸] . وقال اليعقوبی: ووجّه المختار بالرأس الخبيث (أی: رأس ابن زياد) إلی الإمام علیّ بن الحسين، وعهد إلی رسوله بأن يضع الرأس بين يدی الإمام وقت ما يوضع الطعام علی الخوان بعد الفراغ من صلاة الظهر، وجاء الرسول إلی باب الإمام، وقد دخل الناس لتناول الطعام، فرفع الرجل عقيرته ونادی: يا أهل بيت النبوّة! ومعدن الرسالة،ومهبط الملائكة، ومنزل الوحی! أنا رسول المختار بن أبی عبيدة الثقفی ومعی رأس عبيد الله بن زياد... ولم تبق علوية فی دور بنی هاشم إلّا صرخت [۱۴۹] ، ويقول المؤرّخون: إنّ الامام زين العابدين(عليه السلام) لم يُرَ ضاحكاً منذ أن استشهد أبوه إلّا فی اليوم الذی رأی فيه رأس ابن مرجانة [۱۵۰] . وعن بعض المؤرّخين: أنّه لمّا رأی الإمام رأس الطاغية قال: «سبحان الله، ما اغترّ بالدنيا إلّا من ليس لله فی عنقه نعمة، لقد اُدخل رأس أبی عبد الله علی ابن زياد وهو يتغدّی» [۱۵۱] .

سنوات المحن والاضطرابات

كانت الفترة الممتدّة بين عامی (۶۶ و ۷۵ هـ) بالنسبة للشام والحجاز [صفحه ۸۲] والعراق فترة محن واضطرابات، فلم يتحقّق فی هذه المناطق الهدوء والأمن. وشهد الحجاز هجوم قوات عبد الملك علی مكة ومقتل عبد الله بن الزبير، إلاّ أنّ نصيب العراق من

الاضطرابات کـان أکبر من المنطقتین السـابقتین. ویمکن القول بجرأة أنّ مـا لحق بأهـل العراق کان هو النتیجـة الطبیعیـة لـدعاء سـبط الرسول الأعظم (صـلی الله علیه وآله) علیهم، إذ رفع الإمام الحسـین(علیه السلام) یده بالدّعاء فی کربلاء وقال: «اللهم احبس عنهم قطر السـماء وابعث علیهم سنین کسنیّ یوسف وسلّط علیهم غلام ثقیف فیسومهم کأساً مصبَّرة فإنّهم کذّبونا وخذلونا...» [۱۵۲] . وانتقم الله تعالی من أهل العراق الذین کذّبوا الحسـین بن علیّ (علیه السـلام) وخذلوه بواسطة رجل ارهابی مستبد هو الحجاج بن یوسف الثقفی الذی کان «لا یصبر عن سفک الدماء، وارتکاب امور لا یقدر علیها غیره» [۱۵۳] . واتّخذ الحجّاج سجوناً لا تقی من حرٍّ ولا برد، وکان یعـذّب المساجین بأقسـی ألوان العـذاب وأشدّه، فکان یشدّ علی ید السـجین القصب الفارسـی المشـقوق، ویجر علیه حتی یسـیل دمه. یقول المؤرّخون: إنّه مـات فی حبسه خمسون ألف رجـل، وثلاـثون ألف امرأة منهنّ ستّ عشـرة ألف مجرّدات، وکان یحبس الرجال والنساء فی موضع واحد [۱۵۴] واُحصی فی سجنه ثلاثة وثلاثون ألف سجین لم یحبسوا فی دَین ولا تبعة [۱۵۵] ، وکان یمرّ علی أهل السجن فیقول لهم: إخسأوا فیها ولا [صفحه ۸۳] تکلِّمون [۱۵۶] . وقد کان یسخر من المسلمین الذین یزورون قبر النبیّ(صلی الله علیه وآله) ویقول: تباً لهم، إنّما یطوفون بأعواد و رمّـة بالیة، هلّا طافوا بقصـر أمیر المؤمنین عبد الملک! ألا یعلمون أنّ خلیفة المرء خیر من رسوله [۱۵۷] . وعهـد عبـد الملـک بن مروان بالملـک من بعـده إلی ولـده الولیـد، وأوصـاه بالإرهـابی الحجّـاج خیراً، وقال له: وانظر الحجاج فأکرمه، فإنّه هو الذی وطّأ لکم المنابر وهو سیفک یا ولید ویدک علی من ناواک، فلا تسمعنّ فیه قول أحد وأنت إلیه أحوج منه إلیک، وادع الناسَ إذا متُّ إلی البیعة، فمن قال برأسه هکذا فقل بسـیفک هکذا... [۱۵۸] . ومثّلت هذه الوصیة اندفاعاته نحو الشرّ حتی الساعات الأخیرة من حیاته، إذ لم یبق بعـدها إلّا لحظات حتی وافته المنیّـة، وکانت وفاته فی شوال سـنة (۸۶ هـ) [۱۵۹] وقد سئل عنه الحسن البصری فقال: ما أقول فی رجل کان الحجاج سیئة من سیئاته [۱۶۰] . [صفحه ۸۵]

استشهاد الإمام زین العابدین

وتقلّد الولید أزمّة الملک بعد أبیه عبدالملک بن مروان، وقد وصـفه المسـعودی بأنّه کان جبّاراً عنیداً ظلوماً غشوماً [۱۶۱] ، حتّی طعن عمر بن عبد العزیز الاُموی فی حکومته، فقال فیه: إنّه ممن امتلأت الأرض به جوراً [۱۶۲] . وفی عهد هذا الطاغیة الجبّار استشهد العالم الإسـلامی الکبیر سـعید بن جبیر علی ید الحجّاج بن یوسف الثقفی أعتی عامل اُموی. وقد کان الولید من أحقد الناس علی الإمام زین العابـدین(علیه السـلام) لأنّه کان یری أنّه لا یتمّ له الملک والسـلطان مع وجود الإمام زین العابدین(علیه السـلام). فقد کان الإمام(علیه السـلام) یتمتّع بشـعبیة کبیرة، حتّی تحـدّث الناس بإعجاب وإکبار عن علمه وفقهه وعبادته، وعجّت الأندیـة بالتحدّث عن صبره وسائر ملکاته، واحتلّ مکاناً کبیراً فی قلوب الناس وعواطفهم، فکان السـعید من یحظی برؤیته، ویتشـرّف بمقابلته والاسـتماع إلی حدیثه، وقد شقّ علی الاُمویین عامّة هذا الموقع المتمیّز للإمام(علیه السـلام) وأقضّ مضاجعهم، وکان من [صـفحه ۸۶] أعظم الحاقدین علیه الولید بن عبد الملک [۱۶۳] الذی کان یحلم بحکومة المسـلمین وخلافة الرسول(صـلی الله علیه وآله). وروی الزهری: عن الولید أنّه قال: لا راحـة لی وعلیّ بن الحسـین موجـود فی دار الـدنیا [۱۶۴] . فـأجمع رأیه علی اغتیـال الإمـام زین العابـدین(علیه السـلام) حینما آل الیه الملـک، فبعث سـمّاً قاتلاً ـ إلی عـامله علی یثرب، وأمره أن یـدسّه للإمـام(علیه السـلام) [۱۶۵] ونفّـذ عـامله ذلک، فسَـمَتْ روح الإمام العظیمـة إلی خالقهـا بعـد أن أضـاءت آفـاق هـذه الـدنیا بعلومهـا وعباداتهـا وجهادها وتجرّدها من الهوی. وقام الإمام أبو جعفر محمد الباقر(علیه السـلام) بتجهیز جثمان أبیه، وبعد تشـییع حافل لم تشـهد یثرب نظیراً له؛ وجیء بجثمانه الطاهر إلی بقیع الفرقد، فحفروا قبراً بجوار قبر عمّه الزکیّ الإمام الحسن المجتبی(علیه السلام) سیّد شباب أهل الجنة وریحانة رسول الله (صلی الله علیه وآله) ـ وأنزل الإمام الباقر(علیه السـلام) جثمان أبیه زین العابدین وسـیّد الساجدین(علیه السـلام) فواراه فی مقرّه الأخیر. فسـلام علیه یوم ولد ویوم استشهد ویوم یبعث حیّاً [صفحه ۸۹]

نظرة عامة فى مسيرة أهل البيت الرسالية

للوصول إلى التصور الصحيح عن المسيرة الرساليّة لأهل البيت(عليهم السلام) الرسالية لابدّ أن نجيب على الأسئلة التالية: ١ ـ ما هى الرسالة الإسلامية؟ ٢ ـ وما هى الأخطار التى كانت تواجهها؟ ٣ ـ وما هى التحصينات التى كان ينبغى اتّخاذها ضد تلك الأخطار. وقبل الإجابة نقول: هناك نظرتان أساسيتان للكون ولموقف الإنسان منه. النظرة الاولى: أن الكون مملكة لمليك قدير يراقب من وراء الستار مراقبة غير منظورة. والإنسان فى الكون هو الأمين والخليفة لا الأصيل والمتحكم؛ لأن هذه مملكة غيره بكل ما فيها من وجود بما فيها نفس الإنسان. والإنسان إنّما يقوم بأعباء الخلافة والأمانة. وهذه الخلافة والأمانة تستبطن ضرورة استيحاء الأمر والنهى والتدبير والتقدير والتقديم من قبل ذلك المليك القدير. والأمين لابد له أن يطبّق على الأمانة التى استؤمن عليها قرارات المالك. فلابد للإنسان إذن أن يكون رهن أوامر ذلك المليك القدير. [صفحه ٩٠] والجزء الآخر لهذه النظرية الأساسية: أن المسؤولية تستبطن الحساب والثواب والعقاب. وهما يستبطنان وجود عالم آخر وراء هذا العالم لتحقيق نتائج هذه المراقبة المستورة. وحينئذ لا يكون الإنسان قيد هذا الشوط القصير فى الدنيا، بل يكون رهن خط طويل، وعلى مستوى أهداف كبيرة لا يستطيع هو أن يستنزفها؛ إذ تكون أوسع من عمر الإنسان فى هذه الدنيا. وإذا أصبحت البشرية على مستوى الأهداف الكبيرة ـ لأنها انطلقت فى غاياتها وفى ثباتها إلى أكثر من حدود هذه الدنيا الفانية ـ حينئذ تستطيع أن تقوم بأعباء تلك الأهداف الكبيرة. والحضارة الإسلامية عبارة عن هذه النظرة الأساسية بكلّ شُعبها وفروعها التى ترجع بالنهاية إلى تجسيد كامل للعلاقة مع الله سبحانه وتعالى فى تفاعل الإنسان فى كلّ مجالاته الحيوية والكونية. والنظرة الثانية: هى أن يرى الإنسان نفسه أصيلاً فى هذا الكون، وأن هذا الكون غير خاضع لمليك ومراقبة من وراء الستار. وحينما تتركز فى نظره هذه الأصالة وهذا الاستقلال بهذا الكون تنعدم المسؤولية، وإذا انعدمت المسؤولية بقى عليه هو أن يتحمل المسؤولية بنفسه. فهو بدلاً من أن يشعر بأنه مسؤول ومراقب أمام جهة عُليا تضعه أمام أهداف كبرى فى سبيل الثواب الكبير والعقاب الكبير، هو يصنع لنفسه المسؤولية. وحينما يتحمّل هو وضع المسؤولية تكون هذه المسؤولية نتاج نفسه فينعكس فيما وضعه تمام ما فى نفسه، أى تمام المحتوى الداخلى والروحى والحسى بكل ما فيه من نقص وانحراف. وحينما يريد الإنسان أن يحدد لنفسه مسؤولياته؛ فإنّما يحددّها على ضوء أهدافه التى سوف يحددها على ضوء ما يراه من الطريق الذى يريد سلوكه. [صفحه ٩١] وحيث ان طريقه محدود فى نطاق المادة فسوف تكون الأهداف على مستوى الطريق المحدود... وحينئذ سوف يخسر القيم الأخلاقية ويتولد عن ذلك ـ طبعاً ـ ألوان من الصراع والنزاع بين البشرية. وجاء الإسلام لِيربى الإنسان على النظرية الاولى بحيث تصبح جزءً من وجوده وتجرى مع دمه وعروقه وفكره وعواطفه وتنعكس على كل مجالات تصرفه وسلوكه مع الله سبحانه وتعالى ومع نفسه ومع الآخرين. ولا بدّ للإسلام حينئذ أن يهيمن على هذا الإنسان، وعلى كل طاقاته وعلاقاته ليستطيع أن يربيه؛ وكلما كانت الهيمنة أوسع نطاقاً كانت التربية أكثر نجاحاً. فإنّ الأب قد لا ينجح فى تربية ابنه لأن وجود ابنه ليس كله تحت هيمنته؛ لأن هذا الابن هو ابنه وابن المجتمع أيضاً مادام يتفاعل معه ويتأثر به ويؤثر فيه ويتبادل معه العواطف والمشاعر والأفكار والانفعالات، وقد يقيم معه علاقات فى الحقول الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغير ذلك من مجالات حياته، فهو ليس ابنه وحده بل ابن المجتمع أيضاً. ومن الطبيعى أن يعجز كثير من الآباء عن تربية أبنائهم فى المجتمع الفاسد. اذن فالتربية الكاملة لا تتحقق إلّا إذا هيمن المربى على الإنسان هيمنة كاملة، على كل علاقاته الاجتماعية مع غيره بحيث يصبح تمام هذا الوجود تحت سيطرة هذا المربى، فيصير شخص واحد هو الأب وهو المجتمع. وحينئذ يصبح هذا مربّياً كاملاً. وهذا ما صنعه رسول الله(صلى الله عليه وآله) حين هيمن على العلاقات الاجتماعية لأنه تزعّم المجتمع بنفسه، فأنشأ مجتمعاً وقاده بنفسه ووقف يخطط لهذا المجتمع ويبنى كل العلاقات داخل الاطار الاجتماعى: علاقة الإنسان مع نفسه وعلاقته مع ربّه وعلاقته مع عائلته وعلاقته مع بقية أبناء مجتمعه. ولهذا [صفحه ٩٢] صارت كل هذه الأمور تحت هيمنته وبهذا استكمل الشرط الأساسى للتربية الناجحة [١٦٦] . وبالرغم من أن النبى(صلى الله عليه وآله) قد مارس عملية التغيير الشاملة للمجتمع وأعرافه وأنظمته ومفاهيمه، لكن الطريق لم يكن قصيراً أمام عملية التغيير الشاملة هذه، بل كان طريقاً ممتداً بامتداد الفواصل

المعنوية الضخمة بين الجاهلية والإسلام، فكان على النبى(صلى الله عليه وآله) أن يبدأ بإنسان الجاهلية فتنشئه إنشاءاً جديداً ويجعل منه الإنسان الإسـلامى الذى يحمل النور الجديد ويجتثّ منه كلّ جذور الجاهلية ورواسـبها. وقد خطا الرسول الأعظم(صـلى الله عليه وآله) بعمليـة التغيير هذه خطوات مدهشة فى برهة قصـيرة جدّاً [۱۶۷] حتّى وأنتجت التربيـة النبويـة انتاجاً عظيماً وحققت تحوّلاً فريداً. ولكن الاُمّة الإسـلامية ـ ككل ـ لم تكن قد عاشت فى ظل عملية التغيير هذه إلّا عقداً واحداً من الزمن على أكثر تقدير، وهذا الزمن لا يكفى عادةً فى منطق الرسالات العقائديـة والـدعوات التغييريـة ليرتفع الجيل الـذى عاش فى كنف الرسالـة عشـر سـنوات فقط إلى درجة من الوعى والموضوعيـة والتّحرر من رواسب الماضـى والاستيعاب لمعطيات الرسالـة الجديـدة استيعاباً يؤهله للقيمومـة على الخط الرسالى وتحمّـل مسؤوليات الـدعوة الى الله تعالى على بصيـرة تامّـة ومواصـلة عمليـة التغيير الشاملـة بـدون قائـد رسالىّ. بل ان منطق الرسالات العقائديـة يفرض أن تمرّ الاُمّة بوصاية عقائدية فترة أطول من الزمن تهيؤها للارتفاع إلى مسـتوى تلك القيمومة [۱۶۸] . [صفحه ۹۳] وباعتبار أن الاسـلام كان يريـد تحقيق أهـدافه كاملـة كان ينبغى أن يسـتمر تطبيقه على يد الرسول(صـلى الله عليه وآله) نفسه فيمتدّ به العمر حتى يسـتكمل كلّ الشـروط اللازمـة للتربيـة الشاملـة فى فترة زمنيـة كافيـة أو يوكل أمر تطبيق الإسـلام إلى من يخلفه من القادة الأكفاء الـذين بلغوا درجـة العصـمة فى مسـتواهم العقائـدى والفكرى والعملى ليصونوا أمر التربية من أى انحراف أو انهيار. اذن منطق العمل التغييرى على مسار التاريـخ كان يفرض على النبى(صـلى الله عليه وآله) أن يصون تجربته من أىّ ضـعف أو اندحار، وذلك من خلال اسـتمرار الوصايـة على التجربـة الانقلابيـة الجديـدة وهكـذا كـان فقـد تمثّلـت مهمّـة صـيانته للتجربـة الفتيّة فى أهـل بيته المعصومين(عليهم السـلام) الذين أعدّهم بنفسه إعداداً رسالياً وقيادياً خاصّاً ليكونوا قادرين على مواصـلة عملية التغيير الشاملة بالشكل المطلوب، والمنسجم مع أهداف الرسالة الكبرى.

الاخطار التى كان يواجهها الإسلام

لم يكن الإسـلام نظريـة بشـرية لكى تتحـدَّدْ فكرياً من خلال الممارسة والتطبيق وتتبلور مفاهيمه عبر التجربة المخلصة، وإنما هو رسالة الله التى حُـدّدت فيهـا الأحكام والمفاهيم وزوّدت ربّانياً بكلّ التشـريعات العامّـة التى تتطلبها التجربـة، فلا بـدّ لزعامـة هـذه التجربـة من استيعاب الرسالة بحدودها وتفاصيلها ووعى كامل لأحكامها ومفاهيمها، وإلّا كانت مضـطرة إلى اسـتلهام مسبّقاتها الذهنية ومرتكزاتها القَبْليـة وذلك يؤدّى إلى نكسـة فى مسيرة التجربـة وبخاصـة إذا لاحظنا أن الإسـلام كان هو الرسالة الخاتمة من رسالات السـماء التى يجب أن تمتد مع الزمن وتتعدى كل الحدود الوقتية والاقليمية والقومية، الأمر الذى لا يسمح بأن تمارس زعامته ـ التى تشكل الأساس لكلّ ذلك الإمتداد ـ تجارب الخطأ والصواب التى تتراكم فيها الأخطاء عبر فترة من [صفحه ۹۴] الزمن حتى تشكل ثغرة تهدد التجربة بالسقوط والانهيار [۱۶۹] . وقـد برهنت الأحـداث بعـد وفاة الرسول(صـلى الله عليه وآله) على هذه الحقيقة وتجلّت بعد نصف قرن أو أقلّ من خلال ممارسـة جيـل المهـاجرين الـذين لم يُرَشَّحوا من قبل الرسول(صـلى الله عليه وآله) لإمامـة الـدعوة ولم يكونوا مؤهلين للقيمومة عليها. ولم يمض ربع قرن حتى بدأت الخلافة الراشدة تنهار تحت وقع الضـربات الشـديدة التى وجّهها أعداء الإسلام القدامى فاسـتطاعوا أن يتسلّلوا إلى مراكز النفوذ فى التجربـة بالتدريـج ويشـغلوا القيادة غير الواعيـة ثم صادروا بكل وقاحة وعنف تلك القيادة وأجبروا الاُمّـة وجيلها الطليعى الرائـد على التنازل عن شخصـيّته وقيادته وتحولت الزعامـة إلى ملك موروث يسـتهتر بالكرامات ويقتل الأبرياء ويبعثر الأموال ويعطّل الحدود ويجمّد الأحكام ويتلاعب بمقدرات الناس وأصـبح الفيىء والسواد بستاناً لقريش، والخلافة كرة يتلاعب بها صبيان بنى أمية [۱۷۰] .

مضاعفات الانحراف فى القيادة الإسلامية

وهكذا واجه الإسـلام بعد النبى(صـلى الله عليه وآله) انحرافاً خطيراً فى صـميم التجربة الإسلامية التى أنشأها النبى(صلى الله عليه وآله)

للمجتمع الإسلامى والاُمّة الإسلامية. وهذا الانحراف فى التجربة الاجتماعية والسياسية للأمّة فى الدولة الإسلامية كان بحسب طبيعة الاشياء من المفروض أن يتسع ليتعمق بالتدريج على مرّ الزمن؛ اذ الانحراف يبدأ بذرة ثمّ تنمو هذه البذرة، وكلما تحققت مرحلة من الانحراف؛ مهّدت هذه المرحلة لمرحلة أوسع وأرحب. فكان من المفروض أن يصل هذا الانحراف إلى خط منحن طوال [صفحه ۹۵] عملية تاريخية زمنية طويلة المدى يصل به إلى الهاوية فتمر التجربة الإسلامية للمجتمع والدولة لتصبح مليئة بالتناقضات من كل جهة ومن كل صوب، وتصبح عاجزة عن مواكبة الحدّ الأدنى من حاجات الاُمّة ومصالحها الإسلاميّة والإنسانيّة. وحينما يتسلسل الانحراف فى خط تصاعدى فمن المنطقى أن تتعرض التجربة بعد مدى من الزمن لانهيار كامل. إذن الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامى والحضارة الإسلامية لقيادة المجتمع كان من المفروض أن تتعرض كلّها للانهيار الكامل؛ لأن هذه التجربة حين تصبح مليئة بالتناقضات وحين تصبح عاجزة عن مواجهة وظائفها الحقيقية؛ تصبح عاجزة عن حماية نفسها؛ لأن التجربة تكون قد استنفدت إمكانية البقاء والاستمرار على مسرح التاريخ، كما أن الاُمّة ليست على مستوى حمايتها؛ لأن الاُمّة لا تجنى من هذه التجربة الخير الذى تفكّر فيه ولا تحقق عن طريق هذه التجربة الآمال التى تصبو اليها فلا ترتبط بأى ارتباط حياتى حقيقى معها، فالمفروض أن تنهار هذه التجربة فى مدى من الزمن كنتيجة نهائية حتمية لبذرة الانحراف التى غرست فيها.

مضاعفات انهيار الدولة الإسلامية

ومعنى انهيار الدولة الإسلامية أن تسقط الحضارة الإسلامية وتتخلى عن قيادة المجتمع ويتفكك المجتمع الإسلامى، ويُقصى الإسلام عن مركزه كقائد للمجتمع وكقائد للاُمّة، لكن الاُمّة تبقى طبعاً، حين تفشل تجربة المجتمع والدولة، لكنها سوف تنهار أمام أول غزو يغزوها، كما انهارت أمام الغزو التترى الذى واجهته الخلافة العباسية. وهذا الانهيار يعنى: أن الدولة والتجربة قد سقطت وأن الاُمّة بقيت، [صفحه ۹۶] لكن هذه الاُمّة أيضاً بحسب تسلسل الأحداث من المحتوم أن تنهار كاُمّة تدين بالإسلام وتؤمن به وتتفاعل معه؛ لأن هذه الاُمّة قد عاشت الإسلام الصحيح زمناً قصيراً جداً وهو الزمن الذى مارس فيه الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) زعامة التجربة وبعده عاشت الاُمّة التجربة المنحرفة التى لم تستطع أن تعمّق الإسلام وتعمّق المسؤولية تجاه عقيدتها ولم تستطع أن تثقّفها وتحصّنها وتزوّدها بالضمانات الكافية لئلّا تنهار أمام الحضارة الجديدة والغزو الجديد والأفكار الجديدة التى يحملها الغازى إلى بلاد الإسلام. ولم تجد هذه الاُمّة نفسها قادرة على تحصين نفسها بعد انهيار التجربة والدولة والحضارة بعدما اُهينت كرامتها وحُطِّمتْ ارادتها وغُلّت أياديها عن طريق الزعامات التى مارست تلك التجربة المنحرفة وبعد أن فَقَدتْ روحها الحقيقية، لأن تلك الزعامات كانت تريد اخضاعها لزعامتها القسريّة. إن هذه الاُمّة من الطبيعى أن تنهار بالاندماج مع التّيار الكافر الذى غزاها وسوف تذوب الاُمّة وتذوب الرسالة والعقيدة أيضاً وتصبح الاُمّة خبراً بعد أن كانت أمراً حقيقياً على مسرح التاريخ وبهذا ينتهى دور الإسلام نهائياً [۱۷۱] . لقد كان هذا هو التسلسل المنطقى لمسيرة الدولة والاُمّة والرسالة بقطع النظر عن دور الأئمّة المعصومين الذين اُوكِلت لهم مهمة صيانة التجربة والدولة والاُمّة والرسالة جميعاً. ويتلخص دور الأئمّة الراشدين الذين اختارهم الله ونص عليهم الرسول(صلى الله عليه وآله) لصيانة الإسلام وتطبيقه وتربية الإنسانية على أساسه وصيانة دولة الرسول الخاتم من الانهيار والتردّى فى أمرين مهمّين وخطّين أساسيين بعد أن كانت التجربة الإسلامية تشتمل على عناصر ثلاثة باعتبارها [صفحه ۹۷] عملية تربية تتكوّن من (فاعل) هو المربى ومن (تنظيم) تقدّمه الشريعة ومن (حقل لهذا التنظيم) وهو الاُمّة [۱۷۲] . والانحراف الذى بدأ يغيّر هذه العناصر الثلاثة انطلق من افتقاد المربى الكفوء للاُمّة بوفاة سيد المرسلين(صلى الله عليه وآله). وكان انهدام هذا العنصر كفيلًا بهدم العنصرين الآخرين إذ لم يكن مَن جاء بعد النبى(صلى الله عليه وآله) لقيادة التجربة كفوءاً لقيادتها كالنبى نفسه علماً وعصمةً ونزاهةً وقدرةً وشجاعةً وكمالاً، وإنّما تزعّمها مَن لم يكن معصوماً ومنصهراً فى حقيقة الرسالة ولم يكن مالكاً للضمانات اللازمة لصيانتها من الانحراف عن الخط الذى رسمه رسول الله(صلى الله عليه وآله) لهذه الاُمّة، ذلك الانحراف الذى لم يتصور المسلمون مدى عمقه ومدى تأثيره السلبى على

الدولـة والأُمّـة والشـريعة جميعاً على طول الخط؛ إذ لعلّهم كانوا قـد اعتبروه تغيير شـخص لا تغيير خط. والخطّان الرئيسان اللـذان عمل الأئمّة عليهما وكان عليهم أن يوظّفوا نشاطهم لهما هما: ١ ـ خط تحصين الاُمّة ضد الانهيار بعد سقوط التجربة، واعطائها من المقومات القدر الكافي لكي تبقى واقفة على قدميها بقدم راسخة وبروح مجاهدة وبإيمان ثابت. ٢ ـ خط محاولة تسلّم زمام التجربة وزمام الدولة ومحو آثار الانحراف وارجاع القيادة إلى موضـعها الطبيعي لتكتمل عناصـر التربية ولتتلاحم الاُمّة والمجتمع مع الدولة والقيادة الرشيدة [١٧٣] . أمـا الخـط الثـانى فكـان على الأئمّـة الراشـدين ان يقومـوا بإعـداد طويـل [صـفحه ٩٨] المـدى لـه، من أجـل تهيئـة الظروف الموضوعيـة اللازمـة التى تتنـاسب وتتفق مع مجموعـة القيم والأهـداف والأحكـام الأساسـية التى جـاءت بها الرسالـة الإسـلامية وأريد تحقيقها من خلال الحكم وممارسـة الزعامة باسم الإسـلام القيّم وباسم الله المشـرّع للإنسان ما يوصـله إلى كماله اللائق. ومن هنا كان رأى الأئمّة فى اسـتلام زمام الحكم أن الانتصار المسـلّح الآنىّ غير كاف لإقامة دعائم الحكم الإسـلامى المستقر بل يتوقف ذلك على اعـداد جيش عقائـدى يؤمن بالإمـام وبعصـمته ايماناً مطلقاً يعيش أهـدافه الكبيرة ويـدعم تخطيطه فى مجال الحكم ويحرس ما يحققه للاُمّة من مصالح أرادها الله لها. وأما الخط الأوّل فهو الخط الذى لا يتنافى مع كل الظروف القاهرة وكان يمارسه الأئمّة(عليهم السلام) حتى فى حالة الشعور بعدم توفر الظروف الموضوعية التى تهيئ الإمام لخوض معركة يتسلّم من خلالها زمام الحكم من جديد. إن هذا الدور وهذا الخط هو تعميق الرسالة فكرياً وروحيّاً وسياسياً للاُمّة نفسـها بغية إيجاد تحصـين كاف فى صفوفها ليؤثّر فى تحقيق مناعتها وعـدم انهيارها بعـد تردّى التجربة وسـقوطها وذلك بايجاد قواعد واعية فى الاُمّة وايجاد روح رسالية فيها وايجاد عواطف صادقة تجاه هذه الرسالة فى الاُمّة [١٧٤] . واستلزم عمل الأئمّة(عليهم السلام) فى هذين الخطين قيامهم بدور رسالى ايجابى وفعّال على طول الخط لحفظ الرسالـة والاُمّة والدولة وحمايتها باسـتمرار. وكلما كان الانحراف يشـتد؛ كان الائمّة يتخذون التدابير اللازمة [صـفحه ٩٩] ضد ذلك وكلما وقعت محنـة للعقيدة أو التجربة الإسـلامية وعجزت الزعامات المنحرفة من علاجها ـ بحكم عدم كفاءتها ـ بادر الأئمّة إلى تقـديم الحلّ ووقايـة الأمة من الأخطار التى كانت تهددّها. فالأئمّة(عليهم السـلام) كانوا يحافظون على المقياس العقائدى فى المجتمع الإسـلامى إلى درجة لا تنتهى بالاُمّة إلى الخطر الماحق لها [١٧٥] . ومن هنا تنوع عمل الأئمة(عليهم السـلام) فى مجالات شتى باعتبار تعدد العلاقات وتعدّد الجوانب والمهام التى تهمهم كقيادة واعية رشـيدة تريد تطبيق الإسـلام وحفظه وضـمان خلوده للإنسانية جمعاء. فالأئمّـة مسؤولون عن صـيانة تراث الرسول(صـلى الله عليه وآله) الأعظم وثمار جهوده الكريمة المتمثلة فى: ١ ـ الشـريعة والرسالة التى جاء بها الرسول الأعظم من عند الله والمتمثلة فى الكتاب والسنة الشريفين. ٢ ـ الاُمّة التى كوّنها ورباها الرسول الكريم بيديه الكريمتين. ٣ ـ المجتمع السياسـى الإسـلامى الـذى أوجـده النبى محمـد (صـلى الله عليه وآله) أو الدولـة التى أسسـها وشـيّد أركانهـا. ۴ ـ القيـادة النموذجيـة التى حققهـا بنفسه وربّى من يكون كفوءً لتجسـيدها من أهل بيته الطاهرين. لكنّ عـدم امكان الحفاظ على المركز القيادى الـذى رُشّـح له الأئمّـة المعصومون من قبـل رسول الله (صـلى الله عليه وآله) وانتُخِبوا لاسـتلامه ولتربيـة الاُمّـة من خلالـه لا يحول دون الاهتمام بمهمة الحفاظ على المجتمع الإسلامى السياسى وصيانة الدولة الإسلامية من الانهيار بالقدر الممكن الذى يتسنّى لهم بالفعل [صفحه ١٠٠] وبمقدار ما تسـمح به الظروف الواقعية المحيطة بهم. كما أن سـقوط الدولة الإسـلامية لا يحول دون الاهتمام بالاُمّة كاُمّة مسـلمة ودون الاهتمام بالرسالـة والشـريعة كرسالـة الهيـة وصـيانتها من الانهيار والاضـمحلال التام. وعلى هذا الأساس تنوّعت مجالات عمل الأئمّة جميعاً بالرغم من اختلاف ظروفهم من حيث نوع الحكم القائم ومن حيث درجة ثقافة الاُمّة ومدى وعيها وايمانها ومعرفتها بالأئمّـة(عليهم السـلام) ومـدى انقيادها للحكام المنحرفين ومن حيث نوع الظروف المحيطة بالكيان الإسـلامى والدولة الإسـلامية ومن حيـث درجـة الـتزام الحكّام بالإسـلام ومـن حيـث نـوع الأدوات الـتى كـان يسـتخدمها الحكّام لـدعم حكمهـم وإحكـام سـيطرتهم. فللأئمّـة(عليهم السـلام) نشاط مسـتمر تجاه الحكم القائم والزعامات المنحرفـة وقـد تمثّل فى إيقاف الحاكم عن المزيد من الانحراف، بالتوجيه الكلامى، أو بالثورة المسـلّحة ضـد الحاكم حينما كان يشـكّل انحرافه خطراً ماحقاً ـ كثورة الإمام الحسـين(عليه السـلام) ضـد يزيـد بن معاويـة ـ إن كلّفهم ذلـك حيـاتهم، أو عن طريق إيجـاد المعارضـة المسـتمرة ودعمها بشـكل وآخر من أجل زعزعـة القيادة

المنحرفة بالرغم من دعمهم للدولة الإسلامیة بشکل غیر مباشر حینما کانت تواجه خطراً ماحقاً أمام الکیانات الکافرة. وکان للأئمّة(علیهم السلام) نشاط مستمر فی مجال تربیة الاُمّة عقائدیاً وأخلاقیاً وسیاسیاً وذلک من خلال تربیة الأصحاب العلماء وبناء الکوادر العلمیة والشخصیات النموذجیة التی تقوم بمهمة نشر الوعی والفکر الإسلامی وتصحیح الأخطاء المستجدة فی فهم الرسالة والشریعة، ومواجهة التیارات الفکریة الوافدة المنحرفة أو التیارات السیاسیة المنحرفة أو الشخصیّات العلمیة المنحرفة التی کان یستخدمها الحاکم المنحرف لدعم زعامته، کما [صفحه ۱۰۱] قدّموا البدیل الفکری والأخلاقی والسیاسی للزعامة المنحرفة والذی کان یتمثل فی زعامة أهل البیت الأطهار المشروعة، وتصعید درجة معرفة الاُمّة لهم والإیمان بهم والوعی اللازم تجاه إمامتهم وزعامتهم. هذا فضلاً عن نزول الأئمّة(علیهم السلام) إلی ساحة الحیاة العامة والارتباط بالاُمّة بشکل مباشر والتعاطف مع قطاع واسع من المسلمین؛ فإن الزعامة الجماهیریة الواسعة النطاق التی کان یتمتع بها ائمّة أهل البیت(علیهم السلام) علی مدی قرون لم یحصل علیها أهل البیت صدفة أو لمجرد الانتماء لرسول الله(صلی الله علیه وآله)؛ وذلک لوجود کثیر ممن کان ینتسب إلی رسول الله(صلی الله علیه وآله) ولم یکن یحظی بهذا الولاء؛ لأن الاُمّة لا تمنح علی الأغلب الزعامة مجاناً ولا یملک الفرد قیادتها ومیل قلوبها من دون عطاء سخیّ منه فی مختلف مجالات اهتمام الاُمّة ومشاکلها وهمومها. وهکذا خرج الإسلام علی مستوی النظریة سلیماً من الانحراف إن تشوّهت معالم التطبیق، وتحولّت الاُمّة إلی اُمّة عقائدیة تقف بوجه الغزو الفکری والسیاسی الکافر واستطاعت أن تسترجع قدرتها وروحها علی المدی البعید کما لاحظناه فی هذا القرن المعاصر بعد عصور الانهیار والتردی. وقد حقق الأئمّة المعصومون(علیهم السلام) کل هذه الانتصارات بفضل اهتمامهم البلیغ بتربیة الکتلة الصالحة التی تؤمن بهم وبإمامتهم فأشرفوا علی تنمیة وعیها وایمانها من خلال التخطیط لسلوکها وحمایتها باستمرار واسعافها بکل الأسالیب التی کانت تساعد علی صمودها فی خضمّ المحن وارتفاعها إلی مستوی جیش عقائدی رسالی یعیش هموم الرسالة ویعمل علی صیانتها ونشرها وتطبیقها لیل نهار. [صفحه ۱۰۲]

مراحل حرکة الأئمة الطاهرین

وإذا رجعنا إلی تاریخ أهل البیت(علیهم السلام) والظروف المحیطة بهم ولاحظنا سلوکهم ومواقفهم العامة والخاصة استطعنا أن نصنّف ظروفهم ومواقفهم إلی مراحل وعصور ثلاثة یتمیز بعضها عن بعض بالرغم من اشتراکهم فی کثیر من الظروف والمواقف ولکن الأدوار تتنوع باعتبار مجموعة الظواهر العامّة التی تشکل خطّاً فاصلاً وممیّزاً لکل عصر. فالمرحلة الاولی من حیاة الأئمّة(علیهم السلام) وهی (مرحلة تفادی صدمة الانحراف) بعد وفاة رسول الله(صلی الله علیه وآله) تجسّدت فی سلوک ومواقف الأئمّة الأربعة: علی والحسن والحسین وعلی بن الحسین(علیهم السلام) فقاموا بالتحصینات اللازمة لصیانة العناصر الأساسیة للرسالة وإن لم یستطیعوا القضاء علی القیادة المنحرفة. لکنهم استطاعوا کشف زیفها والمحافظة علی الرسالة الإسلامیة نفسها. وبالطبع إنهم لم یهملوا الاُمّة أو الدولة الإسلامیة بشکل عام من رعایتهم واهتماماتهم فیما یرتبط بالکیان الاسلامی والاُمّة المسلمة فضلاً عن سعیهم البلیغ فی بناء وتکوین الکتلة الصالحة المؤمنة بقیادتهم. وتبدأ المرحلة الثانیة بالشطر الثانی من حیاة الإمام السجاد السیاسیة حتی الإمام الکاظم(علیه السلام) وتتمیز بأمرین أساسیین: ۱ ـ أما فیما یرتبط بالخلافة المزیّفة فقد تصدی هؤلاء الأئمّة لتعریتها عن التحصینات التی بدأ الخلفاء یحصّنون بها أنفسهم من خلال دعم طبقة من المحدّثین والعلماء (وهم وعّاظ السلاطین) لهم وتقدیم التأیید والولاء لهم من أجل إسباغ الصبغة الشرعیة علی زعامتهم بعد أن استطاع الأئمّة فی المرحلة الاولی أن یکشفوا زیف خط الخلافة وأن یُحَسِّسوا الاُمّة بمضاعفات الانحراف الذی حصل فی مرکز القیادة بعد الرسول الأعظم(صلی الله علیه وآله). ۲ ـ وأما فیما یرتبط ببناء الکتلة الصالحة الذی اُرسیت دعائمه فی المرحلة الاولی فقد تصدی الأئمّة المعصومون فی هذه المرحلة إلی تحدید [صفحه ۱۰۳] الاطار التفصیلی وإیضاح معالم الخط الرسالی الذی اُؤتمن الأئمّة الأطهار(علیهم السلام) علیه والذی تمثّل فی تبیین ونشر معالم النظریة الإسلامیة الإمامیة وتربیة عدة أجیال من العلماء علی أساس الثقافة الإسلامیة الإمامیة الناصعة فی قبال الخط العُلمائی الخلفائی (وهو خط وعاظ

السلاطين). هذا فضلًا عن تصديهم لدفع الشبهات وكشف زيف الفرق المذهبية التى استحدثت من قبل خط الخلافة أو غيره. والأئمّة فى هذه المرحلة لم يتوانوا فى زعزعة الزعامات والقيادات المنحرفة من خلال دعم بعض خطوط المعارِضة للسلطة ولاسيما بعض الخطوط الثورية منها التى كانت تتصدى لمواجهة من تربَّع على كرسىّ خلافة الرسول(صلى الله عليه وآله) بعد ثورة الإمام الحسين(عليه السلام). وأما فيما يخص المرحلة الثالثة من حياة الأئمّة من أهل البيت(عليهم السلام) بدءً بشطر من حياة الإمام الكاظم(عليهم السلام) وانتهاءً بالإمام المهدى(عليه السلام) فإنهم بعد وضع التحصينات اللازمة للكتلة الصالحة ورسم المعالم والخطوط التفصيلية لها عقائدياً واخلاقياً وسياسيّاً فى المرحلة الثانية قد بدا للخلفاء أن قيادة أهل البيت(عليهم السلام) أصبحت بمستوى تسلّم زمام الحكم والعودة بالمجتمع الإسلامى إلى حظيرة الإسلام الحقيقى، مما خلّف ردود فعل للخلفاء تجاه الأئمّة(عليهم السلام)، وكانت مواقف الأئمّة تجاه الخلفاء تبعاً لنوع موقف الخليفة تجاههم وتجاه قضيتهم. وأما فيما يرتبط بالكتلة الصالحة التى أوضحوا لها معالم خطها فقد عمل الأئمّة(عليهم السلام) على دفعها نحو الثبات والاستقرار والانتشار من جهة لتحصينها من الانهيار واعطائها درجة من الاكتفاء الذاتى من جهة اُخرى، وكان يقدّر الأئمّة أنهم بعد المواجهة المستمرة للخلفاء سوف لا يُسمح لهم بالمكث بين ظهرانيهم وسوف لن يتركهم الخلفاء أحراراً بعد أن تبين زيفهم [صفحه ۱۰۴] ودَجلهم واتضحت لهم المكانة الشعبية للأئمّة الذين كانوا يمثّلون الزعامة الشرعية والواقعية للاُمّة الإسلامية. ومن هنا تجلّت ظاهرة تربية الفقهاء بشكل واسع ثم ارجاع الناس اليهم وتدريبهم على مراجعتهم فى قضاياهم وشؤونهم العامة تمهيداً للغيبة التى لا يعلم مداها إلّا الله سبحانه والتى أخبر الرسول(صلى الله عليه وآله) عن تحققها وأملت الظروف عليهم الانصياع اليها. وبهذا استطاع الأئمّة(عليهم السلام) ـ ضمن تخطيط بعيد المدى ـ أن يقفوا بوجه التسلسل الطبيعى لمضاعفات انحراف القيادة الإسلامية والتى كانت تنتهى بتنازل الاُمّة عن الإسلام الصحيح وبالتالى ضمور الشريعة وانهيار الرسالة الالهية بشكل كامل. فالذى جعل الاُمّة لا تتنازل عن الإسلام هو أن الإسلام قُدّم له مثل آخر واضح المعالم، أصيل المُثل والقيم، أصيل الأهداف والغايات، وقُدّمت هذه الاطروحة من قبل الواعين من المسلمين بزعامة الأئمّة من أهل البيت المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. إن هذه الاطروحة التى قدّمها الأئمّة الطاهرين(عليهم السلام) للإسلام لم تكن تتفاعل مع الشيعة المؤمنين بإمامة أهل البيت(عليهم السلام) فقط، بل كان لها صدى كبير فى كل العالم الإسلامى، فالأئمّة الأطهار كانت لهم اطروحة للإسلام وكانت لهم دعوى لإمامتهم، وهذه الدعوى وان لم يطلبوا لها إلّا عدداً ضئيلًا من مجموع الاُمّة الإسلامية ولكن الاُمّة بمجموعها تفاعلت مع هذه الاطروحة التى تُمَثّل النموذج والمخطط الواضح الصحيح الصريح للإسلام فى كل المجالات العامة والخاصة اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وخلقياً وعبادياً... مما جعل المسلمين على مرّ الزمن يسهرون على الإسلام ويقيمونه وينظرون اليه بمنظار آخر غير منظار الواقع الذى كانوا يعيشونه من خلال الحكم القائم [۱۷۶] . [صفحه ۱۰۵]

ملامح عصر الإمام زين العابدين

تبيّن بوضوح من خلال البحوث السابقة أنّ الإمام زين العابدين(عليه السلام) قد عاش أقسى فترة من الفترات التى مرّت على القادة من أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)، لأنّه عاصر قمّة الإنحراف الذى بدأ بعد وفاة الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله). وذلك أنّ الانحراف فى زمن الإمام زين العابدين(عليه السلام) قد أخذ شكلًا صريحاً، لا على مستوى المضمون فقط بل على مستوى الشعارات المطروحة أيضاً من قبل الحكّام فى مجال العمل والتنفيذ، وانكشف واقع الحكّام لدى الجماهير المسلمة بعد مقتل الإمام الحسين(عليه السلام) ولم يبق ما يستر عورة حكمهم أمام الاُمّة التى خبرت واقعهم وحقيقتهم المزرية. وقد عاصر الإمام(عليه السلام) كلّ المحن والبلايا التى وقعت أيّام جدّه أمير المؤمنين علىّ(عليه السلام) إذ ولد قبل استشهاد الإمام علىّ(عليه السلام) وتفتحت عيناه وجَدّه(عليه السلام) فى محنته فى خط الجهاد مع الناكثين والقاسطين والمارقين، ومن ثمّ عاش مع عمّه الإمام الحسن(عليه السلام) فى محنته مع معاوية وعُمّالِهِ وعملائه، ومع أبيه الحسين(عليه السلام) وهو فى محنته الفاجعة إلى أن استقلّ بالمحنة وجهاً لوجه، وقد وصلت به

المحنـة ذروتها عندما رأی جیوش بنی اُمیّة تدخل مسـجد رسول الله(صـلی الله علیه وآله) فی المدینة وتربط خیولها فی المسـجد، هذا المسـجد [صـفحه ۱۰۶] الـذی کـان منطلقـاً للرسالـة وأفکارهـا إلی العـالم أجمع، وقـد أصـاب هـذا المســجد فی عهـد الإمـام زین العابدین(علیه السـلام) کثیر من الذلّ والهوان علی ید الجیش الاُموی الذی أباح المدینة والمسجد معاً، وهتک حرمات النبیّ(صلی الله علیه وآله) فیهمـا جمیعـاً. وکـان القتـل هو أبسـط الوسائـل التی اسـتعملت فی ذلـک العصـر مع المعارضـین، إذ کان التمثیل الانتقامی والصلـب علی الأشـجار وتقطیع الأیـدی والأرجل وألوان العقاب البـدنی لغـة الحدیث الیومی. وانغمس الاُمویون فی الترف، وقد ذکر المؤرّخون نوادر کثیرة من ترفهم وتلاعبهم باقتصـاد الاُمّـة وثرواتهـا [۱۷۷] ، حتی بـالغوا فی هبـاتهم للشـعراء وأجزلوا العطـاء للمغنّین [۱۷۸] ، وسـادت حیـاة اللهو والعبث والمجون فی کثیر من أنحـاء العـالم الإسـلامی وخصوصـاً فی مکّـة والمدینـة، وعمـدت السـلطات الاُمویـة إلی إشاعـة ذلک فیهما لإسـقاط هیبتهما من نفوس المسـلمین. لقـد شاع الغناء فی مدینة الرسول(صـلی الله علیه وآله) بشـکل ینـدی له جبین الإنسـان المؤمن بالله وبرسوله، حتی صارت مرکزاً له. قال أبو الفرج: إنّ الغناء فی المدینـة لا یُنکره عالمهم، ولا یـدفعه عابدهم [۱۷۹] . وقال أبو یوسف لبعض أهالی المدینـة: ما أعجب أمرکم یا أهل المدینـة فی هـذه الأغانی! ما منکم شـریف ولا دنیء یتحاشی عنها [۱۸۰] !!. وکان العقیق إذا سال وأخذ المغنّون یلقون أغانیهم لم تبق فی المدینة [صـفحه ۱۰۷] مخبّأة ولا شابة ولا شابّ ولا ـ کهل إلّا خرج ببصره لیسمع الغناء [۱۸۱] . نعم غـدت المدینـة فی ذلـک العصـر مرکزاً من مراکز الغناء فی الحاضـرة الإسـلامیة وأصـبحت معهداً متمیزاً لتعلیم الجواری الغناء [۱۸۲] بینما کانت الشـریعة الإسـلامیة قد حاربت اللهو والمجنون ودعت الإنسان المسلم الی حیـاة الجـدّ والاجتهـاد والکـدح من أجـل إعمـار حیـاته الـدنیا وحیاته الاُخری بالصالحات واسـتباق الخیرات وتسلّق قمم الکمال والحرص علی أثمن لحظات عمره فی هذه الحیاة وصـیانتها من الضیاع والخسران. أمّا الحیاة العلمیة فی عصر الإمام زین العابدین(علیه السـلام) فقد کانت مشلولةً بما حوته هذه الکلمة من معنی، إذ کان الخط السیاسی الذی سارت علیه الدولة الاُمویة منذ تأسیسها یرتکز علی مجافـاة العلم، وإقصـاء الوعی والثقافـة من حیاة المسـلمین، وجرّهم الی منحـدر سـحیق من الجهل؛ لأنّ بلورة الوعی العام وإشاعة العلم بین المسلمین کان یهدّد مصالحهم ودوام ملکهم القائم علی استغلال الجهل والغفلة التی روّج لها من تقمّص الخلافة بعد رسول الله(صـلی الله علیه وآله). أمّـا الطـابع الخـاصّ للحیاة الأدبیـة فتعرفه ممّا جری علی لسان شـعراء ذلک العصـر، فهو لم یمثّل أیّ مشـکلة اجتماعیة من مشاکل ذلک العصر علی کثرتها، کما أنّه لم یمثّل أیّ جدٍّ فی الحیاة العقلیة والأدبیة، وإنّما کان شعراً قَبَلیّاً یحکی فیه کلّ شـاعر مـا امتـازت به قبیلته من کرم الضـیافة ووفرة المال والعـدد، کما غـدا الأدب سوقاً للهجاء المرّ والتنابز بالألقاب [۱۸۳] . [صـفحه ۱۰۹]

تخطیط الإمام زین العابدین و جهاده

اشاره

نجـد فی سـیرة الأئمّة(علیهم السـلام) العدید من الأدلّة التی أوضـحوا من خلالها للناس سـبب الاختلاف فی أسالیبهم فی قیادة الحرکة الإسـلامیة من إمام لآخر. فالإمام السـجاد(علیه السـلام) قال له عبّاد البصـری وهو فی طریق مکّـة: ترکت الجهاد وصـعوبته وأقبلت علی الحـجّ ولینـه، و (إنّ الله اشـتری مـن المـؤمنین أنفسـهم وأمـوالهم) [۱۸۴] فأجـابه الإمـام(علیه السـلام): إقرأ بعـدها: (التائبون العابـدون الحامدون السائحون الراکعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنکر والحافظون لحدود الله وبشّـر المؤمنین)، ثمّ قال(علیه السـلام): إذا ظهر هؤلاء ـ یعنی المؤمنین حسب مواصفاتهم فی الآیة ـ لم نؤثر علی الجهاد شیئاً [۱۸۵] . وبهذه الإجابة حدّد الإمام(علیه السلام) بشکل صارم سیاسته ولون کفاحه، ووجهة حرکته فی عصره، ومن ثمّ الأسباب الموجبة لذلک المسار، فإنّ عدوله عن الکفاح المسلّح والمواجهة العسـکریة للحکم الاُموی لم تأتِ حبّاً فی الحیاة ونعیمها کما تصوّر عبّاد البصـری، وإنّما جاء ذلک لأنّ مستلزمات

العمل العسكرى الناجح غير متوفرة، ولأنّ النتائج من أىّ تحدٍّ للسلطان فى تلك الظروف تكون عكسيّةً تماماً. [صفحه ۱۱۰] وبعد ملحمة كربلاء مباشرةً تبنّى الإمام السجاد(عليه السلام) وكرائم أهل البيت كزينب وأُمّ كلثوم ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ سياسة إسقاط الأقنعة التى كان الأُمويون قد غطّوا وجوه سياستهم الكالحة الخطيرة بها، وحمّلوا الاُمّة كذلك مسؤوليتها التأريخية أمام الله والرسالة. ومن هنا نلاحظ بوضوح أنّ الخطب والتصريحات التى صدرت عن الإمام زين العابدين(عليه السلام) وعقائل أهل البيت(عليهم السلام) فى العراق قد انصبّت على مخاطبة ضمائر الناس كمجموع، وإلفات نظر الناس إلى جسامة الخطر الذى حاق بهم، وإلى حجم الجريمة التى ارتكبتها بنو اُمية بحقّ رسالة الله تعالى. وفى الشام ركّزت كلمات الإمام السجّاد(عليه السلام) على التعريف بالسبايا ذاتهم، وأنّهم آل الرسول(صلى الله عليه وآله)، ثمّ فضح الحكم الأُموى وتعريته أمام أهل الشام الذين أضلّهم عن رؤية الواقع. وقبل دخوله المدينة عمل الإمام السجاد(عليه السلام) على إثارة الرأى والوعى العام الإسلامى وتوجيهه الى محنة الرسالة التى تمثّلت فى فاجعة الطفّ، فقد كان خطابه الذى ألقاه بالناس يستبطن هذه المعانى. ولقد أعطت تجربة كربلاء مؤشّراً عملياً على أنّ الاُمّة المسلمة فى حالة ركود وتبلّد ممّا جعل الروح الجهادية لديها فى حالة غياب إن لم نقل إنّها كانت معدومة نهائياً، ومن أجل ذلك فإنّ السجاد(عليه السلام) ـ باعتباره إمام الاُمّة الذى انتهت إليه مرجعية الاُمّة ـ أخذ تلك الظاهرة بعين الاعتبار، ولذلك مارس دوره من خلال العمل على تنمية التيار الرسالى فى الاُمّة، وتوسيع دائرته فى الساحة الإسلامية، والعمل على رفع مستوى الوعى الإسلامى والإنفتاح العملى فى قطاعات الاُمّة المختلفة، وخلق قيادات متميزة تحمل الفكر الإسلامى النقى، لا الفكر الذى يُشيعه الحكم الأُموى. [صفحه ۱۱۱] ولهذا النهج مبرّراته الموضوعية، فإنّ قوى الانحراف عبر سنوات عديدة من سيطرتها على مراكز التوجيه الفكرى والإجتماعى توفّرت على صنع أجيال ذائبة فى الانحراف، الأمر الذى أصبح فيه من المتعذّر على التيار الإسلامى السليم مواجهتها، بالنظر لضخامة تلك القوى، وتوفّر الغطاء الواقى لها من مؤسسات وقدرات؛ ولتعرّض التيار الإسلامى ذاته للخسائر المتتالية. ومن هنا، فإنّ أمر تكثيف التيار الإسلامى وإثرائه كمّاً وكيفاً مسألة لا تقبل التأجيل، ما دام أمر بقاء الرسالة حيّة ـ فكراً وعملاً ـ متوقّفاً على بقاء سلامة هذا التيار فى كيان الاُمّة وقواعدها الشعبية، طالما لم يتسنّ له تسلّم المرجعية العامة فى الإدارة والحكم. ولقد نجحت خطط الإمام(عليه السلام) على شتّى الأصعدة وحسبما خطّط لها، وفيما يلى مصداقان عمليان على ذلك: ففى المجال الإجتماعى أثمرت خطّة الإمام(عليه السلام) حيث حظى بإجلال القطّاعات الواسعة من الاُمّة وولائها، والمصادر التأريخية مجمعة على ذلك. قال ابن خلّكان: لمّا حجّ هشام بن عبد الملك فى أيام أبيه، فطاف وجهد أن يصل الحجر ليستلمه، فلم يقدر عليه لكثرة الزحام، فنُصِب له منبر وجلس عليه ينظر إلى الناس، ومعه جماعة من أعيان أهل الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب «رضى الله عنهم»، وكان من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم أرجاً، فطاف بالبيت، فلمّا انتهى إلى الحجر تنحّى له الناس حتى استلم، فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، وكان الفرزدق حاضراً فقال:أنا أعرفه،فقال الشامى:من هذا يا أبافراس؟فقال: [صفحه ۱۱۲] هذا ابْنُ خَيرِ عِبادِ اللهِ كُلِّهِمُ هذا النَّقىُّ التَقِىُّ الطاهِرُ العَلَمُ مُشتَقَّةٌ مِن رَسولِ اللهِ نَبْعَتُهُ طابَتْ عَناصِرُهُ والخِيمُ والشِّيَمُ الله شَرَّفَهُ قِدْماً وعَظَّمَهُ جَرى بِذاكَ لهُ فى لَوحِهِ القَلَمُ مِنْ مَعشَرٍ حُبُّهُمْ دينٌ وبُغْضُهُمُ كُفْرٌ وقُرْبُهُم مَنْجىً ومُعْتَصَمُ أىُّ الخَلائِقِ لَيْسَتْ فى رِقابِهِم لاِوَّلِيَّةِ هذا أوْ لَهُ نِعَمُ؟ [۱۸۶] . إنّ هذه الحادثة توضّح أنّ الإمام(عليه السلام) كان قد حظى بولاء جماهيرىٍّ حقيقىٍّ واسع النطاق، بشكل جعل ذلك الولاء يتجسّد حيّاً حتى فى أقدس ساعة، وفى موقف عبادىّ مشهود، فما أن تلتقى الجماهير الكثيفة بإمامها الحقّ؛ حتى توسّع له، لكى يؤدّى مناسكه دون أيّة مضايقة عفوية منها، بالرغم من أنّ الاُمّة تدرك عداء الحكم الأُموى لأهل البيت(عليهم السلام) وما يترتّب على ذلك [صفحه ۱۱۳] العداء من موقف تجاه أنصار أهل البيت(عليهم السلام) وأتباعهم. وحقّق النشاط العلمى للإمام(عليه السلام) غاياته المتوخّاة، فالمسجد النبوىّ الشريف ودار الإمام(عليه السلام) شهدا طوال خمسة وثلاثين عاماً ـ وهى فترة إمامته ـ نشاطاً فكرياً من الطراز الأول، حيث استقطب الإمام(عليه السلام) طلاّب المعرفة الإسلامية فى جميع حقولها، لا فى المدينة المنورة ومكّة المكرمة وحدهما، وإنّما فى الساحة

الإسـلامية بأكملها، حتى اسـتطاع أن يخلق نواة مدرسة فكرية لها طابعها ومعالمها المميّزة، وتخرّج منها قادة فكر ومحدّثون وفقهاء. إنّ انفصـام عرى الشـيعة بعـد استشـهاد الإمـام الحسـين(عليـه السـلام) وتَشَتُّت قُواهم كـان مـن أعظم الأخطـار الـتی واجههـا الإمـام زين العابـدين(عليه السـلام) باتّجاه اسـتجماع القوى وتكميل الإعـداد من جديـد، وقـد كان هذا الهدف بحاجة إلى إعداد نفسـی وعقيدی وإحياء الأمل فی القلوب وبثّ العزم فی النفوس. وقـد تمكّن الإمام زين العابـدين(عليه السـلام) بعمله الهادئ والمنظّم أن يشـرف على تكميل هـذه الاسـتعادة، وعلى هذا الإعداد بكل قوّة وبحكمة وبسـلامة وجدّ. وقد أطلق الإمام(عليه السـلام) نهجاً جهادياً ينهض بأعباء متطلبات المرحلة الخطيرة آنذاك. ويمكن الحديث عن هذا النهج عبر مستويات متعدّدة:

الجهاد الفكری والعلمی

من المعلوم أنّ الفكر السـليم هو أحد مقوّمات كلّ حركة سياسية صحيحة، فتثقيف الجماهير وتوعيتها لتكون على علم بما يجری عليها وحواليهـا وما يجب لها وعليها من حقوق وواجبات هو الركيزة الاُولى لِصـدّ [صـفحه ۱۱۴] الأنظمة الحاكمة الفاسدة التی تسـعى على طول التأريـخ فی إبعاد الناس عن الحقّ والتعاليم الأصـيلة. وقـد قام الإمام زين العابـدين(عليه السـلام) بأداء دور مهمّ فی هـذا الميدان، حيث تصدّى للوقوف بوجه المنع السلطوی لرواية الحديث [۱۸۷] فأمر برواية الحديث وحثّ على ذلك، وكان يطبّق السنّة ويدعو إلى تطبيقهـا والعمـل بهـا، وقـد روی عنه قوله(عليه السـلام): إنّ أفضل الأعمال ما عمل بالسـنّة وإن قلّ [۱۸۸] . وفی الظروف الـتی عاشـها الإمـام(عليه السـلام) ـ حيث كـان الحكّام بصـدد اجتثاث الحقّ من جـذوره واُصوله والـذی تمثّل فی حفظـة القرآن ومفسّـريه ـ كانت الـدعوة إلى الاعتصـام بـالقرآن من أهم الواجبات آنـذاك، ولقـد قام الإمام زين العابـدين(عليه السـلام) بجهـد وافر فی هـذا المجال. قـال(عليه السـلام): «عليـك بـالقرآن، فإنّ الله خلق الجنّة بيـده لبنـة من ذهب ولبنـة من فضـة، وجعل ملاطها المسك وترابها الزعفران وحصاهـا اللؤلؤ، وجعـل درجاتهـا على قـدر آيـات القرآن، فمن قرأ منهـا قال له: إقرأ وارق، ومن دخل الجنّة لم يكن فی الجنّة أعلى درجة منه، ما خلا النبيّين والصدّيقين» [۱۸۹] وكان يقول: «لو مات من بين المشرق والمغرب ما استوحشت بعد أن يكون القرآن معی» [۱۹۰] . كما كان يسعى فی تمجيد القرآن عملياً وبأشكال مختلفة، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن [۱۹۱] ، كما كان يرشد الاُمّة من خلال تفسيره للقرآن [صـفحه ۱۱۵] الكريـم [۱۹۲] . وبـذل الإمام(عليه السـلام) جهوداً جبّارةً لتثبيت قواعـد التوحيـد الإلهی وتشـييد أركانه عبر الاسـتدلال على ذلك بما يوافق الفطرة والعقل السـليمين، والردّ على الأفكار المنحرفة التی غذّاها الحكّام ـ مثل فكرة الجبر الإلهی ـ بهـدف التمكّن من السـلطة والسـيطرة التامـة على مصـير الناس والهيمنـة على الأفكار بعد السـيطرة على الأفواه والأجسام، وقد ذكرنـا أنّ الإمـام(عليه السـلام) قـال لابـن زياد الـذی أراد أن ينسب قتل علیّ بن الحسـين إلى الله: «إنّ الله يتوفّى الأنفسَ حين موتها»، فالإمـام تحـدّى الحـاكم فی مجلسه حين ردّ على الانـحراف العقائـدی بتلـك الصـراحة، وبيّن الفرق بين التوفّی للأنفس واسترجاعها ـ الذی نسبه القرآن إلى الله تعالى حين حلول الأجل والموت حتف الأنف ـ وبين القتل الذی هو إزهاق الروح من قبل القاتل قبل حلول الموت المـذكور. وفی جوابه(عليه السـلام) عن سؤال: أبقـدر يصـيب الناس ما أصابهم أم بعمل؟ قال(عليه السـلام): «إنّ القدر والعمل بمنزلـة الروح والجسـد... ولله فيه العون لعبـاده الصـالحين»، ثمّ قـال(عليه السـلام): «ألاـ من أجور النـاس من رأى جوره عـدلاً، وعـدل المهتـدی جوراً» [۱۹۳] . وهكـذا تصـدّى الإمام(عليه السـلام) لعقيدة التشبيه والتجسـيم [۱۹۴] ، وفكرة الإرجـاء [۱۹۵] . وعلى صـعيد الإمامة والولاية أعلن الإمام(عليه السـلام) عن إمامته بنفسه بكلّ وضوح وصـراحة ومن دون أيّة تقيّة أو سريّة، وقد تعدّدت الأحاديث [صفحه ۱۱۶] المصـرّحة بهـذا الإعلان، منها قوله(عليه السـلام): «نحن أئمّة المسـلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين وقادة الغرّ المحجّلين وموالی المؤمنين، ونحن أمان أهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السـماء... ولولا ما فی الأرض منّا لساخت بأهلها، ولم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجّة لله فيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّة لله فيها، ولو لا ذلك لم يعبـد الله» [۱۹۶] . وقال أبو المنهال نصـر بن أوس الطائی: قال لی علیّ بن الحسـين(عليه السـلام): «إلى مَن يذهب الناس؟»

قـال: قلت: يـذهبون ها هنا وها هنا، قال: «قل لهم يجيئون إليّ» [۱۹۷] . وقـال له أبو خالـد الكابلى: يا مولاى، أخبرنى كم يكون الأئمّة بعـدك؟ قال: «ثمانيـة لأنّ الأئمّـة بعـد رسول الله(صـلى الله عليه وآله) اثنا عشـر إماماً، عـدد الأسـباط، ثلاثـة من الماضـين، وأنا الرابع، وثمانية من ولدى...» [۱۹۸] . والإنحراف الذى حصل عن أئمّة أهل البيت(عليهم السـلام) لم ينحصـر فى إقصائهم عن الحكم والولاية فقـط، بـل انتهى إلى الجهـل بأحكـام الشـريعة التى كـان الأئمّـة هم المرجع الواقعى والصـحيح للتعرّف عليهـا. فالإمـام ليس وليّاً للأمر وحاكمـاً على البلاد والعباد فحسب، وإنّما هو مصـدر يرجع اليه لفهم الشـريعة وتبيين أحكامها، باعتبار معرفته التامـة بالشـريعة الخاتمة وارتبـاطه الوثيق بمصادرها الحقيقيّـة. وكما أقصـى الحكّام أئمّـة أهل البيت(عليهم السـلام) عن الحكم والولايـة؛ حاولوا كـذلك نفى مرجعيتهم الدينيـة والعلميّـة وإبعـاد الناس عنهم، لـذلك اهتمّ الأئمّـة [صـفحه ۱۱۷] وأتبـاعهم بإرشـاد الناس إلى هـذا المعين الصافى للشـريعة الإسـلامية كى ينهلوا منه، وكـان اهتمام الإمام السـجاد(عليه السـلام) بليغاً بهـذا الأمر حتى قال(عليه السـلام) لرجل شاجره فى مسألـة شـرعية فقهيـة: «يا هذا، لو صـرت إلى منازلنا لأريناك آثار جبرئيل فى رحالنا، أيكون أحدٌ أعلم بالسـنّة منّا» [۱۹۹] . وقال(عليه السـلام): «إنّ دين الله لا ـ يُصاب بالعقول الناقصـة والآراء الباطلـة والمقاييس الفاسـدة، لا يُصاب إلاّ بالتسـليم، فمن سـلّم لنا سَـلِم، ومن اقتـدى بنا هُـدى، ومن كان يعمل بالقياس والرأى هلك، ومن وجـد فى نفسه ـ ممّا نقوله أو نقضـى به ـ حَرَجاً كفر بالّذى أنزل السـبع المثانى والقرآن العظيم وهو لا يعلم» [۲۰۰] .

الجهاد الاجتماعى والعملى

إنّ أهّم أهداف القادة الإلهيّين هو إصلاح المجتمع البشرىّ بتربيته على التعاليم الالهية، ولا بدّ للمصلح أن يمرّ بمراحل من العمل الجادّ والمضـنى فى هذا الطريق الشائك، فعليه: ۱ ـ أن يربّى جيلاً من المؤمنين على التعاليم الحقّـة التى جاء بها الـدين والأخلاق القيّمة التى ينبغى التخلّق بهـا، لكى يكونوا له أعوانـاً على الخير. ۲ ـ أن يـدخل المجتمع بكـلّ ثقله، ويحضـر بين الناس، ويواجه الظالمين والطغاة بتعاليمه، ويبلغهم رسالات الله. ۳ ـ أن يقاوم الفساد الـذى يبثّه الظالمون فى المجتمع بهـدف شلّ قواه، وتفريغه من المعنويات، وإبعاده عن فطرته السليمة المعتمدة على الحقّ والخير. [صفحه ۱۱۸] كان للإمام(عليه السلام) نشاط واسع فى كلّ هذه المجالات، بحيث يعدّ ـ بحقٍّ ـ فى صـدر قائمـة المصـلحين الالـهيين بالرغم من تميّز عصـره بتحكّم طغاة بنى اُميـة على الاُمّـة وعلى مقـدّراتها وجسم الخلافة الإسلامية التى تقتل من يعارضها وتهدر دمه تحت عنوان الخروج على الإسلام. ويمكن الحديث عن أوجه نشاطه(عليه السلام) العملى فى الجانب الإجتماعى على عدّة أوجه منها:

الاخلاق والتربية (على مستوى الامة و أتباع أهل البيت)

ضرب الإمام زين العابدين(عليه السلام) أروع الأمثلة فى تجسيد الخلق المحمدى العظيم فى التزاماته الخاصة وفى سيرته مع الناس، بل مع كلّ ما حوله من الموجودات. فكانت تتبلور فيه شخصـية القائد الإسـلامى المحنّك الذى جمع بين القابلية العلمية الراقية، والشـرف السامق، والقـدرة على جـذب القلوب وامتلاكها، ومواجهـة المشاكل والوقوف لصـدّها بكلّ صبر وأناة وهـدوء. فالصبر الـذى تحلّى به وتجلّى لنـا من خلال ما تحمّله فى مأساة كربلاء أكبر شاهـد على عظمـة صبره. ومثابرته ومـداومته على العمل الإسـلامى بارزة للعيان، وهذا الفصل يمثّل جزءاً من نشاطه السياسى والإجتماعى الجادّ. وحديث مواساته للإخوان والفقراء والمساكين والأرامل والأيتام بالبذل والعطاء والإنفاق ممّا اشـتهر عند الخاصّ والعامّ. وحُنوّه وحنانه على العبيد وعلى الأقارب والأباعد بل على أعدائه وخصومه ممّا سارت به الركبان. [صـفحه ۱۱۹] وأخبـار عبـادته وخوفه من الله جـلّ جلاله وإعلانه ذلك فى كلّ مناسـبة ملأت الصـحف حتى خصّ بلقب «زين العابدين» و «سـيّد الساجدين». وسـنتحدّث عن بعض ذلك فيما بعد بإذنه تعالى، كما أنّنا أشـرنا إلى جانب بسـيط جدّاً من ذلك سابقاً.

الاصلاح والدولة

لقد شاع عند بعض المؤرّخين أنّ الأئمّة من أبناء الحسين (عليهم السلام) قد اعتزلوا بعد مذبحة كربلاء السياسة، وانصرفوا إلى الإرشاد والعبادة والإنقطاع إلى الدنيا [۲۰۱] . ويدلّلون على قولهم هذا بتأريخ حياة الإمام السجاد(عليه السلام) ودعوى انعزاله عن الحياة الإسلامية العامة، ويبدو أنّ سبب هذه التصوّرات الخاطئة لدى المؤرّخين هو ما بدا لهم من عدم احتدام الأئمّة بعد الحسين(عليه السلام) على عمل مسلّح ضد الوضع الحاكم مع إعطائهم الجانب السياسى من القيادة معنىً ضيّقاً لا ينطبق إلّا على عمل مسلّح من هذا القبيل. إنّ ما يقال من أنّ الأئمّة من أهل البيت(عليهم السلام) من أبناء الحسين(عليه السلام) اعتزلوا السياسة وانقطعوا عن الدنيا فهو زعم يكذّبه وينفيه واقع حياة الأئمّة الزاخرة كلّها بالشواهد على ايجابية المشاركة الفعّالة التى كانوا يمارسونها. فمن ذلك علاقات الإمام زين العابدين(عليه السلام) بالأُمّة والزعامة الجماهيرية الواسعة النطاق والتى كان يتمتّع بها على طول الخط [۲۰۲] ؛ فإنّ هذه الزعامة لم يكن ليحصل عليها الإمام(عليه السلام) صدفةً أو على أساس مجرّد الانتساب إلى [صفحه ۱۲۰] الرسول(صلى الله عليه وآله) بل على أساس العطاء والدور الايجابى الذى كان يمارسه الإمام فى الأُمّة بالرغم من إقصائه عن مركز الحكم؛ فإنّ الأُمّة لا تمنح ـ على الأغلب ـ الزعامة مجاناً، ولا ـ يمتلك الفرد قيادتها ويحتلّ قلوبها بدون عطاء سخيّ منه تستشعره الأُمّة فى مختلف مجالاتها، وتستفيد منه فى حلّ مشكلاتها والحفاظ على رسالتها. ومع أنّ مزاولات الإمام (عليه السلام) الدينية كلّها من صميم العمل السياسى وخاصّةً فى عصره حيث لم يُسمع نغمُ الفصل بين السياسة والدين بعد، نجد فى طيّات حياة الإمام(عليه السلام) عيّنات واضحة من التدخّلات السياسية الصريحة، فهو كما يبدو من النصوص الصادرة عنه تجده رجلاً مشرفاً على الساحة السياسية، يدخل محاورات حادّة، ويتابع مجريات الأحداث، ويدلى بتصريحات خطيرة ضد الأوضاع الفاسدة التى تعيشها الأُمّة وإليك بعض النماذج على ذلك: ۱ ـ قال عبد الله بن الحسن بن الحسن: كان علىّ بن الحسين بن على بن أبى طالب يجلس كلّ ليلة هو وعروة بن الزبير فى مؤخّر مسجد النبى(صلى الله عليه وآله) بعد العشاء الآخرة، فكنت أجلس معهما، فتحدّثا ليلة، فذكروا جور من جار من بنى أُميّة والمقام معهم، فقال عروة لعلىّ: يا علىّ إنّ من اعتزل أهل الجور والله يعلم منه سخطه لأعمالهم، فكان منهم على ميل ثم أصابتهم عقوبة الله رُجى له أن يسلم ممّا أصابهم. قال: فخرج عروة، فسكن العقيق. قال عبد الله بن الحسن: وخرجت أنا فنزلت سويقة [۲۰۳] . [صفحه ۱۲۱] أمّا الإمام(عليه السلام) فلم يخرج، بل آثر البقاء فى المدينة طوال حياته؛ لأنّه كان يعدّ مثل هذا الخروج فراراً من الزحف السياسى وإخلاءً للساحة الاجتماعية للظالمين، يجولون فيها ويصولون [۲۰۴] . ولعلّ اقتراح عروة بن الزبير ـ وهو من أعداء أهل البيت (عليهم السلام) [۲۰۵] ـ كان تدبيراً سياسياً منه أو من قبل الحكّام لإبعاد الإمام(عليه السلام) عن الحضور فى الساحة السياسية والاجتماعية، لكنّه(عليه السلام) لم يخرج وظلّ يواصل مسيرته الجهادية. ۲ ـ قال(عليه السلام): «إنّ للحق دولة على العقل، وللمنكر دولة على المعروف، وللشرّ دولة على الخير، وللجهل دولة على الحلم، وللجزع دولة على الصبر، وللخرق دولة على الرفق، وللبؤس دولة على الخصب، وللشدّة دولة على الرخاء، وللرغبة دولة على الزهد، وللبيوت الخبيثة دولة على بيوتات الشرف، وللأرض السبخة دولة على الأرض العذبة، فنعوذ بالله من تلك الدول ومن الحياة فى النقمات» [۲۰۶] . وإذا كانت الدولة فى اللسان العربى هى الغلبة والاستيلاء ـ وهى من أبرز مقومات السلطة الحاكمة ـ فإنّ الإمام(عليه السلام) يكون قد أدرج قضية السلطة السياسية فى سائر القضايا الحيوية والطبيعية التى يهتمّ بها ويفكّر فى إصلاحها. فمن يا ترى؟ ومن هى البيوتات الشريفة المغلوبة فى عصره (عليه السلام)؟ وهل التعوّذ بالله تعالى من دولة السلطان يعنى أمراً غير رفض وجوده والتنديد بسلطته؟ وهل يتصوّر السياسى أن يكون له حضور أقوى من هذا فى مثل [صفحه ۱۲۲] ظروف الإمام(عليه السلام) وموقعه وضمن تخطيطه الشامل فى قيادة حركية الإسلام؟ وهل يصدر مثل هذا من رجل ادُّعى أنّه ابتعد عن السياسة أو اعتزلها؟.

مقاومة الفساد

وإذا كـان مـن أهـم واجبـات المصـلح وخاصـةً المصـلح الإلـهى مقاومـة الفسـاد ومحاربـة المفسـدين فى الأرض؛ فإنّ الإمـام زين العابدين(عليه السلام) قام بدور بارز فى أداء هذا الواجب. وقد تميّز عصره(عليه السلام) بمشاكل اجتماعية من نوع خاص، وقد تكون موجودة فى كثير من العصور، إلّا أنّ بروزها فى عصره كان واضحاً ومكثّفاً، كما أنّ الإمام(عليه السلام) قام بمعالجتها بأُسلوبه الخاصّ، ممّا أعطاها صبغة فريدة تميّزت فى جهاد الإمام(عليه السلام) وأهمها مشكلة الفقر العام ومشكلة الرقّ والعبيد. وسنعرض لهما فى فصل قادم إن شاء الله تعالى. [صفحه ۱۲۳]

ظواهر فذة فى حياة الإمام زين العابدين

اشاره

تميّزت حيـاة الإمـام زيـن العابـدين(عليـه السـلام) بمظـاهر فـذّة، وهى وإن كـانت متـوفرة فى حيـاة آبـائه الطـاهرين وأبنـائه الأـئمّة المعصومين(عليهم السلام) إلّا أنّها برزت فى سيرته(عليه السلام) بشكل أكثر وضوحاً وأوسع دوراً، ممّا دعانا إلى تسليط الضوء عليها أشدّ من غيرها، وهى: أ ـ ظاهرة العبادة. ب ـ ظاهرة الدعاء. ج ـ ظاهرة البكاء. د ـ ظاهرة الإعتاق. فإذا سبرنا حياة الأئمّة (عليهم السلام) وجـدناهم ـ كلّهم ـ يتميّزون فى هـذه المظاهر على أهل زمانهم، إلّا أنّها فى حياة الإمام زين العابـدين(عليه السلام) تجلّت بقوة، حتى كان (عليه السلام) فريداً فى كلّ منها.

ظاهرة العبادة فى حياة الإمام

أجمع معاصـروا الإمام زين العابـدين(عليه السـلام) على أنّه كان من أعبـد الناس وأكثرهم طاعة لله تعالى، ولم ير الناس مثله فى عظيم إنابته وعبادته، وقـد بهر [صـفحه ۱۲۴] بها المتّقون والصالحون، وحسبـه أنّه وحـده الـذى قد لُقّب بزين العابدين وسيّد الساجدين فى تأريـخ الإسـلام. أمّا عبادته(عليه السـلام) فكانت ناشـئة عن إيمانه العميق بالله تعالى وكمال معرفته به، وقـد عبـده لا طمعاً فى جنّته ولا خوفاً من ناره، وإنّما وجده أهلاً للعبادة فعبده، وشأنه فى ذلك شأن جدّه أمير المؤمنين وسيّد العارفين وإمام المتّقين، وقد أعرب (عليه السـلام) عن عظيم إخلاـصه فى عبادته بقوله: «إنّى أكره أن أعبـد الله ولا غرض لى إلّا ثوابه، فأكون كالعبـد الطامع إن طمع عمل وإلّا لم يعمـل، وأكره أن أعبـده لخوف عـذابه، فـأكون كالعبـد السوء إن لم يخف لم يعمـل...». فـانبرى إليه بعض الجالسـين فقـال له: فبم تعبده؟ فأجابه عن خالص إيمانه: «وأعبُدُه لما هو أهله بأياديه وإنعامه» [۲۰۷] . ولقد مَلأ حبّ الله تعالى قلب الإمام(عليه السلام) وسخّر عواطفه فكـان مشـغولاً بعبـادة الله وطـاعته فى جميع أوقـاته، وقـد سُـئلت جاريـة له عن عبـادته فقـالت: أُطنب أو أختصـر؟ قيـل لها: بل اختصـرى. فقـالت: مـا أتيته بطعـام نهـاراً قطّ، وما فرشت له فراشاً بليل، قطّ [۲۰۸] . لقـد قضـى الإمام(عليه السـلام) معظم حياته صائماً نهاره، قائماً ليله، مشغولاً تارةً بالصلاة، وأُخرى بالدعاء. [صفحه ۱۲۵]

عبادة الإمام

وضوؤه

الوضوء هو نور وطهـارة من الـذنوب، والمقدمـة الاـولى للصـلاة، وكان الإمام(عليه السـلام) دوماً على طهارة، وقـد تحـدّث الرواة عن خشـوعه لله فى وضـوئه، فقـالوا: إنّه إذا أراد الوضوء اصـفرّ لونه، فيقول له أهله: مـا هـذا الـذى يعتريـك عنـد الوضوء؟ فيجيبهم قائلاًـ: «أتدرون بين يدى مَن أقوم؟!» [۲۰۹] .

صلاته

اشاره

أمّا الصلاة فمعراج المؤمن وقربان كلّ تقىّ كما فى الحديث الشريف، وكانت الصلاة من أهم الرغبات النفسية للإمام(عليه السلام) فقد اتّخذها معراجاً ترفعه إلى الله تعالى، وكانت تأخذه رعدة إذا أراد الشروع فى الصلاة، فقيل له فى ذلك فقال: «أتدرون بين يدى من أقوم، ومن اُناجى؟!» [۲۱۰] ونعرض لبعض شؤونه فى حال صلاته.

تطيبه للصلاة

وكان الإمام إذا أراد الصلاة تطيّب من قارورة كان قد جعلها فى مسجد صلاته [۲۱۱] . [صفحه ۱۲۶]

لباسه فى صلاته

وكان الإمام(عليه السلام) إذا أراد الصلاة لبس الصوف وأغلظ الثياب [۲۱۲] ، مبالغة منه فى إذلال نفسه أمام الخالق العظيم.

خشوعه فى صلاته

كانت صلاته تمثّل الانقطاع التامّ إلى الله جلّ جلاله والتجرّد من عالم المادّيات، فكان لا يحسّ بشىء من حوله، بل لا يحسّ بنفسه فيما تعلّق قلبه بالله تعالى، ووصفه الرواة فى حال صلاته، فقالوا: كان إذا قام إلى الصلاة غشى لونه بلون آخر، وكانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله، وكان يقف فى صلاته موقف العبد الذليل بين يدى الملك الجليل، وكان يصلّى صلاة مودِّع يرى أنّه لا يصلّى بعدها أبداً [۲۱۳] . وتحدّث الإمام الباقر(عليه السلام) عن خشوع أبيه فى صلاته فقال: «كان علىّ بن الحسين إذا قام فى الصلاة كأنّه ساق شجرة لا يتحرك منه شىء إلّا ما حركت الريح منه» [۲۱۴] . ونقل أبان بن تغلب إلى الإمام الصادق(عليه السلام) صلاة جدّه الإمام السجاد(عليه السلام) فقال له: إنّى رأيت علىّ بن الحسين إذا قام فى الصلاة غشى لونه بلون آخر، فقال له الإمام الصادق(عليه السلام): «والله إنّ علىّ بن الحسين كان يعرف الذى يقوم بين يديه...» [۲۱۵] . وكان من مظاهر خشوعه فى صلاته أنّه إذا سجد لا يرفع رأسه حتى [صفحه ۱۲۷] يرفض عرقاً [۲۱۶] أو كأنّه غمس فى الماء من كثرة دموعه وبكائه [۲۱۷] ، ونقل عن أبى حمزة الثمالى أنّه رأى الإمام قد صلّى فسقط الرداء عن أحد منكبيه فلم يسوّه فسأله أبو حمزة عن ذلك فقال له: «ويحك، أتدرى بين يدى مَنْ كنتُ؟ إنّ العبد لا يقبل من صلاته إلّا ما أقبل عليه منها بقلبه» [۲۱۸] .

صلاة ألف ركعة

وأجمع المترجمون للإمام(عليه السلام) أنّه كان يصلّى فى اليوم والليلة ألف ركعة [۲۱۹] ، وأنّه كانت له خمسمائة نخلة، فكان يصلّى عند كلّ نخلة ركعتين [۲۲۰] ونظراً لكثرة صلاته؛ فقد كانت له ثفنات فى مواضع سجوده كثفنات البعير، وكان يسقط منها فى كلّ سنة، فكان يجمعها فى كيس، ولمّا توفّى (عليه السلام) دفنت معه [۲۲۱] .

كثرة سجوده

إنّ أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو فى حال سجوده كما فى الحديث الشريف، وكان الإمام(عليه السلام) كثير السجود لله تعالى خضوعاً وتذلّلا له، وروى: أنّه خرج مرّةً إلى الصحراء فتبعه مولىً له فوجده ساجداً على حجارة خشنة، فأحصى عليه ألف مرّة يقول:

«لا إله إلّا الله حقّاً حقّاً، لا إله إلّا الله تعبّداً ورقّاً، لا إله إلّا الله إيماناً وصدقاً» [۲۲۲] . [صفحه ۱۲۸] وكان يسجد سجدة الشكر، ويقول فيها مئة مرّة: «الحمد لله شكراً»، ثمّ يقول: «يا ذا المنّ الذى لا ينقطع أبداً، ولا يحصيه غيره عدداً، ويا ذا الجود الذى لا ينفد أبداً، يا كريم، يا كريم» ويتضرّع بعد ذلك ويذكر حاجته [۲۲۳] .

كثرة تسبيحه

وكان دوماً مشغولاً بذكر الله تعالى وتسبيحه وحمده، وكان يسبّح الله بهذه الكلمات: «سبحان من أشرق نوره كلّ ظلمة، سبحان من قدّر بقوته كلّ قدرة، سبحان من احتجب عن العباد بطرائق نفوسهم فلا شىء يحجبه، سبحان الله وبحمده» [۲۲۴] .

ملازمته لصلاة الليل

من النوافل التى كان لا يَدَعُها الإمام(عليه السلام) صلاة الليل، فكان مواظباً عليها فى السفر والحضر [۲۲۵] إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى.

دعاؤه بعد صلاة الليل

وكان(عليه السلام) إذا فرغ من صلاة الليل دعا بهذا الدعاء الشريف، وهو من غرر أدعية أئمّة أهل البيت(عليهم السلام)، وإليك بعض مقاطعه: «اللهمّ يا ذا الملك المتأبد بالخلود والسلطان، الممتنع بغير جنود ولا ـ أعوان، والعزّ الباقى على مرّ الدهور وخوالى الأعوام [۲۲۶] ومواضى الأزمان والأيام، عزّ سلطانك عزاً لا حدّ له بأوّلية ولا منتهى له بآخرية، واستعلى ملكك علوّاً سقطت الأشياء دون بلوغ أمده [۲۲۷] ولا [صفحه ۱۲۹] يبلغ أدنى ما استأثرت من ذلك أقصى نَعت الناعتين، ضلّت فيك الصفات وتفسّخت [۲۲۸] دونك النعوت، وحارت فى كبريائك لطائف الأوهام، كذلك أنت الله الأوّل فى أوّليّتك، وعلى ذلك أنت دائمٌ لا تزول، وأنا العبد الضعيف عملاً الجسيم أملاً، خرجت من يدى أسباب الوصلات [۲۲۹] إلاّ ـ ما وصله رحمتك، وتقطّعت عنّى عصم [۲۳۰] الآمال إلّا ما أنا معتصم به من عفوك، قلّ عندى ما أعتد به من طاعتك، وكثر علىّ ما أبوء [۲۳۱] به من معصيتك، ولن يضيق عليك عفوٌ عن عبدك، وإن أساء فاعف عنّى...». «اللهمّ إنّى أعوذ بك من نار تغلّظت بها على مَن عصاك، وتوعّدت بها على من صدف [۲۳۲] عن رضاك، ومن نار نورها ظلمة، وهيّنها أليم، وبعيدها قريب، ومن نار يأكل بعضها بعضٌ، ويصول [۲۳۳] بعضُ ها على بعض، ومن نار تذر [۲۳۴] العظام رميماً [۲۳۵] ، وتسقى أهلها حميماً [۲۳۶] ، ومن نار لا تبقى على مَن تضرّع اليها، ولا ترحم من استعطفها، ولا تقدر على التخفيف عمّن خشع لها واستسلم اليها، تلق سكانها بأحرّ ما لديها من أليم النكال [۲۳۷] وشديد الوبال [۲۳۸] » [۲۳۹] . [صفحه ۱۳۰] وذبل الإمام(عليه السلام) من كثرة العبادة وأجهدته أىّ إجهاد، وقد بلغ به الضعف أنّ الريح كانت تميله يميناً وشمالاً بمنزلة السنبلة [۲۴۰] التى تميلها الريح. وقال ابنه عبد الله: كان أبى يصلّى بالليل فإذا فرغ يزحف إلى فراشه [۲۴۱] . وأشفق عليه أهله ومحبّوه من كثرة ما بان عليه من الضعف والجهد من كثرة عبادته، فكلّموه فى ذلك لكنّه(عليه السلام) أصرّ على شدّة تعبّده حتى يلحق بآبائه، قال له أحد أبنائه: يا أبت كم هذا الدؤوب (يعنى الصلاة)؟ فأجابه الإمام(عليه السلام): «أَتَحَبّبُ إلى ربّى» [۲۴۲] . وقال جابر بن عبدالله الأنصارى للإمام(عليه السلام): ياابن رسول الله! أما علمت أنّ الله تعالى إنّما خلق الجنّة لكم ولمن أحبّكم، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم، فما هذا الجهد الذى كلّفته نفسك؟ فأجابه الإمام(عليه السلام): «يا صاحب رسول الله، أما علمت أنّ جدى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فلم يَدَع الإجتهاد له، وتعبّد ـ بأبى واُمى ـ حتى انتفخ ساقه وورم قدمه، وقد قيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ فقال(صلى الله عليه وآله): أفلا أكون عبداً شكوراً؟». فقال له جابر: ياابن رسول الله، البُقْيا على نفسك، فإنّك من اُسرة بهم يستدفع البلاء، وبهم يستكشف الأدواء، وبهم تُستمطر السماء...» فأجابه الإمام(عليه

السلام): «لا أزال على منهاج أَبَوَیَّ متأسِّياً بهما حتی ألقاهما...» [۲۴۳] . [صفحه ۱۳۱]

صومه

وقضـی الإمام معظم أيام حياته صائماً، وقـد قالت جاريته حينما سئلت عن عبادته: «ما قـدّمتُ له طعاماً فی نهار قطّ» وقـد أحبَّ الصومَ وحثَّ عليه إذ قـال (عليه السـلام): «إنّ الله تعـالی وكّـل ملائكـهٔ بالصائمين» [۲۴۴] ، وكـان(عليه السـلام) لاـ يفطر إلاّ فی يوم العيـدين وغيرهما ممّا كان له عذر. وكان له شأن خاص فی شـهر رمضان، أنّه لم يترك نوعاً من أنواع البِرّ والخير إلاّ أتی به، وكان لا يتكلم إلاّ بالتسبيح والإسـتغفار والتكبير، وإذا أفطر قال: «اللّهم إن شـئت أن تفعل فعلت» [۲۴۵] . وكان(عليه السـلام) يستقبل شهر رمضان بشوق ورغبـهٔ لأنّه ربيع الأبرار، وكان يـدعو لدی دخول شـهر الله تعالی بدعاء نقتطف منه بعض الفقرات، قال(عليه السـلام): «الحمد لله الذی هـدانا لحمـده وجعلنـا من أهله؛ لنكون لإحسـانه من الشـاكرين، وليجزينـا علی ذلك جزاء المحسـنين. والحمـد لله الـذی حبانا بـدينه، واختصّنا بملّته، وسَبَّلَنا [۲۴۶] فی سُـبُلِ إحسانه، لنسـلكها بمنّه إلی رضوانه... والحمد لله الذی جعل من تلك السبل شهره شهر رمضان شهر الصـيام وشـهر الإسـلام وشـهر الطهور وشـهر التمحيص وشـهر القيام... اللّهم صلّ علی محمد وآله، وألهمنا معرفهٔ فضـله، وإجلال حرمته، والتحفّظ ممّا حظرت فيه، وأعِنّا علی صيامه بكفّ الجوارح عن معاصيك، واستعمالها فيه بما يرضيك، حتی لا نُصغی بأسماعنا إلی لغو، ولاـ نسـرع بأبصارنـا إلی لهو، وحتی لاـ نبسط أيـدينا إلی محظور، ولا نخطو بأقـدامنا إلی محجور، وحتی لا تعی بطوننا إلاّ ما أحَلَلْت، ولا تنطق ألسـنتنا [صفحه ۱۳۲] إلاّـ بما مثّلت، ولا نتكلّف إلاّ ما يـدنی من ثوابك، ولا نتعاطی إلاّ الـذی يقی من عقابك، ثم خلّص ذلـك كلّه من رئاء المرائين وسُـمعهٔ المسـمعين، لا نُشـرك فيه أحـداً دونك، ولا نبتغی فيه مراداً سواك... اللهمّ اشـحنه [۲۴۷] بعبادتنا إيّاك، وزيّن أوقاتنا بطاعتنا لك، وأعنّا فی نهاره علی صـيامه، وفی ليله علی الصـلاهٔ والتضـرع اليك والخشوع لك والذلّهٔ بين يديك حتی لا يشـهد نهاره علينا بغفلهٔ ولا ليله بتفريط. اللهمّ واجعلنا فی سائر الشهور والأيام كذلك ما عمّرتنا...» [۲۴۸] . وكان الإمام زين العابـدين(عليه السـلام) فی كلّ يوم من أيام شـهر رمضان يأمر بذبـح شاهٔ وطبخها... فإذا نضـجت يقول: «هاتوا القصاع» ويأمر بأن يُفرَّق علی الفقراء والأرامل والأيتام حتی يأتی علی آخر القدور ولا يبقی شـيئاً لإفطاره، وكان يفطر علی خبز وتمر [۲۴۹] . ومن مَبَرّات الإمام(عليه السـلام) فی شـهر رمضان المبارك كثرهٔ عتقه وتحرير أرقّائه من رقّ العبوديهٔ، علی أنهم كانوا يعيشون فی ظلاله محترمين، فكان يعاملهم كأبنائه، وكان(عليه السـلام) لا يعاقب أمهً ولا عبداً إذا اقترفا ذنباً، وإنّما كان يسـجّل اليوم الذی أذنبوا فيه، فإذا كان آخر شهر رمضان جمعهم وأظهر الكتاب الذی سـجّل فيه ذنوبهم، ويقول: «ارفعوا أصواتكم وقولوا: يا علیّ بن الحسين! إنّ ربّك قد أحصی عليـك كلّ ما عملتَ، كما أحصـيت علينا ما عملناه، ولـديه كتاب ينطق بالحقّ لا يغادر صـغيرهٔ ولا كبيرهٔ ممّا أتيت إلاّ أحصاها، وتجد كلّ ما عملت لديه حاضراً، كما وجدنا كلّ ما عملنا لديك حاضراً، [صفحه ۱۳۳] فاعف واصفح، كما ترجو من المليك العفو، وكما تحبّ أن يعفو المليك عنك، فاعف عنّا تجده عَفُوّاً، وبك رحيماً ولك غفوراً، ولا يظلم ربّك أحداً... كما لديك كتاب ينطق بالحقّ علينـا، لا يغادر صـغيرهٔ ولا كبيرهٔ ممّا أتيناه إلاّ أحصاها، فاذكر يا علیّ بن الحسـين ذلّ مقامك بين يـدی ربّك الحَكَم العـدل الـذی لا يظلم مثقال حبّهٔ من خردل، ويأتی بها يوم القيامهٔ، وكفی بالله حسـيباً وشـهيداً، فاعف واصفح يعف عنك المليك ويصفح، فإنّه يقول: (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم) [۲۵۰] . وكـان يلقّنهم بتلك الكلمات التی تمثّل انقطاعه التامّ إلی الله تعالی واعتصامه به، وهو واقف يبكی من خشـيته تعـالی ويقول: «ربِّ إنّـك أمرتنـا أن نعفو عمّن ظلمنـا، وقـد عفونـا عمّن ظلمنـا كما أمرت فاعف عنّا فإنّـك أولی بـذلك منّا ومن المأمورين، وأمرتنا أن لا نردّ سائلاً عن أبوابنا، وقـد أتيناك سُؤّالاً ومساكين، وقـد أنَخْنا بفنائك وببابك نطلب نائلـك ومعروفـك وعطـاءك فامنن بـذلك علينا، ولا تخيّبنا فإنّك أولی بـذلك منّا ومن المأمورين، إلهی كَرُمتَ فأكرِمنی، إذ كنت من سُؤّالك وجُدْتَ بالمعروف فأخلطنی بأهل نوالك يا كريم...». ثم يُقبِلُ عليهم بوجهه الشـريف وقد تبلّل من دموع عينيه قائلاً لهم بعطف وحنـان: «قـد عفوت عنكم، فهـل عفوتم عنّی؟ وممّا كان منّی من سوء ملكـهٔ، فإنّی مليك سوء لئيم ظالم، مملوك لمليك

کریم جواد عـادل محسن متفضـل...» وینبری العبیـد قـائلین له: قـد عفونـا عنـک یا سیّدنا، فیقول لهم: «قولوا: اللهمّ اعف عن علیّ بن الحسـین کمـا عفا عنّا، فاعتقه من النار کما أعتق رقابنا من الرق». فیقولون ذلک، ویقول بعـدهم: «اللهمّ آمین ربّ العالمین، اذهبوا فقد عفوت عنکم، وأعتقت رقـابکم رجاءً للعفو عنّی وعتق رقبتی» فإذا کان یوم عیـد الفطر [صـفحه ۱۳۴] أجازهم جائزة سنیّة تغنیهم عمّا فی أیدی الناس [۲۵۱] .

دعاؤه

دعاؤه فی الأسحار

وکان الإمام(علیه السـلام) یناجی ربّه ویـدعوه بتضـرّع وإخلاص فی سـحر کلّ لیلـة من لیالی شـهر رمضان بالدعاء الجلیل الذی عرف بدعاء أبی حمزة الثمالی؛ لأنّه هو الذی رواه عنه، وهو من غرر أدعیة أهل البیت(علیهم السلام) وهو یمثّل مدی إنابته وانقطاعه إلی الله تعـالی کمـا أنّ فیه من المواعـظ مـا یوجب صـرف النفس عن غرورهـا وشـهواتها، کمـا یمتـاز بجمال الاُسـلوب وروعـة البیان وبلاغة العرض، وفیه من التذلّل والخشوع والخضوع أمام الله تعالی ما لا یمکن صدوره إلاّ عن إمام معصوم. وقد احتلّ هذا الدعاء مکانة مهمّة فی نفـوس الأخیـار والصـلحاء من المسـلمین، إذ واظبوا علی الـدعاء به، وممّـا قـاله الإمـام (علیه السـلام) فی دعـائه: «إلهی، لاـ تؤدّبنی بعقوبتـک، ولا تمکر بی فی حیلتک، من أین لی الخیر یا ربّ ولا یوجـد إلاّ من عنـدک؟ ومن أین لی النجاة ولا تسـتطاع إلاّ بک؟ لا الذی أحسن استغنی عن عونک ورحمتک، ولا الذی أساء واجترأ علیک ولم یرضک خرج عن قدرتک... بک عرفتک وأنت دللتنی علیـک ودعوتنی الیـک، ولو لا أنت لم أدر ما أنت. الحمـد لله الـذی أدعوه فیجیبنی وإن کنتُ بطیئاً حین یـدعونی، والحمـد لله الـذی أسـأله فیعطینی وإن کنت بخیلاًـ حین یستقرضـنی... أدعـوک یـا سـیدی بلسـان قـد أخرسه ذنبه، ربّ اُناجیـک بقلب قـد أوبقه جرمه، أدعوک یـا ربّ راهباً راغباً راجیاً خائفاً، إذا رأیت مولای ذنوبی فزعتُ، وإذا رأیت کرمک طمعت... [صـفحه ۱۳۵] یا واسع المغفرة، یا باسط الیـدین بالرحمـة، فوعزّتک یا سیّدی لو نهرتنی ما برحتُ [۲۵۲] من بابـک ولاـ کففت عن تملّقک [۲۵۳] لمـا انتهی إلیّ من المعرفـة بجودک وکرمـک... اللهمّ إنّی کلّمـا قلت قـد تهیّأت وتعبّأت وقمت للصـلاة بین یـدیک وناجیتک ألقیت علیّ نعاساً إذا أنا صلّیت وسـلبتنی مناجاتک إذا أنا ناجیت، ما لی کلّما قلتُ قد صـلُحت سریرتی [۲۵۴] وقرب من مجالس التوابین مجلسـی عرضت لی بلیـة أزالت قـدمی وحـالت بینی وبین خـدمتک. سـیدی لعلّـک عن بابک طردتنی، وعن خـدمتک نحیتنی، أو لعلّک رأیتنی مسـتخفّاً بحقّـک فأقصـیتنی، أو لعلّـک فقـدتنی من مجـالس العلمـاء فخـذلتنی، أو لعلّک رأیتنی فی الغافلین فمن رحمتک آیسـتنی، أو لعلّک رأیتنی آلف مجالس البطّالین فبینی وبینهم خلّیتنی، أو لعلّک لم تحبّ أن تسمع دعائی فباعدتنی، أو لعلّک بجرمی وجریرتی کافیتنی، أو لعلّک بقلّـة حیائی منک جازیتنی... إلهی، لو قرنتنی بالأصـفاد ومنعتنی سـیبک [۲۵۵] من بین الأشـهاد ودللت علی فضایحی عیون العبـاد وأمرت بی إلی النـار وحلت بینی وبین الأـبرار؛ مـا قطعتُ رجـائی منـک، ومـا صـرفت تـأمیلی للعفو عنک، ولا خرج حبّک من قلبی... ارحم فی هـذه الدنیا غربتی، وعند الموت کربتی، وفی القبر وحدتی، وفی اللحد وحشتی، وإذا نُشـرتُ للحساب بین یدیک ذلّ موقفی، واغفر لی ما خفی علی الآدمیّین من عملی، وأدم لی مابه سترتنی، وارحمنی صریعاً علی الفراش، تقلّبنی أیدی أحبّتی، وتفَضَّل علیّ ممـدوداً علی المغتسل یقلّبُنی صالـح جیرتی، وتحنّنْ علیّ محمولاً قـد تناول الأقرباء أطراف جنازتی، وجُـد علیّ منقولاً قـد نزلتُ بک وحیـداً فی حفرتی، وارحم فی ذلک البیت [صـفحه ۱۳۶] الجدید غربتی، حتی لا أسـتأنس بغیرک...» [۲۵۶] . وکان الإمام(علیه السـلام) یتأثّر إذا انطوت أیام شـهر رمضان؛ لأنّه عیـد أولیاء الله تعالی، وکان یودّعه بـدعاء جلیل نقتطف منه ما یلی: «السـلام علیک یا شهر الله الأکبر ویا عید أولیائه. السـلام علیک یا أکرم مصحوب من الأوقات، ویا خیر شهر فی الأیام والساعات. السلام علیک من شهر قربت فیه الآمال، ونشرت فیه الأعمال. السلام علیک من قرین جلّ قدره موجوداً، وأفْجع فقده مفقوداً، ومرجوٍّ آلم فراقه. السلام علیک

من أليف آنس مقبلاًـ فسرّ، وأوحش منقضياً فمضّ [۲۵۷] . السلام عليك من مجاور رقّت فيه القلوب، وقلّت فيه الذنوب. السلام عليك من ناصر أعان على الشيطان. السلام عليك وعلى ليلهٔ القدر التى هى خير من ألف شهر. السلام عليك ما كان أحرصنا بالأمس عليك، وأشدّ شوقنا غداً إليك. اللهمّ اسلخنا بانسلاخ هذا الشهر [۲۵۸] من خطايانا، وأخرجنا بخروجه من سيئاتنا، واجعلنا من أسعد أهله به، وأجزلهم قسماً فيه، وأوفرهم حظّاً منه...» [۲۵۹] .

حجه

اشاره

وكان يحثّ على الحج والعمرهٔ بقوله: حجّوا واعتمروا تصح أجسادكم، وتتّسع أرزاقكم، ويصلح إيمانكم، وتكفوا مؤونهٔ الناس ومؤونهٔ عيالكم» [۲۶۰] . [صفحه ۱۳۷] وقال(عليه السلام): «الحاج مغفور له، وموجوب له الجنّهٔ، ومستأنف به العمل، ومحفوظ فى أهله وماله» [۲۶۱] . وقال(عليه السلام): «الساعى بين الصفا والمروهٔ تشفع له الملائكهٔ» [۲۶۲] . وكان(عليه السلام) يدعو إلى تكريم الحجّاج إذا قدموا من بيت الله الحرام ويقول: «استبشروا بالحجّاج إذا قدموا وصافِحوهم، وعظّموهم تشاركوهم فى الأجر قبل أن تخالطهم الذنوب» [۲۶۳] . وحجّ(عليه السلام) غير مرّهٔ ماشياً كما حج أبوه وعمّه الحسن(عليهم السلام)، وحج على ناقته عشرين حجّهٔ وكان يرفق بها كثيراً. وقال ابراهيم بن علىّ: حججتُ مع علىّ بن الحسين فتلكّأتْ ناقته فأشار اليها بالقضيب، ثم ردّ يده، وقال: «آه من القصاص...» [۲۶۴] . وكان الإمام(عليه السلام) إذا أراد السفر إلى بيت الله الحرام احتفّ به القرّاء والعلماء؛ لأنّهم كانوا يتزوّدون منه العلوم والمعارف والحكم والآداب، وقال سعيد بن المسيب: إنّ القرّاء كانوا لاـ يخرجون إلى مكّهٔ حتى يخرج علىّ بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب [۲۶۵] . واذا انتهى الإمام إلى إحدى المواقيت التى يحرم منها؛ يأخذ بعمل سنن [صفحه ۱۳۸] الإحرام، وإذا أراد التلبيهٔ عند عقد الإحرام اصفرّ لونه واضطرب ولم يستطع أن يلبّى، فاذا قيل له: ما لك لا تلبّى؟ قال: «أخشى أن أقول: لبيك، فيقال لى: لاـ لبيك». وإذا لبّى غشى عليه من كثرهٔ خوفه من الله تعالى، ويسقط من راحلته، ولاـ يزال يعتريه هذا الحال حتى يقضى حجّه [۲۶۶] . وكان الإمام(عليه السلام) إذا أدّى مناسكه فى البيت الحرام؛ أقبل على الصلاهٔ تحت ميزاب الرحمهٔ. ورآه طاووس اليمانى فى ذلك المكان قائماً وهو يدعو الله ويبكى من خشيهٔ الله، فلمّا فرغ من صلاته قال له طاووس: رأيتك على حالهٔ من الخشوع ولك ثلاثهٔ اُمور، أرجو أن تؤمنك من الخوف، أحدها: أنّك ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، الثانى: شفاعهٔ جدّك، الثالث: رحمهٔ الله. فأجابه الإمام(عليه السلام) قائلاً: «يا طاووس، أمّا أنّى ابن رسول الله(صلى الله عليه وآله) فلا يؤمننى وقد سمعت الله تعالى يقول: (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) [۲۶۷] ، وأمّا شفاعهٔ جدّى فلاـ تؤمننى؛ لانّ الله تعالى يقول: (ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى) [۲۶۸] وأمّا رحمهٔ الله فالله يقول: (إنّ رحمهٔ الله قريب من المحسنين) [۲۶۹] ولاـ أعلم أنّى محسن» [۲۷۰] . وقال طاووس: رأيت علىّ بن الحسين يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبّد، فإذا لم يرَ أحداً رمق السماء بطرفه وقال: «الهى، غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتّحات للسائلين، جئتك لتغفر لى وترحمنى وترينى وجه جدى محمد (صلى الله عليه وآله) فى عرصات القيامهٔ» ثم بكى وقال: «أما وعزّتك وجلالك ما أردتُ بمعصيتى مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاكّ، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك [صفحه ۱۳۹] متعرّض، ولكن سوّلت لى نفسى، وأعاننى على ذلك سترك المرخى به علىّ، فأنا الآن من عذابك من يستنقذنى، وبحبل من اعتصم إن قطعت حبلك عنّى...». ثم خرّ إلى الأرض ساجداً، فدنوت منه ورفعت رأسه ووضعته فى حجرى، فوقعتْ قطرات من دموعى على خدّه الشريف فاستوى جالساً، وقال بصوت خافت: «من هذا الذى أشغلنى عن ذكر ربى؟». فأجابه طاووس بخضوع وإجلال: أنا طاووس ياابن رسول الله، ما هذا الجزع والفزع ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جانون؟ أبوك الحسين بن علىّ واُمّك فاطمهٔ الزهراء وجدّك رسول الله. فأجابه الإمام(عليه السلام): «هيهات هيهات يا طاووس، دع عنك

حـدیث أبی وأُمی وجـدّی، خلق الله الجنـة لمن أطاعه وأحسن ولو کان عبـداً حبشیاً، وخلق النار لمن عصاه ولو کان سیّداً قرشیاً، أما سمعت قوله تعالی: (فإذا نفخ فی الصور فلاـ أنساب بینهم یومئـذ ولا یتساءلون)؟ والله لا ینفعک غـداً إلاّ ما تقـدّمه من عمل صالـح» [۲۷۱] .

دعاؤه فی یوم عرفة

وکان الإمام(علیه السـلام) فی عرفات یقوم بالصـلاة والـدعاء وتلاوة القرآن الکریم، وکان یـدعو بدعاء جلیل وهو من غرر أدعیة أئمّة أهل البیت(علیهم السـلام)، وفیما یلی بعض المقتطفات منه: «الحمد لله ربّ العالمین، اللهمّ لک الحمد بدیع السماوات والأرض [۲۷۲] ذا الجلال والإکرام، ربّ الأرباب، وإله کلّ مألوه، وخالق کلّ مخلوق، ووارث کلّ شـیء لیس کمثله [صـفحه ۱۴۰] شیء، ولا یعزب [۲۷۳] عنه علم شـیء، وهو بکلّ شـیء محیط، وهو علی کلّ شـیء رقیب. أنت الله لا اله إلاّ أنت الأحد المتوحّد الفرد، وأنت الله لا اله إلاّـ أنت الکریم المتکرّم العظیم المتعظّم الکبیر المتکبّر، وأنت الله لاـ اله إلاّـ أنت العلیّ المتعال الشدیـد المحال [۲۷۴] . أنت الـذی قصـرت الأوهام عن ذاتیتک، وعجزت الأفهام عن کیفیتک، ولم تـدرک الأبصار موضع أینیّتک، أنت الـذی لا تُحـدّ فتکون محدوداً، ولم تمثل فتکون موجوداً، ولم تلـد فتکون مولوداً. لک الحمد حمداً یدوم بدوامک، ولک الحمد حمداً خالداً بنعمتک، ولک الحمد حمداً یوازی صنعک، ولک الحمد حمداً یزید علی رضاک، ولک الحمد حمداً مع حمد کلّ حامد. ربّ صلّ علی محمد وآله صلاةً زاکیةً لا تکون صلاةٌ أزکی منها، وصلّ علیه صلاةً نامیةً لا تکون صلاةٌ أنمی منها، وصلّ علیه صلاةً راضیةً لا تکون صلاةٌ فوقها... ربِّ صـلِّ علی أطـائب أهـل بیته الـذین اخترتهم لأمرک، وجعلتهم خزنـة علمک وحفظـة دینک، وخلفاءَک فی أرضک، وحججک علی عبادک، وطهّرتهم من الرجس والدنس تطهیراً بإرادتک، وجعلتهم الوسیلة إلیک والمسلک إلی جنّتک. اللهمّ إنّک أیّدت دینک فی کلّ أوان بإمام أقمته علماً لعبادک ومناراً فی بلادک، بعـد أن وَصَـلْت حبله بحبلک، وجعلته الذریعة إلی رضوانک، وافترضت طاعته، وحـذّرت معصـیته، وأمرت بامتثال أوامره والانتهاء عنـد نهیه، وألاّ یتقـدّمه متقـدّم ولا یتأخّر عنه متأخّر، فهو عصـمة اللائـذین، وکهف المؤمنین، وعروة المتمسّـکین، وبهاءُ العالمین. وانزع من قلبی حبّ دنیا دنیة تنهی عمّا عندک، وتصدّ عن ابتغاء الوسیلة إلیک، وتذهل عن التقرّب منک، وزیّن لی التفرّد بمناجاتک باللیل والنهار، وهب لی عصـمة تـدنینی من خشـیتک، وتقطعنی عن رکوب محارمک، وتفکّنی مـن أسـر العظـائم، وهب لی التطهیر من [صـفحه ۱۴۱] دنس العصـیان، وأذْهِب عنّی درن الخطایـا، وسـربلنی [۲۷۵] بسربال عافیتـک. ولاـ تکلنی إلی حولی وقوّتی دون حولـک وقوّتـک، ولا تخزنی یوم تبعثنی للقائک، ولا تفضـحنی بین یـدی أولیائک، ولا تنسنی ذکرک، ولا تُذهب عنّی شکرک... واجعل رغبتی إلیک فوق رغبة الراغبین، وحمدی إیّاک فوق حمد الحامدین، ولا تخذلنی عنـد فاقتی إلیک. اجعل هیبتی فی وعیـدک، وحـذری من إعـذارک وإنـذارک، ورهبتی عنـد تلاوة آیاتک، واعمر لیلی بإیقاظی فیه لعبادتک، وتفرّدی بالتهجّـد لک، وتجرّدی بسـکونی إلیک وإنزال حوائجی بک ومنازلتی إیّاک [۲۷۶] فی فکاک رقبتی من نارک، وإجارتی ممّا فیه أهلها من عـذابک، ولا تذرنی فی طغیانی عامهاً [۲۷۷] ولا فی غمرتی [۲۷۸] ساهیاً حتی حین، ولا تجعلنی عظةً لمن اتّعظ، ولاـ نکالاًـ لمن اعتبر، ولاـ فتنـةً لمن نظر، ولاـ تمکر بی فیمن تمکر به، ولا تسـتبدل بی غیری... واجعل قلبی واثقاً بما عنـدک، وهمّی مستغرقاً لما هو لک، واستعملنی بما تستعمل به خالصتک، وأشرب قلبی عند ذهول العقول طاعتک... وصن وجهی عن الطلب إلی أحد من العالمین، وذبّنی عن التماس ما عند الفاسـقین ولا تجعلنی للظالمین ظهیراً ولا لهم علی محو کتابک یداً ونصیراً...» [۲۷۹] .

دعاؤه یوم عید الأضحی

کـان الإمـام زین العابـدین(علیه السـلام) یسـتقبل یوم عیـد الأضـحی بالابتهـال إلی الله والتضـرّع إلیه، طالبـاً منه أن یتفضّل علیه بقبول

مناسکه وسائر طاعاته [صفحه ۱۴۲] وعباداته، وأن یمنحه المغفرة والرضوان، ومن دعائه فی هذا الیوم المبارک: «اللهمّ هذا یوم مبارک میمون والمسلمون فیه مجتمعون. اللهمّ إلیک تعمّدت بحاجتی، وبک أنزلتُ الیوم فقری وفاقتی ومسکنتی، وإنّی بمغفرتک ورحمتک أوثق منّی بعملی، ولمغفرتک ورحمتک أوسع من ذنوبی، فصلّ علی محمد وآل محمد، وتولّ قضاء کلّ حاجة هی لی بقدرتک علیها، وبتیسیر ذلک علیک، وبفقری إلیک، وغناک عنّی، فإنّی لم أُصِبْ خیراً قطُّ إلاّ منک، ولم یصرف عنّی سوءاً قط أحد غیرک، ولا أرجو لأمر آخرتی ودنیای سواک. اللهمّ فصلّ علی محمد وآل محمد، ولا تخیّب الیوم ذلک من رجائی، یا من لا یُحفیه سائل [۲۸۰] ولا ـ ینقصه نائل، فإنّی لم آتک ثقةً منّی بعمل صالح قدّمته، ولا شفاعة مخلوق رجوته إلاّ شفاعة محمد وأهل بیته صلواتک علیه وعلیهم وسلامک، أتیتک مقرّاً بالجرم والإساءة إلی نفسی، أتیتک أرجو عظیم عفوک الذی عفوت به عن الخاطئین ثمّ لم یمنعک طول عکوفهم [۲۸۱] علی عظیم الجرم أن عدت [۲۸۲] علیهم بالرحمة والمغفرة. اللهمّ إنّ هذا المقام [۲۸۳] لخلفائک [۲۸۴] وأصفیائک ومواضع اُمنائک [۲۸۵] فی الدرجة الرفیعة التی اختصصتهم بها قد ابتزوها [۲۸۶] وأنت المقدّر لذلک، لا یغالب أمرک، ولا یُجاوز [صفحه ۱۴۳] المحتوم من تدبیرک، کیف شئت وأنّی شئت...» [۲۸۷] .

ظاهرة الدعاء والمناجاة فی حیاة الإمام

قال تعالی: (قل ما یعبؤا بکم ربّی لولا دعاؤکم فقد کذّبتم فسوف یکون لزاماً) [۲۸۸] . قال السید ابن طاووس رضوان الله تعالی علیه فی مقام بیان ما تفیده الآیة المبارکة: فلم یجعل لهم لولا الدعاء محلاًّ ولا مقاماً فقد صار مفهوم ذلک أنّ محل الإنسان ومنزلته عند الله جلّ جلاله علی قدر دعائه وقیمته بقدر اهتمامه بمناجاته وندائه [۲۸۹] . وفی ضوء هذه الحقیقة القرآنیة نجد أنّ الإمام زین العابدین(علیه السلام) کان یدعو الله تعالی ویناجیه فی کلّ آن وعلی کلّ حال، مجسّداً فقره المطلق إلی الله جلّ جلاله، وهو ما یستبطن قدر الإمام ومکانته باعتبار أنّ المقام عند الله تعالی علی قدر دعائه ومناجاته أو علی قدر إدراکه لفاقته وحاجته إلی الله عزوجلّ، والعمل بما یقتضیه هذا الإدراک من انقطاع تامّ إلی الله تعالی والإعراض عن کلّ ما سواه. ونقتطف هنا بعض النصوص الشریفة من أدعیة ومناجات الإمام(علیه السلام) التی تبیّن ذروة حالات الیقین والغنی التی یمکن أن یصلها الإنسان إذا رسّخ فی عقله وقلبه حقیقة (أن لا ـ مؤثّر فی الوجود إلاّ ـ الله تعالی) فلا ـ یتعلّق قلبه بغیره سبحانه، ولا یرجو شیئاً من سواه تعالی، ولا یحبّ شیئاً غیره ویعمر [صفحه ۱۴۴] أوقاته کلّها بذکره تعالی والعمل بطاعته: قال(علیه السلام): «اللهمّ صلّ علی محمّد وآله، واجعل سلامة قلوبنا فی ذکر عظمتک، وفراغ أبداننا فی شکر نعمتک، وانطلاق ألسنتنا فی وصف منّتک، اللهمّ صلّ علی محمّد وآله، واجعلنا من دعاتک الداعین إلیک، وهداتک الدالّین علیک، ومن خاصّتک الخاصّین لدیک یا أرحم الرحمین» [۲۹۰] . إنّه الانقطاع التامّ والکامل فکراً وذکراً وسلوکاً وخُلقاً لله جلّ جلاله. وقال(علیه السلام) مناجیاً الله جلّ جلاله: «کیف أرجو غیرک والخیر کله بیدک؟! وکیف اُؤمّل سواک والخلق والأمر لک؟! أأقطع رجائی منک وقد أولیتنی ما لم أسأله من فضلک أم تفقرنی إلی مثلی وأنا اعتصم بحبلک؟! یا من سعد برحمته القاصدون، ولم یشق بنقمته المستغفرون، کیف أنساک ولم تزل ذاکری؟! وکیف ألهو عنک وأنت مراقبی؟!» [۲۹۱] . لقد انقطع(علیه السلام) إلی الله عزوجلّ کأعظم ما یکون الإنقطاع، فلم یأمل فی جمیع اُموره غیره معتقداً بأنّ الأمل بما فی ید غیره سراب. وناجی ربّه عزوجل بقوله(علیه السلام): «إلهی أذهلنی عن إقامة شکرک تتابع طولک [۲۹۲] ، وأعجزنی عن إحصاء ثنائک فیض فضلک، وشغلنی عن ذکر محامدک ترادف [۲۹۳] عوائدک [۲۹۴] ، وأعیانی عن نشر عوارفک توالی أیادیک. إلهی تصاغر عند تعاظم آلائک شکری، وتضاءل فی جنب إکرامک إیّای ثنائی ونشری [۲۹۵] . [صفحه ۱۴۵] جلّلتنی [۲۹۶] نعمک من أنوار الإیمان حللاً، وضربت علیّ لطائف برّک من العزّ کللاً [۲۹۷] ، وقلّدتنی مننک قلائد لا تحلّ، وطوّقتنی أطواقاً لا تفلّ [۲۹۸] ، فآلاؤک جمّة ضعف لسانی عن إحصائها، ونعماؤک کثیرة قصر فهمی عن ادراکها فضلاً عن استقصائها، فکیف لی بتحصیل الشکر وشکری إیّاک یفتقر إلی شکر؟! فکلّما قلت: لک الحمد وجب علیّ لذلک أن أقول: لک الحمد...» [۲۹۹] . وهکذا یعلّمنا الإمام(علیه السلام)

کیف نشکر الله تعالی علی ما أولانا من جزیل النعم، وأنّ الانسان مهما بالغ فی شکره فإنّه عاجز وقاصر عن أداء الشکر. وقال(علیه السلام): «اللهمّ احملنا فی سفن نجاتک، ومتّعنا بلذیذ مناجاتک، وأوردنا حیاض حبّک، وأذقنا حلاوة ودّک وقربک، واجعل جهادنا فیک، وهمّنا فی طاعتک، وأخلص نیّاتنا فی معاملتک، فإنّا بک ولک ولا وسیلة لنا إلیک إلّا أنت...» [۳۰۰] . وهکذا طلب(علیه السلام) من الله تعالی أن یخلص نیّته فی معاملته ویبلغه أعزّ أمانیه وهی ابتغاء رضوانه جلّ جلاله. وقال(علیه السلام): «... إلهی فَاسْلُک بنا سُبُلَ الوصول إلیک، وسیّرنا فی أقرب الطرق للوفود علیک، قرّب علینا البعید، وسهّل علینا العسیر الشدید، وألحقنا بعبادک الذین هم بالبدار [۳۰۱] إلیک یسارعون، وبابک علی الدوام یطرقون، وإیّاک فی اللیل والنهار یعبدون، وهم من هیبتک مشفقون، الذین صفّیت لهم المشارب، وبلّغتهم الرغائب، وأنجحت لهم [صفحه ۱۴۶] المطالب، وقضیت لهم من فضلک المآرب [۳۰۲] ، وملأت لهم ضمائرهم من حبّک، وروّیتهم من صافی شربک، فبک إلی لذیذ مناجاتک وصلوا، ومنک أقصی مقاصدهم حصّلوا. فأنت لا غیرک مرادی، ولک لا لسواک سهری وسهادی، ولقاؤک قرّة عینی، ووصلک مُنی نفسی، وإلیک شوقی، وفی محبّتک ولهی [۳۰۳] ، وإلی هواک صبابتی [۳۰۴] ، ورضاک بغیتی، ورؤیتک حاجتی، وجوارک طلبی، وقربک غایة سؤلی، وفی مناجاتک رَوحی [۳۰۵] وراحتی، وعندک دواء علّتی، وشفاء غلّتی [۳۰۶] ، وبرد لوعتی [۳۰۷] ، وکشف کربتی [۳۰۸] » [۳۰۹] . وهکذا انقطع(علیه السلام) إلی الله جلّ جلاله، وتعلّقت به روحه وعواطفه، فلم یبصر غیره، ولا یجد شافیاً لغلّتهِ سواه. وقال(علیه السلام): «إلهی کسری لا یجبره إلاّ ـ لطفک وحنانک، وفقری لا یغنیه إلاّ عطفک وإحسانک، وروعتی لا یسکّنُها إلاّ أمانک، وذلّتی لا یعزّها إلاّ سلطانک، واُمنیّتی لا یبلّغنیها إلاّ فضلک، وخلّتی [۳۱۰] لا ـ یسدّها إلاّ ـ طولک، وحاجتی لا یقضیها غیرک، وکربی لا یفرّجه سوی رحمتک، وضرّی لا یکشفه غیر رأفتک، وغلّتی لا یبرّدها إلاّ وصلک، ولوعتی لا یطفیها إلاّ لقاؤک، وشوقی إلیک لا یُبله إلاّ النظر إلی وجهک، وقراری لا یقرّ دون دنوّی منک» [۳۱۱] . لقد أبدی الإمام(علیه السلام) فقره وفاقته إلی الله سبحانه، وقد هام(علیه السلام) بحبّ [صفحه ۱۴۷] سیّده ومولاه خالق الکون وواهب الحیاة، فعقد جمیع آماله علیه ورجاه فی قضاء جمیع اُموره کأعظم ما یکون الرجاء.

تجلیات العرفان الإلهی

وقال(علیه السلام): «إلهی ما ألذّ خواطر الإلهام بذکرک علی القلوب، وما أحلی المسیر إلیک بالأوهام فی مسالک الغیوب، وما أطیب طعم حبّک، وما أعذب شرب قربک! فأعذنا من طردک وإبعادک، واجعلنا من أخصّ عارفیک وأصلح عبادک وأصدق طائعیک وأخلص عبّادک» [۳۱۲] . حقاً إنّ الإمام زین العابدین(علیه السلام) سیّد الموحّدین وزعیم العارفین بالله، ولم تکن عبادته تقلیداً، وإنّما کانت ناشئة عن کمال معرفته بالله تعالی، وقد أعرب فی النص المذکور عن کمال بغیته ألا وهو الإخلاص فی عبادته سبحانه وتعالی. وقال(علیه السلام): «إلهی فألهمنا ذکرک فی الخلاء [۳۱۳] والملاء [۳۱۴] واللیل والنّهار والإعلان والإسرار، وفی السرّاء والضرّاء، وآنِسنا بالذکر الخفیّ، واستعملنا بالعمل الزکیّ والسعی المرضیّ. أنت المُسبّح فی کلّ مکان، والمعبود فی کلّ زمان، والموجود فی کلّ أوان، والمدعوّ بکلّ لسان، والمعظّم فی کلّ جنان [۳۱۵] ، وأستغفرک من کلّ لذّة بغیر ذکرک، ومن کلّ راحة بغیر اُنسک، ومن کلّ سرور بغیر قربک، ومن کلّ شغل بغیر طاعتک...» [۳۱۶] . [صفحه ۱۴۸] ویأخذنا الذهول حینما نقرأ هذا النصّ السجّادی الذی أعطانا فیه صورة واضحة متمیّزة عن تضرّعه وتذلّله أمام الله سبحانه الذی لا تخفی علیه خافیة فی الأرض ولا فی السماء. إنّ المعرفة الحقیقیة بأنّ الإنسان فقیر إلی الله تعالی ـ کما جسّدته النصوص السابقة ـ تجعله یلتجئ إلیه تعالی دائماً، ومن هنا نجد أنّ للإمام السجاد(علیه السلام) أدعیة فی أوقات وحالات متعدّدة بالإضافة إلی ما أوردناه، فله (علیه السلام) دعاء فی الصلاة علی محمّد وآله، وفی الصلاة علی حملة العرش، وفی اللجوء إلی الله تعالی، وفی طلب الحوائج، وعند المرض، وفی مکارم الأخلاق، ولجیرانه، ولأولیائه، ولأهل الثغور، وفی الإستخارة، وفی التوبة، وإذا نظر إلی الهلال، وفی یوم عید الفطر، وفی التذلّل، وعند الشدّة، وعند ذکر الموت، وفی الرهبة، وفی استکشاف الهموم. وتجلّی من خلال الفصول السابقة أنّ سیرة الإمام زین العابدین(علیه السلام) جمعت له

روح الثورة ضدّ الطغيان والحماس الجهادى إلى جانب المعرفة الإلهية الحقّة وشدّة التعبّد لله جلّ جلاله، فكانت سيرته(عليه السلام) توضيحاً للإجابة عن التساؤلات التى تثار عن إمكانية الجمع بين الدعاء والمناجاة من جهة والروح النهضوية والتضحوية من جهة اُخرى. ولعلّ منشأ تلك التساؤلات هو توهّم البعض أنّ تفرّغهم للجهاد الأكبر ومجاهدة النفس والرياضات الشرعية والممارسات العبادية يغنيهم عن القتال والعمل الثورى والروح الجهادية باعتبارها جهاداً أصغر، إذ يغفلون عن حقيقة هى: أنّ القيام بالجهاد الأصغر هو أحد المحاور الأساسية للعمل بالجهاد الأكبر فى إطاره الأوسع، وأنّ ترك الجهاد ناشئ فى معظم الحالات عن هزيمة خفيّة فى أحد ميادين الجهاد الأكبر، فالتلازم بين شدّة التقيّة [صفحه ۱۴۹] وشدّة البأس أصيل، إذ يعبّر عن حقيقة شمولية الشريعة والدين الالهى الحنيف لكافة أبعاد حياة الإنسان الفردية والاجتماعية. فالمعرفة التوحيدية والنهضة صفتان واضحتان جسّدهما أئمّة أهل البيت(عليهم السلام)، إذ لم تخل سيرتهم أبداً من اجتماعهما، ويتّضح ذلك من خلال التمعّن فى مناجاتهم(عليهم السلام) وخطبهم فى ميادين الحرب ومواقفهم ضد الحكّام المنحرفين، ونلحظ ذلك عند الإمام السجّاد(عليه السلام) فى روحه الجهادية الناهضة التى لاحظناها من خلال تصريحاته فى الشام وفى مجلس يزيد بن معاوية وهو الأسير المكبّل بالسلاسل، والردّ الحاسم منه فى دار الإمارة بالكوفة على من هدّده بالقتل بقوله: «أبالقتل تهدّدنا وإنّ كرامتنا الشهادة» [۳۱۷] إنّ هذه الروح هى التى نطقت بأدعية الصحيفة السجادية وبالمناجاة الخمس عشرة [۳۱۸]، وفى هذا خير شاهد على اجتماع روح الحماسة وروح الدعاء والمناجاة والعبادة. وهذه الحقيقة أدّت بدورها إلى أن تَحمل أدعية الإمام(عليه السلام) جوانب سياسية، وجهادية، واجتماعية، وأخلاقية، إلى جوار جوانبها العقائدية والمعرفية والعبادية، فكانت ذات أهداف تغييرية شاملة. لقد كانت للأدعية السجادية أبعاد فكرية واسعة المدى بالنصوص الحاسمة لقضايا عقائدية إسلامية، كانت بحاجة إلى البتّ فيها بنص قاطع، بعد أن عصفت بالعقيدة تيارات الإلحاد كالتشبيه والجبر والإرجاء وغيرها ممّا كان الاُمويون وراء بعثها وإثارتها وترويجها، بهدف تحريف مسيرة التوحيد والعدل، تمهيداً للردّة عن الإسلام والرجوع إلى الجاهلية الاُولى. وفى حالة القمع والإبادة ومطاردة كلّ المناضلين الأحرار وتتبع آثارهم [صفحه ۱۵۰] وخنق أصواتهم كان قرار الإمام زين العابدين(عليه السلام) باتّباع سياسة الدعاء أنجح وسيلة لبثّ الحقائق وتخليدها، وأأمَن طريقة وأبعدها من إثارة السلطة الغاشمة، وأقوى أداة اتّصال سرّية مكتوبة هادئة موثوقة [۳۱۹].

ظاهرة البكاء فى حياة الإمام

تختلف دواعى البكاء عند الإنسان،فقد يبكى شوقاً إلى المحبوب، وقد يبكى اعتراضاً وصرخةً فى وجه النظام الغشوم، ومن هنا يمكن تفسير وفهم ما جاء من: «أنّ البكاء على الإمام أبى عبد الله الحسين وسيّد الشهداء(عليه السلام) من عوامل السعادة الخالدة والزلفى إلى المهيمن سبحانه». ولم يزل خاتم الأنبياء محمّد المصطفى(صلى الله عليه وآله) يبكيه فى بيته وفى المسجد وحده تارة ومع أصحابه تارةً اُخرى، ويجيب من يسأله قائلاً: «أخبرنى جبرئيل بقتل ولدى الحسين فى جماعة من أهل بيته وأرانى التربة التى يقتل فيها» [۳۲۰]. مضافاً إلى ما فى البكاء عليه من التعريف بالقساوة التى استعملها الاُمويون ولفيفهم، ومن هنا كان الأئمّة يحثّون شيعتهم على عقد المحافل لذكر حادثة الطفّ واستدرار الدموع لكارثتها المؤلمة، وأكثروا من بيان الاُجور المترتّبة عليه إلى حد بعيد. وغير خفيّ أنّ إكثار الإمام زين العابدين(عليه السلام) من البكاء على أبيه سيّد الشهداء طيلة حياته لم يكن لمحض الرقّة والعاطفة، بل إنّه(عليه السلام) لاحظ به غاية سامية وهى تعريف الأجيال المتعاقبة الواعية لهذا الخَطْب الجليل وهو (عليه السلام) [صفحه ۱۵۱] شاهد حال بما جاء به الاُمويّون من القساوة والفظاعة وخروجهم عن الدين والشريعة وتنمّرهم تجاه العدل والمروءة والإنسانية... لقد بكى على أبيه المدّة التى عاش فيها حتى قال له مولاه: إنّى أخاف عليك أن تكون من الهالكين، فقال: (إنّما أشكوا بثّى وحزنى إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون)، إنّى لم أذكر مصرع بنى فاطمة إلاّ خنقتنى العبرة» [۳۲۱]. وقال له آخر: أما آنَ لحزنك أن ينقضى؟ فقال (عليه السلام): «ويلك لقد شكا يعقوب إلى ربّه فى أقلّ ممّا رأيت حين قال: (يا أسفى) ولم يفقد إلاّ ابناً واحداً وهو حيّ فى الدنيا وأنا

رأيت أبى وجماعة أهل بيتى يذبّحون حولى» [۳۲۲] . وكان(عليه السلام) إذا أخذ الإناء لِيشرب الماء تذكّر عطش أبيه ومن معه فيبكى حتى يمزجه من دموعه، فإذا قيل له فى ذلك يقول: «كيف لا أبكى وقد مُنِع أبى من الماء الذى هو مطلق للوحوش والسباع» [۳۲۳] . وكثيراً ما كان يحدّث أصحابه بفوائد الحزن فى مصابهم والبكاء على ما انتابهم من المحن فيقول: «أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين حتى تسيل على خدّه؛ بوّأه الله فى الجنة غرفاً» [۳۲۴] فكان صلوات الله عليه بإدامته البكاء على أبيه يؤجّج فى الأفئدة ناراً لما ارتكبه أُولئك الطغاة من الجرائم والمآثم، يأبى الحنان البشرى أن يكون صاحبها إنساناً فضلًا عن أن يقود أُمّةً أو يرأس رعيّةً، وفضلًا عن أن يكون خليفة فى دين أو متبعاً فى دنيا. وحيث لم تسعه المجاهرة بموبقات من اغتصبهم الخلافة الإلهية وجرّ [صفحه ۱۵۲] إليهم الويلات ونكّل بهم؛ اتّخذ (عليه السلام) البكاء طريقاً لتنبيه الناس بتلكم الجرائم، وهذا منه أكبر جهاد ناجع فى تحطيم عرش من أهلك الحرث والنسل وعاث فى البلاد فساداً وخبالاً، فكان بكاؤه متمّماً للنهضة المقدسة. وقد سبقته إلى هذا الجهاد الأكبر جدّته الصدّيقة الزهراء(عليها السلام) وحاولوا إسكاتها معتذرين بأنّ نفوسهم لا تطيب بطعام ولا شراب وعزيزة الرسول(صلى الله عليه وآله) تنوح الليل والنهار فلم تهدأ عن البكاء، فاضطر سيّد الأوصياء(عليه السلام) إلى إخراجها إلى البقيع بعد أن بنى لها بيتاً من جريد النخل سمّاه «بيت الأحزان»، فإنّ الغرض تعريف الأُمّة من كان مستحقاً للخلافة الإلهية وقد اغتصبت منه. فالبكاء يوجب إلفات نظر الناس إلى الأسباب الباعثة عليه، وبهذا التفحّص تتجلى لهم الحقيقة ويسطع بصيصٌ مِنْ أَلَقِ الحَقِّ المحجوب بظلم الجائرين... [۳۲۵] . لقد كان البكاء واحداً من الأساليب التى جعلها الإمام السجّاد(عليه السلام) وسيلة لإحياء ذكرى كربلاء، كما استعمل أساليب أُخرى: منها: زيارة الحسين(عليه السلام) والحثّ عليها. قال أبو حمزة الثمالى: سألت علىّ بن الحسين عن زيارة الحسين(عليه السلام) فقال: «زره كلّ يوم، فإن لم تقدر فكلّ جمعة، فإن لم تقدر فكلّ شهر، فمن لم يزره فقد استخفّ بحقّ رسول الله(صلى الله عليه وآله)» [۳۲۶] ! [صفحه ۱۵۳] ومنها: الاحتفاظ بتراب قبر الحسين(عليه السلام) للسجود عليه [۳۲۷] . ومنها: أنّه(عليه السلام) كان يتختّم بخاتم أبيه الحسين(عليه السلام) [۳۲۸] .

ظاهرة الإعتاق فى حياة الإمام

العتق ظاهرة فريدة جاءت بها الشريعة الإسلامية، وقد اعتنى بها الأئمّة الأطهار إعتناءً تاماً، إلاّ أنّ تحرير الرقيق يشكل ظاهرة بارزة فى حياة الإمام زين العابدين(عليه السلام) بالخصوص بشكل ليس له مثيل فى تأريخ الإمامة، فهو أمر يسترعى الإنتباه والملاحظة الفاحصة. وإذا دقّقنا فى الظروف والملابسات التى عاشها الإمام(عليه السلام) وقمنا ببعض المقارنات بين أعماله (عليه السلام) والأحداث التى كانت تجرى من حوله والظروف التى اكتنفت عملية الإعتاق الواسعة التى تبنّاها الإمام(عليه السلام)؛ اتّضحت الصورة الحقيقية لأهدافه(عليه السلام) من ذلك. فيلاحظ أولاً: أنّ أعداد الرقيق والعبيد كانت تتواتر على البلاد الإسلامية، فكان الموالى فى ازدياد بالغ مذهل على أثر توالى الفتوحات. ثانياً: كان الأُمويون ينتهجون سياسة التمييز العنصرى، إذ كانوا يعتبرون الموالى شبه الناس [۳۲۹] . ثالثاً: أنّ الجهاز الحاكم على الدولة الإسلامية ابتداءً من الخليفة نفسه ومروراً بالأُمراء والوزراء وانتهاءً بموظّفى الدولة كانوا لا يمثّلون الإسلام، وإنّما كانوا بالضدّ والنقيض مع أحكامه وأخلاقه وآدابه وإن كانت تلهج [صفحه ۱۵۴] ألسنتهم باسمه وتلعق بشهاداته. رابعاً: أنّ انتشار العبيد والموالى وبالكثرة الكثيرة ومن دون أىّ تحصين أخلاقى أو تربية إسلامية كان يؤدّى إلى شيوع البطالة والفساد، وهو ما ترمى إليه الدولة الظالمة. ويلاحظ فيما يتّصل بالإمام(عليه السلام): ۱ ـ أنّ الإمام(عليه السلام) كان يشترى العبيد والإماء ولكن لا يُبقى أحدهم عنده أكثر من سنة واحدة فقط، وهذا يعنى أنّه كان مستغنياً عن خدمتهم، فكان يعتقهم بحجج متعدّدة وفى مناسبات مختلفة. ۲ ـ أنّ الإمام(عليه السلام) كان يعامل الموالى ـ لا كعبيد أو إماء ـ بل يعاملهم معاملة إنسانية مثالية، ممّا يعزّز فى نفوسهم الأخلاق الكريمة ويحبّب اليهم الإسلام وأهل البيت(عليهم السلام). ۳ ـ أنّ الإمام(عليه السلام) كان يعلّم الرقيق أحكام الدين ويغذّيهم بالمعارف الإسلامية، بحيث يخرج الواحد من عنده محصّناً بالمعلومات التى تفيده فى حياته ويدفع بها الشبهات ولا ينحرف عن

الإسلام الصحيح. ۴ ـ كان الإمام(عليه السلام) يزوّد من يعتقه بما يغنيه، فيدخل المجتمع ليزاول الأعمال الحرّة كأيّ فرد من الاُمّة، ولا يكون عالةً على المجتمع. فالإمام(عليه السلام) كان يستهدف إسقاط السياسة التى كان يزاولها الاُمويون فى معاملتهم للرقيق، فقد حقّق عمل الإمام(عليه السلام) النتائج التالية: أ ـ حرّر مجموعة كبيرة من عباد الله وإمائه الذين وقعوا فى الأسر، وتلك حالة استثنائية، ومع أنّ الإسلام كان قد أقرّها لاُمور يعرف بعضها من خلال قراءة التأريخ الإسلامى، إلّا أنّ الشريعة وضعت طرقاً عديدة لتخليص الرقيق وإعطائهم الحرية، وقد استفاد الإمام(عليه السلام) من كلّ الظروف والمناسبات [صفحه ۱۵۵] لتطبيق تلك الطرق، وتحرير العبيد والإماء، ففى عمل الإمام(عليه السلام) تطبيق للشريعة الإسلاميّة. ب ـ إنّ الرقيق المعتَقين يشكّلون جيلاً من الطلّاب الذين تربّوا فى بيت الإمام(عليه السلام) وعلى يده بأفضل صورة، وعاشوا معه حياة مفعمة بالحقّ والمعرفة والصدق والإخلاص وبتعاليم الإسلام من عقائد وشرائع وأخلاق كريمة. فقد كانت جماعة الرقيق تحتفظ بكلّ ذلك فى قرارات نفوسهم، فى شعورهم أو لا شعورهم، وينقلونه إلى الأجيال اللاحقة، وفى ذلك حفظ للإسلام المحمدى الذى كُلّف أهل البيت(عليهم السلام) مسؤولية حفظه وإيصاله إلى الأجيال اللاحقة. ولا ـ ريب أنّ الإمام(عليه السلام) لو أراد أن يفتح مدرسة لتعليم مجموعة من الناس فلابدّ أنّه كان يواجه منعاً من الجهاز الحاكم أو عرقلة لعمله أو رقابة شديدة فى أقل تقدير، بينما كان حُرّاً فى هذا المجال عن طريق توظيف ظاهرة طبيعية وعادية وهى شراء الرقيق وعتقهم فى ذلك الظرف الذى كان يستساغ فيه مثل هذا العمل. ج ـ لقد استقطب الإمام(عليه السلام) ولاء الأعداد الكبيرة من هؤلاء ـ الموالى المحرّرين، إذ لا ـ يزال ولاء العتق يربطهم بالإمام(عليه السلام) ولا بُعد فيه إذا لاحظنا مَنْ يُعتَقُ مع من يرتبط به من أعضاء اُسرته وعائلته وأقربائه الذين سوف يوجدون ويرتبطون به عاطفياً وعقائدياً وسياسياً بشكل طبيعى. [صفحه ۱۵۹]

من تراث الإمام زين العابدين

اشاره

لم يذكر التأريخ أنّ الأئمّة من أهل البيت(عليه السلام) قد درسوا عند أحد أو تتلمذوا عند شخصية علمية سوى ما ورثوه من آبائهم الكرام عن النبيّ(صلى الله عليه وآله). وقد تميّزوا بعلومهم الزاخرة ومعارفهم الباهرة والتى ظهر شىء منها فى الأوساط التى اكتنفتهم ونقل لنا بعض ما ظهر منهم. كما أجمع المؤرّخون على أنّ الأئمة المعصومين(عليهم السلام) كانوا من أوسع الناس علماً وأكثرهم دراية فى أكثر من مجال علمى. إنّ الإمامة والقيادة الرشيدة للاُمّة الإسلامية وللإنسانية المفتقرة إلى الهداية الربّانية تتطلّب إحاطة الإمام بكلّ علم يرتبط بمجال عمله ودائرة مسؤوليته، وقد أثبت أئمّة أهل البيت(عليهم السلام) هذه الحقيقة بشكل عملى قد سجّله التأريخ لنا بكلّ وضوح، ممّا أدّى إلى إثارة التيارات المخالفة لخط أهل البيت(عليهم السلام) ولا سيما الخلفاء الذين كانوا يرون الأئمّة أنداداً لهم لا يضاهيهم ند ولا شريك باعتبار تفوّقهم علماً وعملاً، وانتهت هذه الإثارات إلى السعى لاختبار الأئمّة(عليهم السلام) فى أكثر من مجال وفى أكثر من عصر، بحيث سُجّلت هذه الاختبارات فى التأريخ الإسلامى ودخلت مصادر التأريخ، ولم تترك مجالاً للريب فى جدارة الأئمّة من أهل البيت للقيادة الربّانية، باعتبار ما أثبتوه للاُمّة [صفحه ۱۶۰] بكلّ وضوح وحقّقوه من مرجعيّتهم العلمية على مختلف الأصعدة لكلّ من حاول اختبارهم وأراد الاطّلاع على واقع عملهم. وقد جاء فى نصوص الأحاديث الشريفة أنّ المؤمن ينظر بنور الله، وهو تعبير آخر عمّا جاء فى قوله تعالى: (واتّقوا اللهَ ويعلّمكم الله) [۳۳۰] ، فلا ـ بُعد فيما يعتقده الشيعة الإماميّة فى أئمتهم(عليهم السلام) من أنّهم مُلهمون بإلهام إلهى وتعليم ربّانى، وقد ورّثهم الرسول(صلى الله عليه وآله) علمه وأدبه وكماله، وهم أهل بيت الوحى والرسالة، فهم أجدر من غيرهم بوراثة العلم والكمال الربّانى المُتَبلوِرَين فى شخصيّة الرسول(صلى الله عليه وآله) القيادية وفى شخصيّة كلّ إمام من أهل البيت(عليهم السلام) الذين عيّنهم الرسول (صلى الله عليه وآله) بأمر من الله لتلك المهمّة الكبرى والمسؤوليّة العظمى، وقد قال تعالى: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ ـ وحىٌ يوحى) [۳۳۱] . إنّ العلماء الذين تتلمذوا على

الأئمّة من أهل البيت(عليهم السلام) ورووا عنهم بعض معارفهم خير شاهد على سعة علوم الأئمّة وتميّزها عن علوم غيرهم ممّن عُرفوا بالعلم والدراية. ويمكن أن نصنّف بعض ما روى عن الإمام زين العابدين(عليه السلام) إلى علوم القرآن والحديث والفقه والأخلاق والسيرة والتأريخ والعقائد، بالإضافة إلى ما أفاضه فى طيّات أدعيته ووصاياه واحتجاجاته فى علوم النفس والاجتماع والتربية والعرفان والإدارة والاقتصاد إلى غيرها من العلوم الطبيعية والإنسانية. ونعرض بإيجاز صورة عن معارفه وعلومه التى سجّلها لنا التأريخ. [صفحه ۱۶۱]

فى رحاب القرآن الكريم

اشاره

القرآن الكريم هو الوحى الإلهى الخالص والمعجزة الخالدة لنبوّة سيّد المرسلين وشريعة خاتم النبيّين والينبوع الثرّ لكلّ علم ومعرفة، وعنه قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «إنّى تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما» [۳۳۲] . وقد شغف الإمام زين العابدين(عليه السلام) كآبائه الكرام ـ بشكل ملفت للنظر ـ بالقرآن الكريم وعلومه، وتمثّل ذلك فى سلوكه اليومى وأدعيته واهتماماته، تلاوةً وتدبّراً وتفسيراً وتعليماً وعملاً، بما لا يدع مجالاً للريب فى أنّ الإمام(عليه السلام) كان هو القرآن الناطق والتجسيد الحىّ لكلّ آيات القرآن الباهرة والمعجزة الإلهية الخالدة. وها نحن نعرض بعض ما يشير إلى مدى اهتمام الإمام(عليه السلام) بالقرآن العظيم من خلال دعائه عند ختم القرآن بالإضافة الى ما مرّ فى البحوث السابقة. قال (عليه السلام): «اللهمّ إنّك أعنتنى على ختم كتابك الذى أنزلته نوراً، وجعلته مهيمناً على كلّ كتاب أنزلته، وفضّلته على كلّ حديث قصصته، وفرقاناً فرّقت به بين حلالك وحرامك، وقرآناً أعربت به عن شرائع أحكامك، وكتاباً فصّلته لعبادك تفصيلاً، ووحياً أنزلته على نبيّك محمّد صلواتك عليه وآله تنزيلاً، وجعلته نوراً نهتدى من ظلم الضلالة والجهالة [صفحه ۱۶۲] باتّباعه، وشفاءً لمن أنصت بفهم التصديق إلى استماعه، وميزان قسط [۳۳۳] لا يحيف [۳۳۴] عن الحقّ لسانه، ونور هدىً لا يطفأ عن الشاهدين برهانه، وعلم نجاة لا يضلّ من أمّ قصد سنّته، ولا تنال أيدى الهلكات من تعلّق بعروة عصمته. اللهمّ فإذا أفدتنا المعونة على تلاوته، وسهلت جواسى ألسنتنا [۳۳۵] بحسن عبادته، فاجعلنا ممّن يرعاه حقّ رعايته، ويدين لك باعتقاد التسليم لمحكم آياته، ويفزع إلى الإقرار بمتشابهه وموضّحات بيّناته، اللهمّ إنّك أنزلته على نبيّك محمّد (صلى الله عليه وآله)، وألهمته علم عجائبه مكملاً، وورثتنا علمه مفسّراً وفضّلتنا على من جهل علمه، وقوّيتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله. اللهمّ فكما جعلت قلوبنا له حملةً وعرّفتنا برحمتك شرفه وفضله فصلّ على محمّد الخطيب به وعلى آله الخزّان له، واجعلنا ممّن يعترف بأنّه من عندك حتى لا يعارضنا الشكّ فى تصديقه، ولا يختلجنا الزيغ عن قصد طريقه» [۳۳۶] . إنّ القرآن هو معجزة الإسلام الكبرى، وقد تحدّث سليل النبوّة فى هذا المقطع عن بعض معالمه وأنواره وهى: ۱ ـ إنّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم نوراً يهدى به الضالّ، ويرشد به الحائر، ويوضّح به القصد. ۲ ـ إنّ الله تعالى جعل القرآن الحكيم مهيمناً ومشرفاً على جميع كتبه التى أنزلها على أنبيائه، فهو يكشف عمّا حدث فيها من التغيير والتبديل والتحريف من قبل المنحرفين ودعاة الضلال. [صفحه ۱۶۳] ۳ ـ إنّ الله تعالى فضّل كتابه العزيز على كلّ حديث عرض فيه قصص الأنبياء وشؤونهم، فقد تناول الذكر الحكيم بصورة موضوعية وشاملة أحوالهم وشؤونهم واقتباس العبر منهم. ۴ ـ إنّ القرآن الكريم باعتباره منهجاً ودستوراً عامّاً للحياة يفرّق بين الحلال والحرام، ويعرب عن شرائع الأحكام، ويفصّل جميع ما يحتاجه الناس تفصيلاً واضحاً لا لبس فيه ولا غموضاً. ۵ ـ إنّ الله تعالى كما جعل كتابه الحكيم نوراً يُهتدى به فى ظلم الضلالة والجهالة كذلك جعله شفاءً من الأمراض والعاهات النفسية، وذلك لمن آمن به وصدّقه. ۶ ـ إنّ الذكر الحكيم ميزان عدل وقسط، ليس فيه ميلٌ عن الحقّ، ولا اتّباع لهوى، وإنّ من تمسّك به واعتصم؛ فقد سلك الطريق القويم الذى لا التواء فيه،

ونجـا من الهلاـك. ۷ ـ طلب الإمـام(عليه السـلام) من الله جـلّ جلاـله أن يتفضـل عليه برعايـة كتـابه والتسـليم لمحكم آيـاته والإقرار بمتشابهاته. ۸ ـ إنّ الله تعـالى قـد منـح نبيّه العظيم فهم عجـائب مـا فى القرآن الكريم وعلّمه تفسيره، كما أشاد بأئمّـة الهـدى من عترة الرسول(صلى الله عليه وآله) الذين رفعهم الله عزّوجلّ وأعلى درجتهم، فجعلهم خزنة علمه والأدلّاء على كتابه.

نماذج من تفسير الإمام زين العابدين

كان الإمام(عليه السلام) من ألمع المفسّرين للقرآن الكريم، وقد استشهد علماء التفسير بالكثير من روائع تفسيره، ويقول المؤرّخون أنّه كان صاحب مدرسة [صفحه ۱۶۴] لتفسير القرآن، وقد أخذ عنه ابنه الشهيد زيد فى تفسيره للقرآن [۳۳۷] كما أخذ عنه ابنه الإمام أبو جعفر محمـد الباقر(عليه السـلام) الذى رواه عنه زياد بن المنذر [۳۳۸] الزعيم الروحى للفرقة الجارودية. وهذه نماذج من تفسيره(عليه السـلام) لكتاب الله العزيز. ۱ ـ روى الإمام محمـد الباقر عن أبيه(عليهما السـلام)، فى تفسير الآيـة الكريمـة: (الـذى جعل لكم الأرض فراشاً) [۳۳۹] ، أنّه سبحانه وتعـالى جعـل الأرض ملائمـةً لطبـاعكم، موافقـةً لأجسـادكم، ولم يجعلها شديـدة الحمأ [۳۴۰] والحرارة فتحرقكم، ولا شديـدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم [۳۴۱] ، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديـدة الصـلابة فتمتنع عليكم فى دوركم وأبنيتكم وقبور موتاكم، ولكنّه عزّوجلّ جعل فيها من المتانـة [۳۴۲] ما تنتفون به، وتتماسـكون عليهـا أبـدانكم وبنيانكم، وجعل فيها ما تنقاد به لـدوركم وقبوركم وكثير من منافعكم، فلـذلك جعل الأرض فراشـاً لكم، ثمّ قـال عزوجلّ: (والسـماء بناءً) أى سـقفاً من فوقكم، محفوظاً يـدير شمسـها وقمرها ونجومها لمنافعكم، ثمّ قال عزوجلّ: (وأنزل من السـماء مـاءً) يعنى المطر ينزله من عـل ليبلغ قلـل جبـالكم وتلاـلكم وأوهادكم [۳۴۳] ثم فرّقه رذاذاً ووابلاً ـ وهطلاً ـ [۳۴۴] لتنشفه أرضوكم، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة [صفحه ۱۶۵] واحدة فيفسد أرضيكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم، ثم قـال عزوجـلّ: (فـأخرج به من الثمرات رزقـاً لكم) يعنى ممّا يخرجه من الأرض رزقاً لكم (فلا تجعلوا لله أنـداداً)أى أشـباهاً وأمثالاً من الأصـنام التى لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء (وأنتم تعلمون) أنّها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التى أنعمها عليكم ربّكم تبـارك وتعـالى [۳۴۵] . وحوت هـذه القطعـة الذهبيـة من كلاـم الإمـام زين العابـدين(عليه السـلام) أروع أدلـة التوحيد وأوثقها، فقد أعطت صورة متكاملة مشـرقة من خلق الله تعالى للأرض، فقد خلقها بالكيفية الرائعة التى ليست صـلبة ولا شديدة ليسـهل على الإنسـان العيش عليهـا، والانتفـاع بخيراتهـا وثمراتهـا التى لاـ تحصـى، فالأـرض بما فيها من العجائب كالجبال والأوديـة والمعادن والبحار والأنهار وغير ذلك من أعظم الأدلة وأوثقها على وجود الخالق العظيم الحكيم. كما اسـتدل الإمام(عليه السلام) على عظمة الله تعالى بخلقه السـماء وما فيها من الشـمس والقمر وسائر الكواكب التى تزوّد هذه الأرض بأشـعتها. إنّ أشـعّة الشمس لها الأثر البالغ فى تكوين الحياة النباتيـة، كما أنّ أشـعة القمر لها الأثر على البحار فى مـدّها وجزرها، وكـذلك لأشـعة سائر الكواكـب، فإنّ الأثر التام فى منـح الحيـاة العامّـة لجميع الموجودات الحيوانيـة والنباتيـة فى الأـرض، وهـذه الظواهر الكونيـة الـتى لم تكتشف إلاّ ـ فى هـذه العصور الحديثـة، إلاّ ـ أنّ الإمام (عليه السـلام) ألمـح إليها فى كلامه، فكان حقّاً هو وآباؤه وأبناؤه المعصومون الرواد الأوائل الـذين رفعوا راية العلم، وسـاهموا فى تكوين الحضـارة الإنسانيـة. [صـفحه ۱۶۶] وأعطى الإمـام(عليه السـلام) صورة متميزة عن الأمطـار، وأنّهـا تتساقط بصورة رتيبـة وفى أوقـات خاصـة، وذلـك لإحياء الأرض وإخراج ثمراتها، ولو دام المطر ونزل دفعـة واحـدة؛ لأهلك الحرث والنسل. وبعدما أقام الإمام الأدلّة المحسوسة على وجود الخالق الحكيم؛ دعا إلى عبادته وتوحيده ونبذ الأصنام والأنداد التى تدعو إلى انحطاط الفكر وجمود الوعى، لأنّها لا تضـرّ ولا تنفع ولا تملك أىّ قـدرة فى إدارة هـذا الكون وتصـريف شؤونه. ۲ ـ فسّـر (عليه السلام) الآية الكريمـة: (اُدخلوا فى السـلم كافّة) [۳۴۶] بقوله: «السـلم هو ولايـة أمير المؤمنين(عليه السـلام)» [۳۴۷] ولاـ شك أنّ ولايـة الإمام أمير المؤمنين وباب مدينة علم النبىّ(صـلى الله عليه وآله) هى السلم الحقيقى الذى ينعم الناس فى ظلاله بالأمن والرخاء والاستقرار، ولو أنّ المسـلمين كانوا قـد دانوا بهذه الولاية بعد وفاة النبىّ(صـلى الله عليه وآله) لما داهمتهم الأزمات فى حياتهم السياسـية والاجتماعية. ۳ ـ

روى الإمام الصادق(عليه السلام) عن جدّه الإمام زين العابدين(عليه السلام) فى تفسير قوله تعالى: (يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) [۳۴۸] أنّه قال: «إنّى ضامن على ربّى تعالى أنّ الصدقة لا تقع فى يد العبد حتى تقع فى يد الربّ تعالى»، وكان يقول: «ليس من شىء إلّا وكّل به ملك، إلّا الصدقة فإنّها تقع فى يد الله تعالى» [۳۴۹] . ۴ ـ سأل رجل الإمام زين العابدين(عليه السلام) عن الحقّ المعلوم الذى ورد فى قوله تعالى: (والذين فى أموالهم حقّ معلوم للسائل والمحروم) [۳۵۰] ، فقال (عليه السلام): [صفحه ۱۶۷] «الحقّ المعلوم الشىء الذى يخرجه من ماله ليس من الزكاة والصدقة المفروضتين»، فقال له الرجل: فما يصنع به؟ فقال(عليه السلام): «يصل به رحماً، ويقوّى به ضعيفاً، ويحمل له كلّه، أو يصل أخاً له فى الله، أو لنائبة تنوبه» وبهر الرجل من علم الإمام وراح يقول له: الله أعلم حيث يجعل رسالته فى من يشاء [۳۵۱] . ۵ ـ فسّر الإمام(عليه السلام) الآية الكريمة: (فاصفح الصفح الجميل) [۳۵۲] بأنّه العفو من غير عتاب [۳۵۳] .

فى رحاب الحديث الشريف

للحديث الشريف أهمية بالغة فى العلوم الإسلامية، فقد بُنى معظم الفقه الإسلامى عليه، فإنّه يعرض بصورة موضوعية وشاملة لتفصيل الأحكام الشرعية الواردة فى القرآن الكريم، فيذكر أنواعها من الوجوب والحرمة والاستحباب والكراهة والإباحة، كما يذكر أجزاءها وشرائطها وموانعها وسائر ما يعتبر فيها، ويعرض لعمومات الكتاب ومطلقاته فيخصّصها ويقيّدها، وبالإضافة إلى ذلك يتناول آداب السلوك وقواعد الأخلاق، ويعطى البرامج الوافية لسعادة الإنسان وبناء شخصيته. وقد كان الإمام زين العابدين(عليه السلام) فى عصر التابعين من أعظم الرواة وأهمّهم فضلًا عن كونه أحد مصادر بيان الأحكام والمعارف الإلهية باعتقاد الشيعة الإمامية باعتبار أنّ أحاديث الأئمّة(عليهم السلام) هى أحاديث رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وقد قال أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب(عليه السلام): «علّمنى رسول الله ألف باب من [صفحه ۱۶۸] العلم فتح لى من كلّ باب ألف باب» [۳۵۴] وأيّد التاريخ هذا المعنى فيما روى عن علىّ(عليه السلام) من العلوم والمعارف وأقرّت الصحابة بفضل علىّ وبمرجعيّته العلمية هو والأئمّة من بنيه، ولا غرو فى ذلك بعد أن جعلهم الله أبواب الهدى وسفن النجاة كما صحّ عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنّه قال: «مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق» [۳۵۵] . والنصوص التى وصلتنا عن الإمام زين العابدين(عليه السلام) قد صرّح فى بعضها بأنّها عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أو عن جدّه أمير المؤمنين، هذا فضلًا عمّا رواه عن أبيه الحسين(عليه السلام). وقد اعتنى أئمّة الحديث بأحاديثه اعتناءً فائقاً باعتباره الرائد العلمى فى عصر التابعين، ولولا مدرسته العلمية وجهوده التثقيفية المباركة؛ لاندرست أعلام الدين فى عصر طغت فيه الميوعة ورُوِّجَت فيه الشهوات، واُريد للاُمّة الإسلامية أن تعود إلى جاهلية جهلاء. [صفحه ۱۶۹]

فى رحاب اصول العقيدة و مباحث الكلام

كان الإمام(عليه السلام) فى زمانه وحيد عصره فى الإجابة على الأسئلة العقائدية المعقّدة ولا سيّما ما تعرضت له الاُمّة الإسلامية من تيارات فكرية مستوردة أو دخيلة تحاول زعزعة كيان العقيدة الخالصة كمباحث القضاء والقدر والجبر والإختيار التى ظهرت بوادرها فى حياة الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) وأخذت بالنمو والانتشار بحيث شكّلت ظاهرة فكرية تستدعى الانتباه وتتطلّب العلاج. وبرز الإمام علىّ بن الحسين(عليهما السلام) على الصعيد العلمى بروزاً جعله مناراً يشار إليه، وآمن به المسلمون جميعاً حتى قال الزهرى عنه: ما رأيت هاشمياً أفضل من علىّ بن الحسين ولا أفقه منه. وقد اعترف بهذه الحقيقة حكّام عصر الإمام من خلفاء بنى اُميّة ـ وهم لا يعترفون بالفضل لمن يطاولهم فى الخلافة والسلطان ـ حتى قال عبد الملك ابن مروان للإمام زين العابدين(عليه السلام): ولقد اُوتيت من العلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك قبلك إلّا من مضى من سلفك. ووصفه عمر بن عبد العزيز بأنّه سراج الدنيا وجمال الإسلام. وممّا ورد عنه فى القضاء والقدر أنّ رجلاً ـ سأله: جعلنى الله فداك، أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل؟ فأجابه(عليه

السلام): «إنّ القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد، فالروح بغير جسد لا تحسّ، والجسد بغير روح صورة لا حراك بها، فإذا اجتمعا قويا وصلحا، كذلك العمل والقدر، فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق، وكان القدر شيئاً لا يحسّ، ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر؛ لم يمض ولم يتمّ ولكنهما باجتماعهما، ولله [صفحه ۱۷۰] فيه العون لعباده الصالحين» ثم قال(عليه السلام): «ألا إنّ من أَجور الناس من رأى جوره عدلاً وعدل المهتدى جوراً، ألا إنّ للعبد أربعة أعين: عينان يبصر بهما أمر آخرته، وعينان يبصر بهما أمر دنياه، فإذا أراد الله عزوجل بعبد خيراً؛ فتح له العينين اللّتين فى قلبه فأبصر بهما العيب، وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه» ثمّ التفت إلى السائل عن القدر فقال: «هذا منه، هذا منه» [۳۵۶] . وقال (عليه السلام) فى بيان استحالة أن يوصف الله تعالى بالمحدودية التى هى من صفات الممكن: «لا يوصف الله تعالى بالمحدودية عظم الله ربّنا عن الصفة، وكيف يوصف بمحدودية من لا يُحَدّ، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير» [۳۵۷] ؟

الامام زين العابدين ينص على الأئمة من بعده و يبشر بالمهدى

۱ ـ روى(عليه السلام) عن جابر بن عبدالله الأنصارى حديثاً طويلاً جاء فيه: أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) أشار إلى سبطه الحسين قائلاًـ لجابر: «ومن ذرّيّة هذا رجل يخرج فى آخر الزمان يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت ظُلماً وجوراً...» [۳۵۸] . ۲ ـ وقال(عليه السلام) عن المهدىّ(عليه السلام): «إنّ الإسلام قد يُظهِرهُ الله على جميع الأديان عند قيام القائم» [۳۵۹] . ۳ ـ وقال(عليه السلام): «إذا قام القائم؛ أذهب الله عن كلّ مؤمن العاهة وردّ اليه قُوَّته» [۳۶۰] . [صفحه ۱۷۱] ۴ ـ وذكر(عليه السلام) أنّ سنن الأنبياء تجرى فى القائم من آل محمد(صلى الله عليه وآله): فمن آدم ونوح طول العمر، ومن إبراهيم خفاء الولادة واعتزال الناس، ومن موسى الخوف والغَيْبة، ومن عيسى(عليه السلام) اختلاف الناس فيه، ومن أيّوب الفَرَج بَعد البلوى، ومن محمّد(صلى الله عليه وآله) الخروج بالسيف [۳۶۱] . ۵ ـ وقال عن خفاء ولادته على الناس: «القائم منّا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا لم يولَد بَعد ليخرجَ حينَ يخرج وليس لأحد فى عنقِهِ بيعة» [۳۶۲] . ۶ ـ وعن أبى حمزة الثمالى عن أبى خالد الكابلى [۳۶۳] قال: دخلت على سيّدى علىّ بن الحسين زين العابدين(عليه السلام) فقلت له: يابن رسول الله! أخبرنى بالذين فرض الله طاعتهم ومودّتهم، وأوجب على خلقه الاقتداء بهم بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله). فقال لى: «يا أبا كنكر! إنّ اُولى الأمر الذين جعلهم الله أئمّة الناس وأوجب عليهم طاعتهم أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب، ثم انتهى الأمر إلينا»، ثم سكت. فقلت له: يا سيّدى! روى لنا عن أمير المؤمنين(عليه السلام) أنّه قال: «لا تخلو الأرض من حجّة لله على عباده» فمن الحجّة والإمام بعدك؟ قال: «ابنى (محمّد) واسمه فى التوراة (باقر) يبقر العلم بقراً، هو الحجّة والإمام بعدى، ومن بعد محمّد ابنه (جعفر) اسمه عند أهل السماء (الصادق)». فقلت له: يا سيّدى فكيف صار اسمه: (الصادق)، وكلّكم صادقون؟ [صفحه ۱۷۲] فقال: «حدّثنى أبى عن أبيه أنّ رسول الله قال: «إذا ولد ابنى جعفر بن محمّد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب فسموه الصادق، فإنّ الخامس من ولده الذى اسمه جعفر يدّعى الإمامة اجتراءً على الله وكذباً عليه، فهو عند الله (جعفر الكذّاب) المفترى على الله، المدّعى لما ليس له بأهل، المخالف على أبيه، والحاسد لأخيه، ذلك الذى يكشف سرّ الله عند غيبة ولىّ الله». ثم بكى علىّ بن الحسين بكاءاً شديداً، ثمّ قال: «كأنّى بجعفر الكذّاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولىّ الله، والمغيّب فى حفظ الله، والتوكيل بحرم أبيه جهلاً منه بولادته، وحرصاً على قتله إن ظفر به، طمعاً فى ميراث أبيه حتى يأخذه بغير حقّه». قال أبو خالد: فقلت له: يابن رسول الله وإنّ ذلك لكائن؟ فقال: «أى وربّى إنّه المكتوب عندنا فى الصحيفة التى فيها ذكر المحن التى تجرى علينا بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله)». قال أبو خالد: فقلت: يابن رسول الله ثمّ يكون ماذا؟ قال: «ثمّ تمتد الغيبة بولىّ الله الثانى عشر من أوصياء رسول الله والأئمة بعده، يا أبا خالد! إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل أهل كلّ زمان، لأنّ الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم فى ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدى رسول الله بالسيف، اُولئك المخلصون حقّاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً». وقال(عليه السلام):

«انتظار الفرج من أعظم الفرج» [۳۶۴] . [صفحه ۱۷۳]

فی رحاب الفقه و أحكام الشریعة

كانت الحلقة الدراسیة التی أسّسها الإمام زین العابدین(علیه السلام) حلقة حافلة بصنوف المعرفة الإسلامیة، وكان یفیض فیها الإمام من علومه وعلوم آبائه الطاهرین ویمرّن النابهین منهم علی الفقه والاستنباط، وقد تخرّج من هذه الحلقة الدراسیة عدد كبیر من فقهاء المسلمین. واستقطب الإمام عن هذا الطریق الجمهور الأعظم من القرّاء وحملة الكتاب والسُنّة حتی قال سعید بن المسیّب: إنّ القرّاء كانوا لا یخرجون إلی مكّة حتی یخرج علیّ بن الحسین، فخرج وخرجنا معه ألف راكب. وعلم الفقه بالمعنی المعروف فعلاً هو العلم بأحكام أفعال المكلّفین علی ضوء مصادر الشریعة الإسلامیة، وكان الإمام هو المرجع الوحید فی عصره لإعطاء تفاصیل الأحكام الشرعیة، وتعلیم طریقة استنباطها من مصادرها الإسلامیة، والمربی الفذّ الذی تخرَّج علی یدیه فقهاء المدینة، وكانت مدرسته هی المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس فقهیّة. وقد قال عنه الزهری: ما رأیت هاشمیاً أفضل من زین العابدین ولا أفقه منه [۳۶۵] وعدّه الشافعی أفقه أهل المدینة. وروی المؤرّخون: أنّ الزهری كان یعترف بالفضل والفقه للإمام علیّ ابن الحسین(علیهما السلام) وكان ممّن یرجع إلیه فی ما یهمّه من الأحكام الشرعیة، ورُوی أنّه رأی فی منامه كأنّ یده مخضوبة، وفسِّرت له رؤیاه بأنّه یبتلی بدم خطأ، وكان فی ذلك الوقت عاملاً لبنی اُمیّة، فعاقب رجلاً فمات فی العقوبة، [صفحه ۱۷۴] ففزع وخاف من الله، وفرّ هارباً فدخل فی غار یتعبّد فیه، وكان الإمام(علیه السلام) قد مضی حاجّاً إلی بیت الله الحرام فاجتاز علی الغار الذی فیه الزهری، فقیل له: هل لك فی الزهری حاجة؟ فأجابهم إلی ذلك، ودخل علیه فرآه فزعاً خائفاً، قانطاً من رحمة الله، فقال(علیه السلام) له: «إنّی أخاف علیك من القنوط ما لا ـ أخاف علیك من ذنبك، فابعث بدیة مسلّمة إلی أهله، واخرج إلی أهلك ومعالم دینك». فاستبشر الزهری وقال له: فرّجت عنّی یا سیّدی، الله أعلم حیث یجعل رسالته فی مَن یشاء [۳۶۶] . ودخل الزهری مع جماعة من الفقهاء علی الإمام زین العابدین(علیه السلام) فسأل الإمام الزهریّ عمّا كانوا یخوضون فیه فقال له: تذاكرنا الصوم فأجمع رأیی ورأی أصحابی علی أنّه لیس من الصوم واجب إلاّ ـ شهر رمضان. فنعی علیهم الإمام(علیه السلام) قلّة معلوماتهم بشؤون الشریعة وأحكام الدین، وبیّن لهم أقسام الصوم قائلاً ـ: «لیس كما قلتم، الصوم علی أربعین وجهاً، عشرة منها واجبة كوجوب شهر رمضان، وعشرة منها صومهنّ حرام، وأربعة عشر وجهاً صیامهنّ بالخیار، إن شاء صام وإن شاء أفطر، وصوم الإذن علی ثلاثة أوجه، وصوم التأدّب وصوم الإباحة وصوم السفر والمرض». وبهر الزهری وبقیة الفقهاء من سعة علم الإمام(علیه السلام) وإحاطته بأحكام الدین، وطلب منه الزهری ایضاح تلك الوجوه وبیانها، فقال(علیه السلام): «أمّا الواجب فصیام شهر رمضان، وصیام شهرین متتابعین لمن أفطر یوماً من شهر رمضان متعمداً، وصیام شهرین فی قتل الخطأ لمن لم یجد العتق، واجب، قال الله تعالی:(ومن قتل مؤمناً خطأً فتحریر رقبة مؤمنة ودیة مسلّمة إلی أهله ـ إلی قوله ـ فمن لم یجد [صفحه ۱۷۵] فصیام شهرین متتابعین) [۳۶۷] . وصیام شهرین متتابعین فی كفّارة الظهار [۳۶۸] لمن لم یجد العتق. قال الله تعالی: (والذین یُظاهرون من نسائهم ثم یعودون لِما قالوا فتحریر رقبة من قبل أن یتماسّا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبیر فمن لم یجد فصیام شهرین متتابعین من قبل أن یتماسّا) [۳۶۹] . وصیام ثلاثة أیام: (فمن لم یجد فصیام ثلاثة أیام ذلك كفّارة أیمانكم إذا حلفتم) [۳۷۰] ، كل ذلك تتابع ولیس بمفترق. وصیام أذی الحلق (حلق الرأس) واجب، قال الله تبارك وتعالی:(فمن كان منكم مریضاً أو به أذیً من رأسه ففدیة من صیام أو صدقة أو نسك) [۳۷۱] ، وصاحبها فیها بالخیار بین صیام ثلاثة أیام أو صدقة أو نسك. وصوم دم المتعة واجب لمن لم یجد الهدی، قال الله تبارك وتعالی:(فمن تمتع بالعمرة إلی الحّج فما استیسر من الهدی فمن لم یجد فصیام ثلاثة أیام فی الحجّ وسبعة إذا رجعتم تلك عشرةٌ كاملة) [۳۷۲] . وصوم جزاء الصید واجب، قال الله تبارك وتعالی:(ومن قتله منكم متعمّداً فجزاء مثل ما قتل من النعم یحكم به ذوا عدل منكم هدیاً بالغ الكعبة أو كفّارة طعام مساكین أو عدل ذلك صیاماً) [۳۷۳] » [۳۷۴] . [صفحه ۱۷۶] ثمّ قال(علیه السلام): «أو تدری كیف یكون عدل ذلك صیاماً یا زهریّ؟» فقال: لا

أدرى، قال(عليه السلام): «تقوّم الصيد قيمة ثمّ تفضى تلك القيمة على البُرّ، ثمّ يكال ذلك البرّ أصواعاً، فيصوم لكلّ نصف صاع يوماً. وصوم النذر واجب، وصوم الاعتكاف واجب [۳۷۵] . وأمّا الصوم الحرام فصوم يوم الفطر، ويوم الأضحى، وثلاثة أيام من أيام التشريق [۳۷۶] وصوم يوم الشكّ اُمِرنا به ونُهينا عنه، اُمرنا أن نصومه من شعبان ونهينا أن ينفرد الرجل بصيامه فى اليوم الذى يشكّ فيه الناس». والتفت الزهرى إلى الإمام(عليه السلام) قائلًا: جعلت فداك فإن لم يكن صام من شعبان شيئاً كيف يصنع؟ قال(عليه السلام): «ينوى ليلة الشك أنّه صائم من شعبان، فإن كان من شهر رمضان أجزأ عنه، وإن كان من شعبان لم يضرّ». وأشكل الزهرى على الإمام: كيف يجزى صوم تطوع عن فريضة؟ فأجابه الإمام(عليه السلام): «لو أنّ رجلًا صام يوماً من شهر رمضان تطوعاً وهو لا يدرى ولا يعلم أنّه من شهر رمضان ثمّ علم بعد ذلك أجزأ عنه، لأنّ الفرض إنّما وقع على اليوم بعينه». ثمّ استأنف الإمام حديثه فى بيان أقسام الصوم قائلاً: «وصوم الوصال حرام [۳۷۷] ، وصوم الصمت حرام [۳۷۸] ، وصوم النذر للمعصية حرام، وصوم الدهر حرام. وأمّا الصوم الذى صار صاحبه فيه بالخيار فصوم يوم الجمعة والخميس والاثنين [صفحه ۱۷۷] وصوم الأيام البيض [۳۷۹] وصوم ستة أيام من شوال بعد شهر رمضان ويوم عرفة ويوم عاشوراء، كلّ ذلك صاحبه فيه بالخيار، إن شاء صام وإن شاء أفطر. وأمّا صوم الإذن فإنّ المرأة لا تصوم تطوّعاً إلّا بإذن زوجها، والعبد لا يصوم تطوّعاً إلّا بإذن سيّده، والضيف لا يصوم تطوّعاً إلّا بإذن مضيّفه، قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): فمن نزل على قوم فلا يصوم تطوّعاً إلّا بإذنهم. وأمّا صوم التأديب فإنّه يؤمر الصبىّ إذا راهق تأديباً وليس بفرض، وكذلك من أفطر لعلّة أول النهار، ثمّ قوى بعد ذلك أمر بالإمساك بقية يومه تأديباً، وليس بفرض، وكذلك المسافر إذا أكل من أول النهار ثمّ قدم أهله أمر بالإمساك بقية يومه تأديباً وليس بفرض. وأمّا صوم الإباحة فمن أكل أو شرب أو تقيّأ من غير تعمّد أباح الله ذلك وأجزأ عنه صومه. وأمّا صوم السفر والمرض فإنّ العامّة اختلفت فيه، فقال قوم: يصوم، وقال قوم: لا يصوم، وقال قوم: إن شاء صام وإن شاء أفطر، وأمّا نحن فنقول: يفطر فى الحالتين جميعاً، فإن صام فى السفر أو فى حال المرض فعليه القضاء فى ذلك، لأنّ الله عزّوجلّ يقول: (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدّة من أيّام اُخر...)» [۳۸۰] . وانتهى هذا البحث الفقهى الذى ألقاه الإمام على العلماء والفقهاء،وقد كشف عن مدى إحاطة الإمام بأحكام الشريعة وفروع الفقه، فقد فرّع على الصوم هذه الفروع المهمّة التى غفل عنها العلماء، ومن الجدير بالذكر أنّ فقهاء الإمامية استندوا إلى هذه الرواية فى فتاواهم بأحكام الصوم. [صفحه ۱۷۸]

حقائق علمية فى الأدعية السجادية

بالرغم من أنّ الصحيفة السجادية وُظّفت أدعيتها لتربية الإنسان وترشيد حركته الفردية والاجتماعية ولكنّها تضمّنت جملة من الحقائق العلمية التى تنبئ عن إحاطة الإمام بالحقائق العلمية وشموخ مقامه العلمى ـ كما تضمّنت خطب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ودعاء عرفة للإمام الحسين(عليه السلام) قسماً كبيراً من العلوم والمعارف ـ فيما يرتبط بتركيبة الإنسان الجسمية وكيفية خلقه أو كيفية خلق أنواع الكائنات الاُخرى الأرضية والسماوية. قال(عليه السلام): «سبحانك تعلم وزن السماوات، سبحانك تعلم وزن الأرضين، سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور، سبحانك تعلم وزن الفىء والهواء» [۳۸۱] . كلّ ذلك فى عصر لم تكن مثل هذه المفاهيم مطروحة فى الأوساط العلمية فى دنيا الإسلام أو غيرها. وأشار(عليه السلام) إلى إمكانية وجود الجراثيم فى المياه والأطعمة فى دعائه لأهل الثغور، داعياً على الأعداء: «اللهمّ وامزج مياههم بالوباء، وأطعمتهم بالأدواء» [۳۸۲] . وتجد فى كثير من أدعيته (عليه السلام) إشارات واضحةً إلى أمثال هذه الحقائق العلمية. [صفحه ۱۷۹]

ادب الإمام زين العابدين

إنّ الإمام السجّاد توفّر على نتاج فنّىّ ضخم يجىء ـ من حيث الكمّ ـ بعد الإمام علىّ(عليه السلام) كما يجىء ـ من حيث الكيف ـ متميّزاً بسمات خاصة، وفى مقدمة ذلك أدب الدعاء الذى منحه السجاد(عليه السلام) خصائص فكرية وفنّية تفرّد بها [۳۸۳] . اتّجه

الإمام فى أدبه الخاصّ إلى نقد الأوضاع المنحرفة، وإلى بناء الشخصية الإسلامية فى المستويين الفردى والإجتماعى، بحيث يمكن القول بأنّ أدبه كان تجسيداً للحركة الإسلامية مقابل الأدب الدنيوى الذى بدأ ينحرف مع انحرافات السلطة، وينحدر إلى ما هو عابث ومظلم ومنحرف([i]). وجاء فى الصحيفة السجّادية الجامعة نقلاً عن الأصمعىّ أنّه قال: كنت أطوف حول الكعبة ليلة، فإذا شابّ ظريف الشمائل وعليه ذؤابتان وهو متعلّق بأستار الكعبة ويقول: «نامتِ العيون وغارتِ النجومُ وأنت الملكُ الحىّ القيّومُ، غلّقت الملوك أبوابها وأقامت عليها حُرّاسها، وبابك مفتوح للسائلين، جئتك لتنظر إلىّ برحمتك يا أرحم الراحمين». ثم أنشأ يقول: يا من يُجيبُ دعاء المضطرّ فى الظُلَم يا كاشفَ الضرّ والبلوى مع السَقَم قد نام وفدُك حول البيت قاطبةً وأنت وحدك يا قيّومُ لم تَنَم أدعوك ربِّ دعاءً قد أمرتَ به فارحم بكائى بحقّ البيتِ والحَرمِ إن كان عفوك لا يرجوهُ ذو سَرَف فمن يَجُودُ على العاصينَ بالنِعَم؟ [صفحه ۱۸۰] قال: فاقتفيته فإذا هو زين العابدين(عليه السلام). كما جاء فيها عن طاووس اليمانى أنّه قال: رأيتُ فى جوف الليل رجلاً متعلّقاً بأستار الكعبة وهو يقول: «ألا يا أيّها المأمول فى كلّ حاجة شكوتُ إليك الضُرّ فاسمع شكايتى ألا يا رجائى أنت كاشف كُربتى فهب لى ذنوبى كلّها واقض حاجتى فزادى قليل لا ـ أراه مبلّغى أللزادِ أبكى أم لبُعد مسافتى أتيتُ بأعمال قباح ردية فما فى الورى خلقٌ جنى كجنايتى أتحرِقُنى فى النار يا غاية المُنى فأين رجائى منك، أين مخافتى؟ قال: فتأمّلته فإذا هو علىّ بن الحسين(عليهما السلام). ومن أدبه المنظوم أيضاً ما ذكره أحمد فهمى محمد فى كتاب الإمام زين العابدين عن فضل أهل البيت(عليهم السلام) ومكانتهم: لنحن على الحوض روّاده نذود ونسقى وراده وما فاز من فاز إلاّ بنا وما خاب مَن حبّنا زادُه ومن سرّنا نال منّا السرور ومن ساءنا ساء ميلاده ومن كان غاصبنا حقّنا فيوم القيامة ميعادُه

احتجاجات الإمام زين العابدين

إنّ فن الاحتجاج والمناظرة العلمية فنّ جليل لما ينبغى أن يتمتّع به المناظر من مقدرة علمية وإحاطة ودقّة ولياقة أدبية. وقد تميّز أئمّة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين بهذا الفنّ، واستطاعوا من خلال هذا المجال إفحام خصومهم وإثبات جدارتهم العلمية بنحو لا يدع مجالاً للريب فى أنّهم مؤيّدون بتأييد ربّانى، وكما عبّر بعض [صفحه ۱۸۱] أعدائهم: أنّهم أهل بيت قد زُقّوا العِلمَ زقّاً. وقد جمع العلاّمة الطبرسى جملةً من احتجاجات المعصومين الأربعة عشر: الرسول(صلى الله عليه وآله) والزهراء(عليها السلام) والأئمّة الاثنى عشر (عليهم السلام) فى كتابه المعروف بالاحتجاج، ونشير هنا إلى بعض احتجاجات الإمام زين العابدين(عليه السلام). ۱ ـ جاء رجل من أهل البصرة إلى علىّ بن الحسين(عليه السلام) فقال: يا علىّ بن الحسين! إنّ جدّك علىّ بن أبى طالب قتل المؤمنين، فهملت عينا علىّ بن الحسين دموعاً حتى امتلأت كفّه منها، ثمّ ضرب بها على الحصى، ثم قال: «يا أخا أهل البصرة، لا والله ما قتل علىّ مؤمناً، ولا قتل مسلماً، وما أسلم القوم ولكن استسلموا وكتموا الكفر وأظهروا الإسلام، فلمّا وجدوا على الكفر أعواناً أظهروه، وقد علمت صاحبة الجدب والمستحفظون من آل محمّد(صلى الله عليه وآله) أنّ أصحاب الجمل وأصحاب صفّين وأصحاب النهروان لعنوا على لسان النبىّ الأُمّى، وقد خاب من افترى». فقال شيخ من أهل الكوفة: يا علىّ بن الحسين! إنّ جدّك كان يقول: «إخواننا بغوا علينا». فقال علىّ بن الحسين(عليه السلام): «أما تقرأ كتاب الله (وإلى عاد أخاهم هوداً) فهم مثلهم أنجى الله عزّوجلّ هوداً والذين معه وأهلك عاداً بالريح العقيم» [۳۸۴] . ۲ ـ وعن أبى حمزة الثمالى قال: دخل قاض من قضاة أهل الكوفة على علىّ بن الحسين(عليه السلام) فقال له: جعلنى الله فداك، أخبرنى عن قول الله عزوجل:(وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرىً ظاهرةً وقدّرنا فيها السير سيروا [صفحه ۱۸۲] فيها ليالىَ وأيّاماً آمنين) [۳۸۵] . قال له(عليه السلام): «ما يقول الناس فيها قبلكم؟». قال: يقولون إنّها مكّة. فقال(عليه السلام): «وهل رأيت السرق فى موضع أكثر منه بمكّة». قال: فما هو؟ قال(عليه السلام): «إنّما عنى الرجال». قال: وأين ذلك فى كتاب الله؟ فقال(عليه السلام): «أو ما تسمع إلى قوله عزوجل:(وكأيّن من قرية عتت عن أمر ربها ورسله) [۳۸۶] وقال:(وتلك القرى أهلكناهم لمّا ظلموا) [۳۸۷] وقال:(واسئل القرية التى كنّا فيها والعِيرَ التى أقبلنا فيها) [۳۸۸] أفيسأل القرية أو الرجال او العير؟ قال: وتلا عليه آيات فى

هذا المعنى. قال: جعلت فداك! فمن هم؟ قال: نحن هم. فقال(عليه السلام): «أو ما تسمع إلى قوله:(سيروا فيها ليالىَ وأيّاماً آمنين)؟». قال(عليه السلام): «آمنين من الزيغ» [۳۸۹] . ۴ ـ وروى: أنّ زين العابدين(عليه السلام) مرّ بالحسن البصرى وهو يعظ الناس بمنى، فوقف(عليه السلام) عليه ثم قال: «أمسك، أسألك عن الحال التى أنت عليها مقيم، أترضاها لنفسك فيما [صفحه ۱۸۳] بينك وبين الله إذا نزل بك غداً؟». قال: لا. قال: «أفتحدّث نفسك بالتحوّل والانتقال عن الحال التى لا ترضاها لنفسك إلى الحال التى ترضاها؟» قال: فأطرق مليّاً ثم قال: إنّى أقول ذلك بلا حقيقة. قال: «أفترجو نبيّاً بعد محمّد(صلى الله عليه وآله) يكون لك معه سابقة؟». قال: لا. قال: «أفترجو داراً غير الدار التى أنت فيها ترد اليها فتعمل فيها؟». قال: لا. قال: «أفرأيت أحداً به مسكة عقل رضى لنفسه من نفسه بهذا؟ إنّك على حال لا ترضاها ولا تحدّث نفسك بالانتقال إلى حال ترضاها على حقيقة، ولا ترجو نبيّاً بعد محمّد، ولا داراً غير الدار التى أنت فيها فترد إليها فتعمل فيها، وأنت تعظ الناس»، قال: فلمّا ولّى(عليه السلام) قال الحسن البصرى: من هذا؟ قالوا: علىّ بن الحسين. قال: أهل بيت علم، فما رُئِى الحسن البصرى بعد ذلك يعظ الناس [۳۹۰] . ۵ ـ وعن أبى حمزة الثمالى قال: سمعت علىّ بن الحسين(عليه السلام) يحدّث رجلاً من قريش قال: لمّا تاب الله على آدم واقع حوّاء ولم يكن غشيها منذ خلق وخلقت إلّا فى الأرض، وذلك بعد ما تاب الله عليه، قال: وكان آدم يعظّم البيت وما حوله من حرمة البيت، فكان إذا أراد أن يغشى حوّاء خرج من الحرم وأخرجها معه، فإذا جاز الحرم غشيها فى الحلّ، ثمّ يغتسلان إعظاماً منه للحرم، ثمّ يرجع إلى فناء البيت. [صفحه ۱۸۴] قال: فولد لآدم من حوّاء عشرون ذكراً وعشرون أنثى، فولد له فى كلّ بطن ذكر وأُنثى، فأول بطن ولدت حواء «هابيل» ومعه جارية يقال لها: «أقليما»، قال: وولدت فى البطن الثانى «قابيل» ومعه جارية يقال لها: «لوزا»، وكانت لوزا أجمل بنات آدم، (قال): فلمّا أدركوا خاف عليهم آدم الفتنة فدعاهم إليه فقال: أُريد أن أُنكحك يا هابيل لوزا، وأُنكحك يا قابيل أقليما. قال قابيل: ما أرضى بهذا، أتنكحنى أخت هابيل القبيحة، وتنكح هابيل أُختى الجميلة؟ قال: فأنا أقرع بينكما، فإن خرج سهمك يا قابيل على لوزا وخرج سهمك يا هابيل على أقليما زوّجت كلّ واحد منكما التى خرج سهمه عليها، قال: فرضيا بذلك فاقترعا، قال: فخرج سهم هابيل على لوزا أُخت قابيل، وخرج سهم قابيل على أقليما أُخت هابيل، قال: فزوّجهما على ما خرج لهما من عند الله، قال: ثمّ حرّم الله نكاح الأخوات بعد ذلك». قال: فقال له القرشى: فأولداهما؟ قال: نعم. قال: فقال القرشى: فهذا فعل المجوس اليوم! قال: فقال علىّ بن الحسين: «إنّ المجوس إنّما فعلوا ذلك بعد التحريم من الله». ثمّ قال له علىّ بن الحسين(عليه السلام): «لا تنكر هذا، إنّما هى الشرايع جرت، أليس الله قد خلق زوجة آدم منه ثمّ أحلّها له؟! فكان ذلك شريعة من شرايعهم، ثمّ أنزل الله التحريم بعد ذلك» [۳۹۱] . ۶ ـ روى عن أبى جعفر الباقر(عليه السلام) قال: «لمّا قتل الحسين بن علىّ(عليه السلام) أرسل محمّد بن الحنفية إلى علىّ بن الحسين(عليه السلام) فخلا به ثم قال: [صفحه ۱۸۵] يابن أخى! قد علمت أنّ رسول الله كان جعل الوصيّة والإمامة من بعده لعلىّ بن أبى طالب(عليه السلام) ثمّ إلى الحسن، ثمّ الى الحسين، وقد قتل أبوك(رضى الله عنه) وصُلّىَ عليه ولم يوص، وأنا عمّك وصنو أبيك، وأنا فى سنّى وقدمتى أحقّ بها منك فى حداثتك، فلا تنازعنى الوصيّة والإمامة ولا ـ تخالفنى. فقال له علىّ بن الحسين(عليه السلام): «اتق الله ولا تدّعِ ما ليس لك بحقّ، إنّى أعظك أن تكون من الجاهلين، يا عم! إنّ أبى صلوات الله عليه أوصى إلىّ قبل أن يتوجه الى العراق، وعهد إلىّ فى ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله(صلى الله عليه وآله) عندى، فلا تعرض لهذا فإنّى أخاف عليك بنقص العمر وتشتت الحال، وإنّ الله تبارك وتعالى أبى إلاّ ـ أن يجعل الوصيّة والإمامة إلاّ فى عقب الحسين، فإن أردت أن تعلم فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك». قال الباقر(عليه السلام): «وكان الكلام بينهما وهما يومئذ بمكّة، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فقال علىّ بن الحسين(عليه السلام) لمحمّد: إبدأ فابتهل إلى الله واسأله أن ينطق لك الحجر ثمّ سله، فابتهل محمّد فى الدعاء وسأل الله ثمّ دعا الحجر فلم يجبه، فقال علىّ بن الحسين(عليه السلام): «أما إنّك يا عمّ لو كنت وصيّاً وإماماً؛ لأجابك». فقال له محمّد: فادع أنت يابن أخى، فدعا الله علىّ بن الحسين(عليه السلام) بما أراد ثمّ قال: «أسألك بالذى جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الناس أجمعين لمّا أخبرتنا بلسان عربىّ مبين مَن الوصىّ والإمام بعد الحسين بن علىّ»، فتحرّك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه، ثمّ

أنطقه الله بلسان عربىّ مبين فقال: اللّهمّ إنّ الوصية والإمامة بعد الحسين بن علىّ بن أبى طالب إلى علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب، وابن فاطمة بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله)»، فانصرف محمّد وهو يتولّى [صفحه ۱۸۶] علىّ بن الحسين(عليه السلام) [۳۹۲] . وعن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه علىّ بن الحسين(عليهم السلام) قال: «نحن أئمّة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغرّ المحجّلين، وموالى المؤمنين، ونحن أمان لأهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وينشر الرحمة، ويخرج بركات الأرض ولو لا ما فى الأرض منّا؛ لساخت الأرض بأهلها». ثمّ قال: «ولم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجّة لله فيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّة الله، ولو لا ذلك لم يعبد الله».

من غرر حكم الإمام و مواعظه

قد عرفت أنّ الإمام زين العابدين(عليه السلام) لم يترك مدينة جدّه الرسول(صلى الله عليه وآله) بل بقى مرابطاً فيها مشغولاً بتربية الاُمّة تربية فكرية وأخلاقية، وكان كلّ جمعة يعظهم ويحذّرهم من الدنيا وحبائلها ومكائدها التى جعلت كثيراً من أهل عصره فى أسرها، وممّا قاله فى التحذير من الدنيا والتزهيد فيها [۳۹۳] . ۱ ـ «كفانا الله وإيّاكم كيد الظالمين وبغى الحاسدين وبطش الجبّارين، أيّها المؤمنون لا ـ يفتننّكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة فى الدنيا المائلون إليها، المفتونون بها، المقبلون عليها وعلى حطامها [۳۹۴] الهامد [۳۹۵] وهشيمها البائد غداً، واحذروا ما حذّركم الله منها، [صفحه ۱۸۷] وازهدوا فيما زهّدكم الله فيه منها، ولا تركنوا إلى ما فى هذه الدنيا ركون من أعدّها داراً وقراراً [۳۹۶] ، وبالله إنّ لكم ممّا فيها عليها دليلاً من زينتها وتصريف أيامها [۳۹۷] وتغيير انقلابها ومثلاتها وتلاعبها بأهلها، إنّها لترفع الخميل وتضع الشريف، وتورد النار أقواماً غداً، ففى هذا معتبر ومختبر وزاجر لمنتبه». ۲ ـ الوصيّة بالتقوى والإنابة الى الله تعالى والتحذير من معونة الظلمة: «فاتقوا الله واستقبلوا من إصلاح أنفسكم وطاعة الله وطاعة من تولّونه فيها، لعلّ نادماً قد ندم على ما قد فرّط بالأمس فى جنب الله، وضيّع من حقّ الله، واستغفروا الله وتوبوا إليه، فإنّه يقبل التوبة، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون، وإيّاكم وصحبة العاصين ومعونة الظالمين ومجاورة الفاسقين، احذروا فتنتهم، وتباعدوا من ساحتهم». ۳ ـ موالاة أولياء الله عزّوجلّ: «وأعلموا أنّه من خالف أولياء الله ودان بغير دين الله واستبدّ بأمره دون أمر ولىّ الله فى نار تلتهب، تأكل أبداناً قد غابت عنها أرواحها، وغلبت عليها شقوتها، فهم موتى لا يجدون حرّ النار، فاعتبروا يا اُولى الأبصار، واحمدوا الله على ما هداكم، واعلموا أنّكم لا ـ تخرجون من قدرة الله إلى غير قدرته، وسيرى الله عملكم ثم تحشرون، فانتفعوا بالعظة، وتأدّبوا بآداب الصالحين». ۴ ـ «إنّ علامة الزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة تركهم كلّ خليط [۳۹۸] وخليل، ورفضهم كلّ صاحب لا يريد ما يريدون. ألا وإنّ العامل لثواب الآخرة هو الزاهد فى عاجل زهرة الدنيا، الآخذ للموت اُهبته، الحاثّ على العمل قبل فناء الأجل ونزول ما لا بدّ من [صفحه ۱۸۸] لقائه، وتقديم الحذر قبل الحين، فإنّ الله عزّوجلّ يقول:(حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ربّ ارجعونِ لعلّى أعمل صالحاً فيما تركت) [۳۹۹] ، فلينزل أحدكم اليوم نفسه فى هذه الدنيا كمنزلة المكرور إلى الدنيا، النادم على ما فرّط فيها من العمل الصالح ليوم فاقته». ۵ ـ «واعلموا عباد الله أنّه من خاف البيات تجافى عن الوساد، وامتنع من الرقاد، وأمسك عن بعض الطعام والشراب من خوف سلطان أهل الدنيا، فكيف؟ ويحك يابن آدم من خوف بيات سلطان ربّ العزّة، وأخذه الأليم، وبياته لأهل المعاصى والذنوب مع طوارق المنايا بالليل والنهار، فذلك البيات الذى ليس منه مَنجى، ولا دونه ملتجأ ولا منه مهرب، فخافوا الله أيّها المؤمنون من البيات خوف أهل التقوى، فإنّ الله يقول:(ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيدِ) [۴۰۰] ، فاحذروا زهرة الحياة الدنيا وغرورها وشرورها، وتذكّروا ضرر عاقبة الميل إليها، فإنّ زينتها فتنة وحبّها خطيئة. ۶ ـ «فاتّقوا الله عباد الله وتفكّروا، واعملوا لما خلقتم له فإنّ الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدىً، قد عرّفكم نفسه، وبعث إليكم رسوله، وأنزل عليكم كتابه، فيه حلاله وحرامه وحججه وأمثاله، فاتّقوا الله فقد احتجّ عليكم ربّكم فقال:(أَلَمْ نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين) [۴۰۱] ، فهذه حجّة عليكم،

فاتّقوا الله ما استطعتم، فإنّه لا قوة إلّا بالله ولا تكلان إلّا عليه، وصلّى الله على محمد نبيّه وآله». ٧ ـ «إنّ الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإنّ الآخرة قد ترحّلت مقبلة، ولكلّ واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فكونوا من الزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة، لأنّ الزاهدين فى الدنيا اتّخذوا الأرض بساطاً، والتراب فراشاً، والمدر وِساداً، والماء طيباً، وقرضوا المعاشَ من الدنيا تقريضاً، اعلموا أنّه من اشتاق إلى الجنّة [صفحه ١٨٩] سارع الى الحسنات وسلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار؛ رجع عن المحرمات، ومن زهد فى الدنيا هانت عليه مصائبها ولم يكرهها، وإنّ لله عزّوجلّ لعباداً قلوبهم معلّقة بالآخرة وثوابها وهم كمن رأى أهل الجنّة فى الجنّة مخلّدين منعّمين، وكمن رأى أهل النار فى النار معذّبين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، أنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، صبروا أيّاماً قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة، أمّا الليل فصافّون أقدامهم، تجرى دموعهم على خدودهم، وهم يجأرون إلى ربّهم [۴٠٢] ، يسعون فى فكاك رقابهم، وأمّا النهار فحلماء علماء بررة أتقياء، كأنهم القِداح [۴٠٣] قد براهم الخوف من العبادة، ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى، وما بالقوم من مرض أم خولطوا فقد خالط القوم أمر عظيم مِن ذِكر النارِ وما فيها». ومن غرر كلماته (عليه السلام) [۴٠۴] . «الخير كلّه صيانة الإنسان نفسه». «الرضى بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين». «من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا». «من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس». «لا ـ يقلّ عمل مع تقوىً، وكيف يقلّ ما يتقبّل»؟ «قيل له: من أعظم الناس خطراً [۴٠۵] ؟ فقال(عليه السلام): «من لم يرَ الدنيا خطراً لنفسه». وقال بحضرته رجل: اللّهمّ أغننى عن خلقك، فقال(عليه السلام): «ليس هكذا، إنّما [صفحه ١٩٠] الناس بالناس، ولكن قل: اللّهمّ أغننى عن شرار خلقك». «اتّقوا الكذب، الصغير منه، والكبير، فى كلّ جدّ وهزل، فإنّ الرجل إذا كذب فى الصغير اجترأ على الكبير». «كفى بنصر الله لك أن ترى عدوّك يعمل بمعاصى الله فيك». وقال له رجل: ما الزهد؟ فقال(عليه السلام): «الزهد عشرة أجزاء، فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع، وأعلى درجات الورع أدنى درجات اليقين، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا، وإنّ الزهد فى آية من كتاب الله: (لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)» [۴٠۶] . «طلب الحوائج إلى الناس مذلّة للحياة ومذهبة للحياء واستخفاف بالوقار وهو الفقر الحاضر، وقلّة طلب الحوائج من الناس هو الغنى الحاضر». «إنّ أحبّكم إلى الله أحسنكم عملاً، وإنّ أعظمكم عند الله عملاً أعظمكم فيما عند الله رغبة، وإنّ أنجاكم من عذاب الله أشدّكم خشية لله، وإنّ أقربكم من الله أوسعكم خلقاً، وإنّ أرضاكم عند الله أسْبَغكم [۴٠٧] على عياله، وإنّ أكرمكم على الله أتقاكم». «يابنى، اُنظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم فى طريق، إيّاك ومصاحبة الكذّاب، فإنّه بمنزلة السراب يقرّب لك البعيد ويبعّد لك القريب، وإيّاك ومصاحبة الفاسق، فإنّه بايعك بأكلة أو أقلّ من ذلك، وإيّاك ومصاحبة البخيل، فإنّه يخذلك فى ماله أحوج ما تكون إليه، وإيّاك ومصاحبة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك، وإيّاك ومصاحبة القاطع لرحمه، فإنّى وجدته ملعوناً فى كتاب الله». «إنّ المعرفة وكمال دين المسلم تركه الكلام فيما لا يعنيه، وقلة مرائه، وحلمه، وصبره، وحسن خلقه». [صفحه ١٩١] «ابن آدم، إنّك لا ـ تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همّك، وما كان الخوف لك شعاراً، والحذر لك دثاراً [۴٠٨] ، ابن آدم إنّك ميّت ومبعوث وموقوف بين يدى الله جلّ وعزّ، فأعدّ له جواباً». «لا حسب لقرشىّ ولا ـ لعربىّ إلّا بتواضع، ولا كرم إلّا بتقوىً، ولا عمل إلّا بنيّة، ولا عبادة إلّا بالتفقه، ألا وإنّ أبغض الناس إلى الله من يقتدى بسنّة إمام ولا ـ يقتدى بأعماله». «المؤمن من دعائه على ثلاث: إمّا أن يدّخر له، وإمّا أن يعجّل له، وإمّا أن يدفع عنه بلاء يريد أن يصيبه». «إنّ المنافق ينهى ولا ينتهى، ويأمر ولا يأتى، إذا قام إلى الصلاة اعترض، وإذا ركع ربض، وإذا سجد نقر، يمسى وهمّه العشاء ولم يصم، ويصبح وهمّه النوم ولم يسهر، والمؤمن خلط عمله بحلمه، يجلس ليعلم، وينصت ليسلم، لا ـ يحدّث بالأمانة للأصدقاء، ولا ـ يكتم الشهادة للبعداء، ولا يعمل شيئاً من الحقّ رياءاً ولا يتركه حياءاً، إن زُكّى خاف ممّا يقولون، ويستغفر الله لما لا يعلمون، ولا يضرّه جهل من جهله». «كم من مفتون بحسن القول فيه، وكم من مغرور بحسن الستر عليه»؟ «ربّ مغرور مفتون يصبح لاهياً ضاحكاً، يأكل ويشرب وهو لا يدرى لعلّه قد سبقت له من الله سخطة يصلى بها نار جهنم». «إنّ من أخلاق المؤمن الإنفاق على قدر الإقتار، والتوسّع على قدر التوسّع، وإنصاف الناس من نفسه، وابتداؤه إيّاهم بالسلام». «ثلاث منجيات للمؤمن: كفّ لسانه عن الناس واغتيابهم، وإشغاله

نفسه بما ینفعه لآخرته ودنیاه، وطول بکائه علی خطیئته». «نظر المؤمن فی وجه أخیه المؤمن للمودّة والمحبة له عبادة». [صفحه ۱۹۲] «ثلاث من کنّ فیه من المؤمنین کان فی کنف الله [۴۰۹] ، وأظلّه الله یوم القیامة فی ظلّ عرشه، وآمنه من فزع الیوم الأکبر: من أعطی الناس من نفسه ما هو سائلهم لنفسه، ورجل لم یُقَدِّم یداً ولا رجلاً حتی یعلم أنّه فی طاعة الله قدّمها أو فی معصیته، ورجل لم یعب أخاه بعیب حتی یترک ذلک العیب من نفسه، وکفی بالمرء شغلاً بعیبه لنفسه عن عیوب الناس». «ما من شیء أحبّ إلی الله بعد معرفته من عفّة بطن وفرج، وما]من[شیء أحبّ الی الله من أن یسأل». «افعل الخیر إلی کلّ من طلبه منک، فإن کان أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم یکن بأهل کنت أنت أهله، وإن شتمک رجل عن یمینک ثم تحوّل إلی یسارک واعتذر إلیک فاقبل عذره». «مجالس الصالحین داعیة إلی الصلاح، وآداب العلماء زیادة فی العقل، وطاعة ولاة الأمر تمام العزّ، واستنماء المال تمام المروّة، وإرشاد المستشیر قضاء لحقّ النعمة، وکفّ الأذی من کمال العقل وفیه راحة للبدن عاجلاً أو آجلاً. وکان علیّ بن الحسین(علیهما السلام) إذا قرأ الآیة:(وإن تعدّوا نعمت الله لا ـ تحصوها) [۴۱۰] یقول: «سبحان مَن لم یجعل فی أحد من معرفة نعمه إلّا المعرفة بالتقصیر عن معرفتها، کما لم یجعل فی أحد من معرفة إدراکه أکثر من العلم بأنّه لا یدرکه، فشکر عزّوجلّ معرفة العارفین بالتقصیر عن معرفته، وجعل معرفتهم بالتقصیر شکراً، کما جعل علم العالمین أنّهم لا یدرکونه إیماناً، علماً منه أنّه قدّر وسع العباد فلا یجاوزون ذلک». «سبحان من جعل الاعتراف بالنعمة له حمداً، سبحان من جعل الاعتراف بالعجز عن الشکر شکراً». [صفحه ۱۹۳]

رسالة الحقوق

اشاره

تکفّلت رسالة الحقوق تنظیم أنواع العلاقات الفردیة والاجتماعیة للإنسان فی هذه الحیاة بنحو یحقّق للفرد والمجتمع سلامة العلاقات، ویجمع لهما عوامل الاستقرار والرقیّ والازدهار. «لقد نظر الإمام الحکیم (علیه السلام) بعمق وشمول للإنسان، ودرس جمیع أبعاد حیاته وعلاقاته مع خالقه ونفسه وأُسرته ومجتمعه وحکومته ومعلّمه» [۴۱۱] وکلّ من یرتبط به أدنی ارتباط. ویمکن أن نقول: إنّ تنظیم العلاقات الاجتماعیة علی أساس تعیین مجموعة الحقوق بشکل دقیق هو الرصید الأول للنظام الاجتماعی الإسلامی، وهو المبنی المعقول للتشریعات الإسلامیة عامّة، فإنّ الذی یفهم بعمق هذه الرسالة ویدرس بدقّة حقوق الخالق وحقوق المخلوقین بعضهم تجاه بعض یتسنّی له أن یفهم أسرار التشریع الإسلامی وفلسفة الأحکام التی جاءت بها الشریعة الإسلامیة لتنظیم حیاة الإنسان فرداً ومجتمعاً. إنّ العدالة الاجتماعیة أو الاقتصادیة أو الإداریة لن تتحقّق ما لم یُطبّق نظام الحقوق بشکل دقیق أوّلاً، وتنظّم الأحکام والتشریعات علی أساس تلک [صفحه ۱۹۴] الحقوق، وفیما نعلم أنّ الإمام(علیه السلام) قد سبق العلماء والقانونیین جمیعاً فی دنیا الإسلام بل فی دنیا الإنسان فی هذا المضمار الذی علی أساسه ترتکز اُصول الأخلاق والتربیة ونظم الاجتماع. وقد کتب الإمام زین العابدین(علیه السلام) هذه الرسالة العظیمة واتحف بها بعض أصحابه، ورواها العالم الکبیر ثقة الإسلام ثابت بن أبی صفیّة المعروف بأبی حمزة الثمالی تلمیذ الإمام(علیه السلام) کما رواها عنه بسنده المحدّث الصدوق فی کتابه «الخصال» وثقة الإسلام الکلینی فی «الکافی» والحسن بن علیّ بن الحسین بن شعبة الحرّانی فی «تحف العقول» وهی من المصادر القدیمة الموثوقة. والإمام(علیه السلام) قبل بیانه للحقوق یشیر إلی أنّ هناک حقوقاً محیطةً بالإنسان، ولا بد له من معرفتها، ثمّ یبیّن أکبر الحقوق وهو ما یرتبط بالله سبحانه بالنسبة لعبده، ثمّ یفرّع علیها حقوق الإنسان المفروضة من الله تجاه نفس الإنسان، فیبیّن أنواع علاقة الإنسان بنفسه من خلال المنظار الآلهی، ثمّ ینتهی الی أنواع العلاقة بین الإنسان وبیئته التی تشتمل علی قیادة ومقودین ورعاة ورعیة، مع بیانه لأنواع الأئمّة والمأمورین ودرجاتهم، ثمّ یبیّن سائر العلاقات مع الأرحام والاُسرة وأعضائها، ثمّ من تشتمل علیه الاُسرة من الموالی والجواری، ثمّ سائر ذوی الحقوق کالمؤذّن والإمام فی الصلاة والجلیس والشریک والغریم والخصم والمستشیر والمشیر والمستنصح والناصح والسائل والمسؤول والصغیر

والکبیر.. حتی ینتهی إلی من یشترک مع الإنسـان فی دینه من بنی الإنسان، ثمّ حقوق من یشترک مع الإنسان فی الإنسانیـهٔ وفی النظام السیاسی الذی یخضع له وإن لم یکن من أهل ملّته ودینه. [صفحه ۱۹۵] وفیما یلی نصّ الرسالهٔ کما وردت فی الخصال [۴۱۲] :

عرض إجمالی للحقوق

اشارهٔ

«اعلم، أنّ لله عزّوجلّ علیک حقوقاً محیطـهٔ بک فی کلّ حرکـهٔ تحرّکتها، أو سـکنهٔ سـکنتها، أو حال حلتها، أو منزلهٔ نزلتها، أو جارحهٔ قلّبتهـا، أو آلـهٔ تصـرّفت فیهـا، فـأکبر حقوق الله تبـارک وتعالی علیک ما أوجب علیک لنفسه من حقّه الـذی هو أصل الحقوق، ثمّ ما أوجب الله عزوجـل علیـک لنفسک من قرنک إلی قـدمک علی اختلاف جوارحک، فجعل عزّوجلّ للسانک علیک حقّاً، ولسـمعک علیـک حقّـاً، ولبصـرک علیـک حقـاً، ولیـدک علیک حقّاً، ولرجلک علیک حقّاً، ولبطنک علیک حقّاً، ولفرجک علیک حقاً، فهـذه الجوارح السبع التی بها تکون الأفعال، ثمّ جعل عزّوجلّ لأفعالک علیک حقوقاً، فجعل لصـلاتک علیک حقّاً، ولصومک علیک حقّاً، ولصـدقتک علیـک حقّاً، ولهـدیک علیک حقّاً، ولأفعالک علیک حقّاً. ثمّ تخرج الحقوق منک إلی غیرک من ذوی الحقوق الواجبهٔ علیـک، فأوجبهـا علیـک حقوق أئمّتـک، ثمّ حقوق رعیّتـک، ثمّ حقوق رحمـک، فهـذه حقوق تتشـعّب منها حقوق، فحقوق أئمّتک ثلاثـهٔ، أوجبهـا علیـک حقّ سائسـک بالسـلطان، ثمّ حقّ سائسک بالعلم، ثمّ حقّ سائسک بالملک، وکلّ سائس إمام. وحقوق رعیتک ثلاثهٔ، أوجبها علیک حقّ رعیتک بالسـلطان، ثمّ حقّ رعیتک بالعلم، فإنّ الجاهل رعیهٔ العالم، ثمّ حقّ رعیّتک بالملک من الأزواج وما ملکت الأیمان، وحقوق رعیّتک کثیرهٔ متّصـلهٔ بقدر اتّصال الرحم فی [صفحه ۱۹۶] القرابهٔ، وأوجبها علیک حقّ اُمّک، ثمّ حقّ أبیک، ثمّ حقّ ولـدک، ثمّ حقّ أخیـک، ثمّ الأـقرب فالأـقرب والأولی فالأولی، ثمّ حقّ مولاک المنعم علیک، ثمّ حقّ مولاک الجاریـهٔ نعمته علیک [۴۱۳] ، ثمّ حقّ ذوی المعروف لـدیک، ثمّ حقّ مؤذّنـک لصـلاتک، ثمّ حقّ إمامـک فی صـلاتک، ثمّ حقّ جلیسـک، ثمّ حقّ جـارک، ثمّ حقّ صاحبک، ثمّ حقّ شـریکک، ثمّ حقّ مالک، ثمّ حقّ غریمک الـذی تطالبه؟ ثمّ حقّ غریمک الـذی یطالبک، ثمّ حقّ خلیطک، ثمّ حقّ خصـمک المـدّعی علیک، ثمّ حقّ خصـمک الـذی تدّعی علیه، ثمّ حقّ مستشـیرک، ثمّ حقّ المشـیر علیک، ثمّ حقّ مستنصـحک، ثمّ حقّ الناصح لک، ثمّ حقّ من هو أکبر منک، ثمّ حقّ من هو أصـغر منک، ثمّ حقّ سائلک، ثمّ حقّ من سألته، ثمّ حقّ من جری لـک علی یـدیه مسـاءهٔ بقول أو فعـل عن تعمّـد أو غیر تعمّـد، ثمّ حقّ أهـل ملّتـک علیک، ثمّ حقّ أهل ذمّتک، ثمّ الحقوق الجاریهٔ بقدر علل الأحوال وتصرّف الأسباب. فطوبی لمن أعانه الله علی قضاء ما أوجب علیه من حقوقه، ووفّقه لذلک وسدّده.

تفصیل الحقوق

حق الله

فأمّا حقّ الله الأکبر علیک: فأن تعبده لا تشرک به شیئاً، فإذا فعلت بالإخلاص جعل لک علی نفسه أن یکفیک أمر الدنیا والآخرهٔ.

حق النفس

وحقّ نفسک علیک: أن تستعملها بطاعهٔ الله عزّوجلّ. [صفحه ۱۹۷]

حقوق الاعضاء

۱ ـ وحقّ اللسان: إکرامه عن الخنی، وتعویـده علی الخیر، وترک الفضول التی لا فائـدهٔ لها، والبرّ بالناس، وحسن القول فیهم. ۲ ـ وحقّ

السمع: تنزيهه عن سماع الغيبة، وسماع ما لا يحلّ سماعه. ۳ ـ وحقّ البصر: أن تغضّه عمّا لا يحلّ لك وتعتبر بالنظر به. ۴ ـ وحقّ يدك: أن لا تبسطها إلى ما لا يحلّ لك. ۵ ـ وحقّ رجليك: أن لا تمشى بهما إلى ما لا يحلّ إليك، فبهما تقف على الصراط، فانظر أن لا تزلّ بك فتردى فى النار. ۶ ـ وحقّ بطنك: أن لا ـ تجعله وعاء للحرام، ولا تزيد على الشبع. ۷ ـ وحقّ فرجك: أن تحصنه عن الزنا، وتحفظه من أن يُنْظَرَ إليه.

حقوق الأفعال

۱ ـ وحقّ الصلاة: أن تعلم أنّها وفادة إلى الله عزّوجلّ وأنت فيها قائم بين يدى الله عزّوجلّ، فإذا علمت ذلك قمت مقام العبد الذليل الحقير الراغب الراهب الراجى الخائف المستكين المتضرّع المعظّم لمن كان بين يديه بالسكون والوقار، وتقبل عليها بقلبك، وتقيمها بحدودها وحقوقها. ۲ ـ وحقّ الحجّ: أن تعلم أنّه وفادة إلى ربّك، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذى أوجبه الله عليك. ۳ ـ وحقّ الصوم: أن تعلم أنّه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وبطنك وفرجك ليسترك به من النار، فإن تركت الصوم خرقت ستر الله عليك. [صفحه ۱۹۸] ۴ ـ وحقّ الصدقة: أن تعلم أنّها ذخرك عند ربّك عزّوجلّ، ووديعتك التى لا تحتاج الإشهاد عليها، فإذا علمتَ ذلك كنتَ بما تستودعه سرّاً أوثق منك بما تستودعه علانيةً، وتعلم أنّها تدفع البلايا والأسقام عنك فى الدنيا، وتدفع عنك النار فى الآخرة. ۵ ـ وحقّ الهدى: أن تريد به وجه الله عزّوجلّ، ولا ـ تريد به خلقه، ولا تريد به إلّا التعرض لرحمة الله ونجاة روحك يوم تلقاه.

حقوق الأئمة

۱ ـ وحقّ السلطان: أن تعلم أنّك جعلت له فتنة، وأنّه مبتل فيك بما جعله الله عزّوجلّ له عليك من السلطان، وأنّ عليك أن لا تتعرّض لسخطه فتلقى بيدك الى التهلكة، وتكون شريكاً له فيما يأتى إليك من سوء. ۲ ـ وحقّ سائسك بالعلم: التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، وأن لا ترفع عليه صوتك، وأن لا تجيب أحداً يسأله عن شىء حتى يكون هو الذى يجيب، ولا تحدّث فى مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه، وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدوّاً، ولا ـ تعادى له وليّاً، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنّك قصدته وتعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للناس. ۳ ـ وأمّا حقّ سائسك بالملك: فأن تطيعه ولا تعصيه إلّا فيما يسخط الله عزّوجلّ، فإنّه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

حقوق الرعية

۱ ـ وأمّا حقّ رعيّتك بالسلطان: فأن تعلم أنّهم صاروا رعيّتك لضعفهم [صفحه ۱۹۹] وقوّتك، فيجب أن تعدل فيهم وتكون لهم كالوالد الرحيم، وتغفر لهم جهلهم، ولا ـ تعاجلهم بالعقوبة، وتشكر الله عزّوجلّ على ما آتاك من القوّة عليهم. ۲ ـ وأمّا حقّ رعيّتك بالعلم: فأن تعلم أنّ الله عزوجل إنّما جعلك قيّماً لهم فيما آتاك من العلم، وفتح لك من خزائنه، فإن أحسنت فى تعليم الناس ولم تخرق بهم ولم تفجر عليهم زادك الله من فضله، وإن أنت منعت النّاس علمك أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك كان حقّاً على الله عزّوجلّ أن يسلبك العلم وبهاءه، ويسقط من القلوب محلّك. ۳ ـ وأمّا حقّ الزوجة: فأن تعلم أنّ الله عزّوجلّ جعلها لك سكناً وأُنساً، فتعلم أنّ ذلك نعمة من الله عليك، فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقّك عليها أوجب فإنّ لها عليك أن ترحمها، لأنّها أسيرك وتطعمها وتكسوها، فإذا جَهِلتْ عَفوتَ عنها. ۴ ـ وأمّا حقّ مملوكك: فأن تعلم أنّه خلق ربّك وابن أبيك وأُمّك ولحمك ودمك، لم تملكه لأنّك صنعته دون الله، ولا ـ خلقت شيئاً من جوارحه ولا ـ أخرجت له رزقاً، ولكنّ الله عزّوجلّ كفاك ذلك، ثمّ سخّره لك وائتمنك عليه واستودعك إيّاه، ليحفظ لك ما تأتيه من خير إليه فأحسن إليه كما أحسن الله إليك، وإن كرهته استبدلت به، ولم

تعذّب خلق الله عزّوجلّ، ولا قوّة إلّا بالله.

حقوق الرحم

۱ ـ وحقّ أُمّـِك: أن تعلم أنّها حملتك حيث لا ـ يحتمل أحدٌ أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطى أحدٌ أحداً، ووَقَتْك بجميع جوارحها، ولم تبالِ أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعرى وتكسوك، وتضحى وتظلّلك، وتهجر النوم لأجلك، ووَقَتك الحرّ والبرد لتكون لها، فإنّك لا تطيق شكرها [صفحه ۲۰۰] إلّا ـ بعون الله تعالى وتوفيقه. ۲ ـ وأمّا حقّ أبيك: فأن تعلم أنّه أصلك، وأنّه لولاه لم تكن، فمهما رأيت فى نفسك ممّا يعجبك فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا ـ قوّة إلّا بالله. ۳ ـ وأمّا حقّ ولدك: فأن تعلم أنّه منك ومضاف إليك فى عاجل الدنيا بخيره وشرّه، وأنّك مسؤول عمّا وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربّه عزّوجلّ، والمعونة له على طاعته، فاعمل فى أمره عمل من يعلم أنّه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه. ۴ ـ وأمّا حقّ أخيك: فأن تعلم أنّه يدك وعزّك وقوّتك، فلا تتّخذه سلاحاً على معصية الله، ولا عدّة للظالم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوّه والنصيحة له، فإن أطاع الله وإلّا فليكن الله أكرم عليك منه، ولا قوّة إلّا بالله. ۵ ـ وأمّا حقّ مولاك المنعم عليك: فأن تعلم أنّه أنفق فيك ماله، وأخرجك من ذلّ الرقّ ووحشته إلى عزّ الحرية وأُنسها، فأطلقك من أسر الملكة، وفكّ عنك قيد العبودية، وأخرجك من السجن، وملكك نفسك، وفرّغك لعبادة ربّك، وتعلم أنّه أولى الخلق بك فى حياتك وموتك، وأنّ نصرته عليك واجبة بنفسك وما احتاج إليه منك، ولا قوّة إلّا بالله. ۶ ـ وأمّا حقّ مولاك الذى أنعمت عليه: فأن تعلم أنّ الله عزّوجلّ جعل عتقك له وسيلةً إليه، وحجاباً لك من النار، وأنّ ثوابك فى العاجل ميراثه إذا لم يكن له رحم مكافأة بما أنفقت من مالك وفى الآجل الجنّة.

حقوق عامة الناس والأشياء

۱ ـ وأمّا حقّ ذى المعروف عليك: فأن تشكره وتذكر معروفه وتكسبه [صفحه ۲۰۱] المقالة الحسنة وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله عزوجل، فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرّاً وعلانيةً، ثمّ إن قدرت على مكافأته يوماً كافيته. ۲ ـ وأمّا حقّ المؤذّن: أن تعلم أنّه مذكّر لك ربّك عزّوجلّ، وداع لك إلى حظّك، وعونك على قضاء فرض الله عليك، فاشكره على ذلك شكرك للمحسن إليك. ۳ ـ وأمّا حقّ إمامك فى صلاتك: فأن تعلم أنّه قد تقلّد السفارة فيما بينك وبين ربّك عزّوجلّ، وتكلّم عنك ولم تتكلّم عنه، ودعا لك ولم تدع له، وكفاك هول المقام بين يدى الله عزّوجلّ، فإن كان به نقص كان به دونك، وإن كان تماماً كنت شريكه، ولم يكن له عليك فضل فوقى نفسك بنفسه وصلاتك بصلاته فتشكّر له على قدر ذلك. ۴ ـ وأمّا حقّ جليسك: فأن تلين له جانبك، وتنصفه فى مجازاة اللفظ، ولا تقوم من مجلسك إلّا بإذنه، ومن يجلس إليك يجوز له القيام عنك بغير إذنك، وتنسى زلّاته، وتحفظ خيراته، ولا تُسمعه إلّا خيراً. ۵ ـ وأمّا حقّ جارك: فحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتّبع له عورة، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه، وإن علمت أنّه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه، ولا ـ تسلّمه عن شديدة، وتقيل عثرته، وتغفر ذنبه، وتعاشره معاشرةً كريمةً، ولا قوّة إلّا بالله. ۶ ـ وأمّا حقّ الصاحب: فأن تصحبه بالتفضّل والإنصاف، وتكرمه كما يكرمك، وكن عليه رحمةً، ولا تكن عليه عذاباً، ولا قوّة إلّا بالله. ۷ ـ وأمّا حقّ الشريك: فإن غاب كفيته، وإن حضر رعيته، ولا تحكم دون حكمه، ولا تعمل رأيك دون مناظرته، وتحفظ عليه ماله، ولا ـ تخونه فيما عزّ أو هان من أمره، فإنّ يد الله تبارك وتعالى على الشريكين ما لم يتخاونا، ولا [صفحه ۲۰۲] قوّة إلّا بالله. ۸ ـ وأمّا حقّ مالك: فأن لا تأخذه إلّا من حلّه، ولا تنفقه إلّا فى وجهه، ولا تؤثر على نفسك من لا يحمدك، فاعمل فيه بطاعة ربّك، ولا تبخل به فتبوء بالحسرة والندامة مع السعة، ولا قوّة إلّا بالله. ۹ ـ وأمّا حقّ غريمك الذى يطالبك: فإن كنت موسراً أعطيته، وإن كنت معسراً لرضيته بحسن القول، ورددته عن نفسك ردّاً لطيفاً. ۱۰ ـ وحقّ الخليط: أن لا تغرّه،

ولاـ تغشّه ولاـ تخدعه، وتتّقی الله تبارک وتعالی فی أمره. ۱۱ ـ وحقّ الخصم المدّعی علیک: فإن کان ما یدّعی علیک حقّاً کنتَ شاهده علی نفسک ولم تظلمه، وأوفیته حقّه، وإن کان ما یدّعی باطلاً رفقت به، ولم تأت فی أمره غیر الرفق، ولم تسخط ربّک فی أمره، ولا قوّة إلّا بالله. ۱۲ ـ وحقّ خصمک الذی تدّعی علیه: إن کنت محقّاً فی دعوتک أجملت مقاولته ولم تجحد حقّه، وإن کنت مبطلاً فی دعوتک اتّقیت الله عزّوجلّ وتبت إلیه وترکت الدعوی. ۱۳ ـ وحقّ المستشیر: إن علمت أنّ له رأیاً أشرت علیه، وإن لم تعلم أرشدته إلی من یعلم. ۱۴ ـ وحقّ المشیر علیک: أن لاـ تتّهمه فیما لا یوافقک من رأیه، فإن وافقک حمدت الله عزّوجلّ. ۱۵ ـ وحقّ المستنصح: أن تؤدّی إلیه النصیحة ولیکن مذهبک الرحمة له والرفق به. ۱۶ ـ وحقّ الناصح: أن تلین له جناحک، وتصغی إلیه بسمعک، فإن أتی الصواب حمدت الله عزّوجلّ، وإن لم یوافق رحمته ولم تتّهمه، وعلمت أنّه [صفحه ۲۰۳] أخطأ، ولم تؤاخذه بذلک إلاّـ أن یکون مستحقّاً للتهمة فلاـ تعبأ بشیء من أمره علی حال، ولا قوّة إلّا بالله. ۱۷ ـ وحقّ الکبیر: توقیره لسنّه، وإجلاله لتقدّمه فی الإسلام قبلک، وترک مقابلته عند الخِصام، ولا تسبقه إلی طریق ولا تتقدّمه، ولا تستجهله، وإن جهل علیک احتملته وأکرمته لحقّ الإسلام وحرمته. ۱۸ ـ وحقّ الصغیر: رحمته فی تعلیمه والعفو عنه والستر علیه والرفق به والمعونة له. ۱۹ ـ وحقّ السائل: إعطاؤه علی قدر حاجته. ۲۰ ـ وحقّ المسؤول: إن أعطی فاقبل منه بالشکر والمعرفة بفضله، وإن منع فاقبل عذره. ۲۱ ـ وحقّ من سرّک لله تعالی ذکره: أن تحمد الله عزّوجلّ أوّلاً ثمّ تشکره. ۲۲ ـ وحقّ من أساءک: أن تعفو عنه، وإن علمت أنّ العفو عنه یضرّ انتصرت، قال الله تبارک وتعالی:(ولمن انتصر بعد ظلمه فأُولئک ما علیهم من سبیل) [۴۱۴] . ۲۳ ـ وحقّ أهل ملّتک: إضمار السلامة والرحمة لهم، والرفق بمسیئهم، وتألّفهم واستصلاحهم، وشکر محسنهم، وکفّ الأذی عنهم، وتحبّ لهم ما تحبّ لنفسک، وتکره لهم ما تکره لنفسک، وأن یکون شیوخهم بمنزلة أبیک، وشبّانهم بمنزلة إخوتک، وعجائزهم بمنزلة اُمّک، والصغار بمنزلة أولادک. ۲۴ ـ وحقّ أهل الذمّة: أن تقبل منهم ما قبل الله عزّوجلّ، ولا تظلمهم ما وفوا لله عزّوجلّ بعهده. [صفحه ۲۰۴] وقد تصدّی جملة من العلماء [۴۱۵] والقانونیّین لشرح هذه الرسالة الفریدة وبشتّی اللغات وعلی مختلف المستویات، وإن شئت التفصیل والاستضاءة بأنوارها ـ أکثر ممّا مرّ ـ فراجعها. [صفحه ۲۰۵]

فی رحاب الصحیفة السجادیة

اشاره

لقد خطّط القرآن الکریم لثورة ثقافیة عظیمة، وکانت آیاته الاُولی تبشّر بحرکة کبری فی عالم العلم والمعرفة، حیث ابتدأ الوحی الربّانی بالأمر بالقراءة أمراً مؤکداً والإشارة بنعمة التعلیم الإلهی والاهتمام بظاهرتی القلم والکتابة فی التعلیم وتدوین المعرفة ونقلها وتطویرها وتطویر الإنسان من خلال تکامل المعرفة وتطوّر العلوم. والرسول الأمین وإن عرف عنه بأنّه لم یتعلّم القراءة والکتابة المتعارفة ولکنّه قد حثّ علی طلب العلم ونشره وتدوینه بإلهام إلهی، وبالرغم من أنّ الجهاز الحاکم الذی خلف الرسول (صلی الله علیه وآله) أصدر قراراً بمنع تدوین حدیث الرسول (صلی الله علیه وآله) وبذلک وجّه ضَربةً کبیرةً للثقافة الإسلامیة المتمثّلة فی أحادیث الرسول الأعظم، لکنّها قد تدورکت بعد أن خلّفت مضاعفات کبیرةً لا زال العالم الإسلامی والإنسانی یدفع ضریبتها حتی یومنا هذا بعد أن لمسوا تلک المضاعفات الکبری التی ترتّبت علی مثل هذا القرار. وأمّا الأئمّة من أهل البیت (علیهم السلام) حیث کانوا قد أدرکوا فی وقت مبکّر مضاعفات منع التدوین والنکسة التی سوف یصاب بها العالم الإسلامی بل الإنسانی، فبادروا إلی التدوین وشجّعوا أصحابهم علی عملیة التدوین [صفحه ۲۰۶] بالرغم من أنّه کان ذلک یشکّل تحدّیاً للسلطات آنذاک، لأنّ حفظ الشریعة والدفاع عنها یعدّ من أعظم الأهداف التی جُعل الأئمّة المعصومون حُرّاساً لها أمناء علیها. فالأئمّة الأطهار(علیهم السلام) هم الروّاد الأوائل الذین خطّطوا لمسیرة الاُمّة الثقافیة، وفجّروا لها ینابیع العلم والحکمة علی هدی الکتاب الحکیم وتعالیم الرسول العظیم،

ولم يقتصر النشاط الثقافى للأئمّة(عليهم السلام) على جانب خاص، وإنّما تناول أنواع العلوم وشتى مجالات المعرفة. فالإمام أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب (عليه السلام) هو رائد هذه النهضة العلمية والفاتح لأبواب العلوم العقلية والنقلية والمؤسس لُاصولها وقواعدها، وقد اعترف بهذه الحقيقة جملة من العلماء الكبار وألّف السيّد حسن الصدر كتابه «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» فأثبت فيه تأريخياً صحة هذه الدعوى. وممّن اعترف بذلك الأُستاذ عباس محمود العقّاد فى كتابه «عبقرية الإمام علىّ» قائلًا: إنّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قد فتق أبواب اثنين وثلاثين علماً، فوضع قواعدها وأُسس أُصولها. وقال العلاّمة ابن شهر آشوب فى كتابه «معالم العلماء»: الصحيح أنّ أوّل من صنّف الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ثمّ سلمان ثمّ أبو ذر ثمّ الأصبغ بن نباتة ثمّ عبيد الله بن أبى رافع، ثمّ صنّفت الصحيفة الكاملة. فالصحيفة السجّادية من ذخائر التراث الإسلامى ومن مناجم كتب البلاغة والتربية والأخلاق والأدب فى الإسلام، ومن هنا سمّيت بـ «إنجيل أهل البيت» و «زبور آل محمد» [۴۱۶] . [صفحه ۲۰۷]

مميزات الصحيفة السجادية

۱ ـ إنّها تمثّل التجرّد التام من عالم المادّة والانقطاع الكامل إلى الله تعالى والاعتصام به، والذى هو أثمن ما فى الحياة. ۲ ـ إنّها تكشف عن كمال معرفة الإمام(عليه السلام) بالله تعالى وعميق إيمانه به. ۳ ـ امتازت الصحيفة السجادية على سائر أدعية المعصومين(عليهم السلام) بتكرار الصلاة على محمّد وآل محمد لأنّه من الأرجح أن هذه الأدعية اُنشئت فى أعقاب واقعة كربلاء التى كان منشؤها يزيد الذى كان هو وأبوه وجدّه ومن ورائهم بنو اُمية يسعون فى إطفاء النور المحمّدى(صلى الله عليه وآله). والأرجح ان الإمام كان يريد من خلال هذه الأدعية تكريس مبادئ الإسلام وترسيخها فى النفوس فى مواجهة المساعى الاُموية الهدّامة. ۴ ـ فتحت الصحيفة للإنسان المسلم أبواب الأمل والرجاء برحمة الله الواسعة. ۵ ـ كما فتحت للمناظرات البديعة مع الله تعالى باباً مهمّاً يتضمّن أنواع الحجج البالغة لاستجلاب عفو الله وغفرانه، مثل قوله(عليه السلام): «إلهى إن كنتَ لا تغفر إلاّ لأوليائك وأهل طاعتك فإلى من يفزع المذنبون؟! وإن كنتَ لا تُكرِم إلاّ أهل الوفاء لك فبمن يستغيث المُسيئون؟!». وهكذا قوله: «إلهى إنّى امرؤ حقير وخطرى يسير وليس عذابى ممّا يزيد فى ملكك مثقال ذرّة...». ۶ ـ تضمّنت الصحيفة برامج أخلاقية روحية وسلوكية مهمّة لتربية الإنسان، ورسمت له اُصول الفضائل النفسية والكمالات المعنويّة. [صفحه ۲۰۸] ۷ ـ احتوت على حقائق علمية لم تكن معروفةً فى عصره. وقد أشرنا إلى بعض منها [۴۱۷] . ۸ ـ كما تصدّت الصحيفة لمواجهة الفساد الفردى والإجتماعى والسياسى فى عصر أشاعت فيه السياسة الاُموية الفساد الأخلاقى والخلاعة والمجون بين المسلمين، فكانت الصحيفة خير وسيلة للإصلاح فى أحلك الظروف التى اتّبع فيها الاُمويون سياسة القمع والإرهاب. ۹ ـ والصحيفة بعد هذا هى منجم من مناجم البلاغة والفصاحة وينبوع ثرّ للأدب الإسلامى الهادف، فهى لا تفترق عن «نهج البلاغة» فى هذا المضمار. ۱۰ ـ وقد ضمّن الإمام زين العابدين(عليه السلام) أدعيته ـ التى تمثّلت فى الصحيفة الكاملة وسائر الأدعية التى وصلت عنه وجُمعت مؤخّراً فى ما سمّى بـ «الصحيفة الجامعة» ـ منهاجاً كاملًا للحياة الإنسانية الفريدة، ولم يترك الإمام جانباً ممّا تحتاجه الاُمّة الإسلامية إلاّ وتعرّض له وعالجه بأُسلوبه الفذّ وبلاغته البديعة.

الدور التأريخى للصحيفة السجادية

قلنا: إنّ المسلمين فى عصر الإمام زين العابدين(عليه السلام) واجهوا «خطرين كبيرين خارج النطاق السياسى والعسكرى، وكان لا بدّ من البدء بعمل حاسم للوقوف فى وجههما: أحدهما: الخطر الذى نجم عن انفتاح المسلمين على ثقافات متنوّعة [صفحه ۲۰۹] وأعراف تشريعية وأوضاع اجتماعية مختلفة بحكم تفاعلهم مع الشعوب التى دخلت فى دين الله أفواجاً، وكان لا بدّ من عمل على الصعيد العلمى يؤكّد فى المسلمين أصالتهم الفكرية وشخصيتهم التشريعية المتميزة المستمدة من الكتاب والسنّة، وكان لا بدّ من حركة فكرية اجتهادية تفتح آفاقهم الذهنية ضمن ذلك الإطار لكى يستطيعوا أن يحملوا مشعل الكتاب والسنّة بروح المجتهد البصير

والممارس الذكيّ الذي يستطيع أن يستنبط منها ما يفيده في كلّ ما يستجدّ له من حالات. كان لا بد إذن من تأصيل للشخصية الإسلامية ومن زرع بذور الاجتهاد، وهذا ما قام به الإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام) فقد بدأ حلقة من البحث والدرس في مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله)... وأمّا الخطر الآخر: فقد نجم عن موجة الرخاء التي سادت المجتمع الإسلامي في أعقاب ذلك الامتداد الهائل، لأنّ موجات الرخاء تعرّض أيّ مجتمع إلى خطر الانسياق مع ملذّات الدنيا والإسراف في زينة هذه الحياة المحدودة وانطفاء الشعور الملتهب بالقيم الخلقية والصلة الروحية بالله واليوم الآخر، وبما تضعه هذه الصلة أمام الإنسان من أهداف كبيرة، وهذا ما وقع فعلًا، وتكفي نظرة واحدة في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ليتّضح الحال. وقد أحسّ الإمام عليّ بن الحسين بهذا الخطر، وبدأ بعلاجه، واتّخذ من الدعاء أساساً لهذا العلاج، وكانت الصحيفة السجادية من نتائج ذلك، فقد استطاع هذا الإمام العظيم بما اُوتي من بلاغة فريدة وقدرة فائقة على أساليب التعبير العربي وذهنية ربّانية تتفتّق عن أروع المعاني وأدقّها في تصوير صلة الإنسان بربّه ووجده بخالقه وتعلّقه بمبدئه ومعاده وتجسيد ما يعبّر عنه ذلك [صفحه ۲۱۰] من قيم خلقية وحقوق وواجبات. أقول: قد استطاع الإمام عليّ بن الحسين بما اُوتي من هذه المواهب أن ينشر من خلال الدعاء جوّاً روحياً في المجتمع الإسلامي يساهم في تثبيت الإنسان المسلم عندما تعصف به المغريات، وشدّه إلى ربّه حينما تجرّه الأرض إليها وتأكيد ما نشأ عليه من قيم روحية، لكي يظلّ أميناً عليها في عصر الغنى والثروة كما كان أميناً عليها وهو يشدّ حجر المجاعة على بطنه. وهكذا نعرف أنّ الصحيفة السجّادية تعبّر عن عمل إجتماعي عظيم كانت ضرورة المرحلة تفرضه على الإمام، إضافةً إلى كونها تراثاً ربّانياً فريداً يظلّ على مرّ الدهور مصدر عطاء ومشعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب وتظلّ الإنسانية بحاجة إلى هذا التراث المحمّدي العلوي، وتزداد حاجةً كلّما ازداد الشيطان إغراءً والدنيا فتنة» [۴۱۸] .

سند الصحيفة السجادية

ينتهي سند الصحيفة إلى الإمام أبي جعفر محمد الباقر (عليه السلام) وإلى أخيه الشهيد زيد بن عليّ بن الحسين (عليهما السلام)، وقد ذكرت سلسلة السند في مقدمة الصحيفة، وحظي هذا السند بالتواتر، وما زال العلماء يتلقّونها موصولة الإسناد بالإسناد. قال السيّد محسن الأمين العاملي: «وبلاغة ألفاظها ـ أي الصحيفة ـ وفصاحتها التي لا ـ تبارى وعلوّ مضامينها وما فيها من أنواع التذلّل لله تعالى والثناء عليه والأساليب العجيبة في طلب عفوه وكرمه والتوسّل اليه أقوى شاهد على صحّة نسبتها، وإنّ هذا الدرّ من ذلك البحر، وهذا الجوهر من ذلك [صفحه ۲۱۱] المعدن، وهذا الثمر من ذلك الشجر، مضافاً إلى اشتهارها شهرةً لا تقبل الريب، وتعدّد أسانيدها المتّصلة إلى منشئها صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، فقد رواها الثقات بأسانيدهم المتعدّدة المتّصلة إلى زين العابدين (عليه السلام) وقد كانت منها نسخة عند زيد الشهيد ثمّ انتقلت إلى أولاده، وإلى أولاد عبدالله بن الحسن المثنّى، كما هو مذكور في أوّلها، مضافاً إلى ما كان عند الباقر (عليه السلام) من نسختها، وقد اعتنى بها عامّة الناس فضلًا عن العلماء اعتناءً برواياتها وضبط ألفاظها ونسخها، وواظبوا على الدعاء بأدعيتها في الليل والنهار والعشي والإبكار» [۴۱۹] .

شروح الصحيفة السجادية

عكف العلماء على دراسة الصحيفة السجّادية وشرحها وإيضاح مقاصدها، وقد اُلّفت في ذلك مجموعة من الكتب القيّمة ذكرها شيخ المحقّقين الشيخ آغا بزرك الطهراني في موسوعته المعروفة بـ «الذريعة إلى تصانيف الشيعة». وقد أحصى ستّة وستين شرحاً لها.

وصف الصحيفة بـ «الكاملة»

۱ ـ ذكروا أنّ سبب تسمية هذه الصحيفة بـ «الكاملة» هو أنّ لدى الزيدية نسخة ناقصة من هذه الصحيفة تصل إلى نصفها، ولذلك

عرفت هذه الصحيفة بالكاملة [۴۲۰] . ۲ ـ وذهب البعض الى أنّ السبب فى إطلاق هذه الصفة على الصحيفة [صفحه ۲۱۲] هو كونها تمثّل مجموعة كاملة تنتظم حاجات العبد من الله تعالى فى أغلب الموارد وحول أغلب المتطلّبات [۴۲۱] .

الصحيفة السجادية الجامعة

قال جامعها: ويستفاد من ديباجة نسخ الصحيفة السجّادية المتداولة أنّ عدد أدعيتها «۷۵» دعاءً إلّا أنّ عدد الأدعية الموجودة فيها الآن برواية محمد ابن أحمد المطهّرى هى «۵۴» دعاءً. وقد اُلّفت صحائف اُخرى جمعت أدعيته (عليه السلام) وذكر فى بعضها تلك الأدعية الساقطة. ثمّ ذكر خمس صحائف اُخرى، ومن هنا بادرت مؤسسة الإمام المهدى (عليه السلام) إلى جمع أدعيته وتنظيمها بالشكل الذى حافظ على سلامة ترتيب الأدعية الموجودة فى الصحيفة الكاملة المتداولة. قال: ولمّا كانت الصحيفة الكاملة تعدّ من المتواترات لاختصاصها بالإجازة والرواية فى كلّ طبقة وعصر لذلك جُمعت بعض أسانيدها وإجازاتها المتكثّرة، ورُتّبت شجرة للأسانيد على غرار شجرة الأنساب مع ترجمة أكثر رواة السند المتداول للصحيفة الكاملة، وعمل لها مجموعة من الفهارس الفنيّة اللازمة فازدانت بها جمالاً وكمالاً. وللتحقّق ممّا قلناه من أنّها «مجموعة كاملة تنتظم حاجات العبد من الله تعالى» يجدر بنا أن نلقى نظرة سريعة إلى الخطوط العريضة على الفهرس الموضوعى لهذه الصحيفة الجامعة [۴۲۲] . [صفحه ۲۱۳]

الموضوعات العامة للصحيفة الجامعة

۱ ـ أدعيته (عليه السلام) فى التحميد والتوحيد والتمجيد، وفيها (۸) أدعية. ۲ ـ أدعيته فى الصلوات، وهى (۱۴) دعاءً. ۳ ـ دعاؤه لنفسه وخاصّته. ۴ ـ أدعيته فى الصباح والمساء، وفيها (۸) أدعية. ۵ ـ أدعيته فى المهمّات والكربات والاستعاذة، وفيها (۶) أدعية. ۶ ـ أدعيته فى الاعتراف والاستغفار، وفيها (۹) أدعية. ۷ ـ أدعيته فى طلب الحوائج وقضائها، وفيها (۵) أدعية. ۸ ـ أدعيته إذا اعتُدى عليه، وفيها دعاءان. ۹ ـ أدعيته فى الأمراض والبلايا، وفيها (۳) أدعية. ۱۰ ـ دعاؤه فى الاستقالة. ۱۱ ـ دعاؤه فى الاستعاذة من الشيطان. ۱۲ ـ أدعيته فى الحذر، وفيها دعاءان. ۱۳ ـ أدعيته فى الاستسقاء، وفيها دعاءان. ۱۴ ـ أدعيته فى مكارم الأخلاق، وفيها دعاءان. ۱۵ ـ أدعيته فى الحزن والشدّة، وفيها (۴) أدعية. ۱۶ ـ أدعيته فى العافية، وفيها دعاءان. ۱۷ ـ أدعيته فيمن دعا لهم، وهم: الأبوان والولد والجيران والأولياء وأهل الثغور وجملة من الأشخاص. ۱۸ ـ أدعيته فيمن دعا عليهم. ۱۹ ـ أدعيته فى الفزع إلى الله، وفيها دعاءان. [صفحه ۲۱۴] ۲۰ ـ أدعيته فى الرزق وقضاء الدين، وفيها (۴) أدعية. ۲۱ ـ أدعيته فى التوبة، وفيها دعاءان. ۲۲ ـ أدعيته فى التهجّد، وفيها (۱۵) دعاءً. ۲۳ ـ أدعيته فى الإستخارة، وفيها (۳) أدعية. ۲۴ ـ دعاؤه فى الإبتلاء. ۲۵ ـ دعاؤه فى الرضا. ۲۶ ـ دعاؤه عند النظر إلى آيات الله. ۲۷ ـ دعاؤه عند رؤية الهلال. ۲۸ ـ أدعيته فى الشكر، وفيها دعاءان. ۲۹ ـ أدعيته فى الاعتذار من التبعات، وفيها دعاءان. ۳۰ ـ أدعيته فى طلب الرحمة وذكر الموت، وفيها (۷) أدعية. ۳۱ ـ دعاؤه فى طلب الستر والوقاية. ۳۲ ـ دعاؤه عند ختم القرآن. ۳۳ ـ أدعيته فى الأشهر الثلاثة، وفيها (۳۴) دعاءً. ۳۴ ـ أدعيته فى الأيام المباركة، وفيها (۸) أدعية. ۳۵ ـ دعاؤه فى الملتزم. ۳۶ ـ أدعيته لدفع الأعداء، وفيها (۱۰) أدعية. ۳۷ ـ أدعيته فى الاحتجاب والرهبة، وفيها دعاءان. ۳۸ ـ أدعيته فى التضرّع والتذلّل، وفيها (۸) أدعية. ۳۹ ـ أدعيته لكشف الهمومودفع المصائبوالاحتراز، وفيها(۱۱) دعاءً. ۴۰ ـ أدعيته فى المناجاة، وفيها (۳۹) دعاءً. ۴۱ ـ أدعيته فى الاستجابة والقنوت، وفيها (۳) أدعية. [صفحه ۲۱۵] ۴۲ ـ أدعيته فى السجود، وفيها (۱۰) أدعية. ۴۳ ـ أدعيته فى الأيام، وفيها (۳۶) دعاءً. ۴۴ ـ أدعيته فى الزيارات، وفيها دعاءان. ۴۵ ـ أدعيته فى مطالب الدنيا والآخرة، وفيها (۳) أدعية. ۴۶ ـ أدعيته عند الطعام، وفيها (۳) أدعية. ۴۷ ـ أدعيته فى صدر الموعظة وآخرها، وفيها دعاءان. ۴۸ ـ أدعيته إذا خرج من منزله أو آوى إلى فراشه أو طلى بالنورة. ۴۹ ـ دعاؤه عند محاكمته محمد بن الحنفيّة إلى الحجر الأسود. ۵۰ ـ دعاؤه الذى فيه الاسم الأعظم. [صفحه ۲۱۷]

مدرسة الإمام زين العابدين

إنّ حالة الجمود الفكريّ والركود العلميّ التى أصابت الاُمّة الإسلامية بسبب سيطرة بنى أميّة على الحكم كانت تستدعى حركة فكرية اجتهادية تفتح الآفاق الذهنية للمسلمين كى يستطيعوا أن يحملوا مشعل الكتاب والسنّة بروح المجتهد البصير، وهذا ما قام به الإمام زين العابدين (عليه السلام) فانبرى إلى تأسيس مدرسة علمية وإيجاد حركة فكرية بما بدأه من حلقات البحث والدرس فى مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله) وبما كان يثيره فى خطبه فى صلوات الجُمَع اُسبوعيّاً. أخذ الإمام (عليه السلام) يحدّث بصنوف المعرفة الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وعقائد وأخلاق، ويفيض عليهم من علوم آبائه الطاهرين ويمرّن النابهين منهم على التفقّه والاستنباط. وقد تخرّج من هذه الحلقة عدد مهمّ من فقهاء المسلمين، وكانت هذه الحلقة هى المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس فقهية وشخصيات علمية [۴۲۳] . ونلمس من خلال ما ورد عن الإمام (عليه السلام) من أحاديث ترتبط بالعلم والعلماء أنّه قد خطّط لهذه الحركة العلمية تخطيطاً بارعاً، فهو بالإضافة إلى [صفحه ۲۱۸] تفرّغه للتعليم ـ بالرغم من جميع الهموم والآلام التى تركتها له واقعة الطفّ الأليمة وما تلاها من حوادث مؤلمة فى العالم الإسلامى ـ نجده يشيد بفضل العلم ويحثّ المستعدّين للتعلّم حثّاً أكيداً قولاً وعملاً، وتكريماً من جهة، كما نجده يرسم للمتعلّمين آداب التعلّم، ويبيّن حقوق المعلّم والمتعلّم، ويرغّبهما فى تحمّل هذا العبء ببيان ثواب التعلّم والتعليم، بحيث استطاع أن يجمع عدداً كبيراً من طلاّب المعرفة الذين عُرفوا بالقرّاء باعتبار أنّ قراءة القرآن وحفظه وتعليم تفسيره كانت هى المحور فى التعلّم والتعليم حينذاك، ولم يكن للحديث أو السيرة أو الفقه تدوين وتأليف باعتبار الحظر الذى أوجدته السلطة بعد غياب الرسول (صلى الله عليه وآله)، فلم يكن الخط العام فى صالح هذه الحركة الفكرية. ومع كلّ هذا نلاحظ احتفاء القرّاء والفقهاء والعلماء بالإمام بنحو لا نجد له نظيراً فى غيره من العصور، فإنّ القرّاء كانوا لا يفارقونه فى حضر أو سفر حتى قال سعيد بن المسيّب: إنّ القرّاء كانوا لا يخرجون إلى مكّة حتّى يخرج علىّ بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب [۴۲۴] . قال (عليه السلام) مشيداً بفضل العلم وثوابه وأهمّيته: «لو يعلم الناس ما فى طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج، إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال: إنّ أمقت عبيدى إلىّ الجاهل المستخفّ بحقّ أهل العلم، التارك للإقتداء بهم، وإنّ أحبّ عبيدى إلىّ التقىّ الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء التابع للحلماء القابل عن الحكماء» [۴۲۵] . «طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجلًا على رطب ولا يابس [صفحه ۲۱۹] من الأرض إلاّ سبّحت له الأرضون السبع» [۴۲۶] . وكان (عليه السلام) يكرم طلاّب العلوم ويرفع منزلتهم ويرحّب بهم قائلًا: «مرحباً بوصيّة رسول الله (صلى الله عليه وآله)». وكان إذا نظر إلى الشباب وهم يطلبون العلم أدناهم إليه وقال: «مرحباً بكم أنتم ودايع العلم، ويوشك إذ أنتم صغار قوم أن تكونوا كبار آخرين» [۴۲۷] . وقد لاحظنا ما جاء فى رسالة الحقوق من الإشادة بفضل العالم وحقوقه على المتعلّمين من التعظيم له والتوقير لمجلسه وحسن الإستماع إليه والإقبال عليه وعدم رفع الصوت عليه والدفاع عنه وستر عيوبه وإظهار مناقبه وعدم مجالسة أعدائه وعدم معاداة أوليائه. كما نلاحظ تأكيده على عدم كتمان العلم وعدم التجبّر بالنسبة للمتعلّمين وحسن الإتقان فى فنّ التعليم وعدم ابتغاء الأجر المادّى على التعاليم. كلّ هذا يشير إلى تخطيط واضح فى سلوك الإمام (عليه السلام) لايجاد حركة ثقافية واسعة وتأسيس تيّار ثقافى يتسنّى له أن يقف أمام التيارات المنحرفة والتخطيط الاُموى الذى لم يرق له تفتّح الوعى الإسلامى عند أبناء المسلمين. وقد خرّجت مدرسة الإمام زين العابدين (عليه السلام) كوكبةً من العلماء الفقهاء والمفسّرين الذين سطعت أسماؤهم فى العالم الإسلامى، وإليهم يعود الفضل فى دفع عجلة الإحياء العلمىّ فى ذلك العصر الرهيب وما تلاه من عصور. ونشير فيما يلى إلى الأسماء اللاّمعة فى هذا الصدد: ۱ ـ ۳ ـ وفى مقدمتهم الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام) وأخواه: زيد [صفحه ۲۲۰] والحسين ابنا علىّ بن الحسين بن علىّ (عليهم السلام). ۴ ـ أبان بن تغلب بن رباح، أبو سعيد البكرى الجريرى: كوفىّ المولد والنشأة، وكان نابهاً ومقدّماً فى كلّ فن، من قرآن وحديث وأدب ولغة ونحو، وتتلمذ عند الأئمّة الثلاثة: السجاد والباقر والصادق (عليهم السلام)، وكان يقول له الإمام الباقر (عليه السلام): «اجلس فى مسجد المدينة وافتِ الناس فإنّى اُحبّ أن يُرى فى شيعتى مثلك» وألّف أبان فى تفسير غريب القرآن وفى فضائل أهل البيت كما روى ما يناهز ثلاثين ألف حديث

عن أئمّته (علیهم السلام) [۴۲۸] . ۵ ـ إسماعیل بن عبد الخالق: وجه من وجوه أصحاب الأئمّة وفقیه من فقهائهم، وأدرک الإمام الصادق (علیه السلام) وروی عنه وعن الإمام الباقر والسجّاد أیضاً [۴۲۹] . ۶ ـ ثابت بن أبی صفیّة: وهو أبو حمزة الثمالی، عالم جلیل ورع تقیّ، تربّی بآداب أهل البیت وحمل علومهم ومعارفهم، وأجمع المترجمون علی وثاقته وأنّه کسلمان الفارسی فی زمانه، وکانت الشیعة ترجع إلیه فی الکوفة لإحاطته بفقه أهل البیت (علیهم السلام). ۷ ـ رشید الهجری: من أبطال الإسلام وأعلام الجهاد، وقد صلبه الاُمویّون من أجل عقیدته وولائه لأهل البیت (علیهم السلام). ۸ ـ زید بن الحسن بن علیّ بن أبی طالب، کان یتولّی صدقات رسول الله(صلی الله علیه وآله)، وکان جلیل القدر کریم الطبع زکیّ النفس کثیر البرّ. ۹ ـ سعید بن جبیر، أبو محمد مولی بنی والبة: کوفی تابعی نزل مکّة وهو من أعلام المجاهدین، وکان من أبرز علماء عصره فی التفسیر والفقه [صفحه ۲۲۱] وأنواع العلوم، واستشهد بأمر الحجّاج فی شعبان (۹۵ هـ). ۱۰ ـ سعید بن المسیّب المخزومی: من کبار التابعین، وقال فیه الإمام زین العابدین (علیه السلام): إنّه أعلم الناس بما تقدّمه من الآثار وأفصحهم فی زمانه، وکان یبجّل الإمام کثیراً [۴۳۰] . إنّ هؤلاء بعض تلامذته والرواة عنه، علی أنّ الإمام (علیه السلام) کان یربّی الموالی بشکل لیس له نظیر، وکلّ من أعتقه الإمام یمکن أن یعدّ ممّن تربّی علی ید الإمام، فلا ینحصر تراث الإمام فیما کتب وما روی عنه فقط، بل یمکن أن یتّسع لکلّ عمل تربوی صدر عن الإمام وبقیت آثاره فی المجتمع الإسلامی ولو کان متجسّداً فی سلوک هؤلاء الموالی وأفکارهم واتجاهاتهم.

پاورقی

[۱] صحیح مسلم: ۷ / ۱۲۱.

[۲] إثبات الهداة: ۲ / ۳۲۰ حدیث ۱۱۶.

[۳] اختیار معرفة الرجال: ۱۲۹ ـ ۱۳۲ ح ۲۰۷، والجاحظ فی البیان والتبیین: ۱ / ۲۸۶، الأغانی: ۱۴ / ۷۵ و ۱۹ / ۴۰، وابن خلکان فی وفیات الأعیان: ۲ / ۳۳۸ ط ایران.

[۴] انظر: دراسات وبحوث للعاملی: ۱ / ۱۲۷ ـ ۱۳۷.

[۵] السید الشهید محمد باقر الصدر(قدس سره) فی مقدمته للصحیفة السجادیة.

[۶] العقد الفرید: ۲ / ۲۵۱.

[۷] حیاة الإمام زین العابدین، دراسة وتحلیل: ۱ / ۱۲۶.

[۸] تأریخ دمشق: ۳۶ / ۱۴۷، وتذکرة الخواص: ۳۲۴.

[۹] تهذیب التهذیب: ۹ / ۴۴۵.]

[۱۰] الأغانی: ۱۵ / ۳۲۵.

[۱۱] شذرات الذهب: ۱ / ۱۰۵.

[۱۲] شذرات الذهب: ۱ / ۱۰۵.

[۱۳] تهذیب التهذیب: ۴ / ۸۵.

[۱۴] تأریخ الیعقوبی: ۳ / ۴۶.

[۱۵] العبر فی خبر من غبر: ۱ / ۱۱۱.

[۱۶] الفصول المهمة: ۱۸۹.

[۱۷] تهذیب التهذیب: ۳ / ۳۹۵.

[۱۸] حیاة الإمام زین العابدین: ۱ / ۱۲۹ عن تأریخ دمشق: ۱۲ / ق ۱ / الورقة ۱۹.

[١٩] حياة الإمام زين العابدين: ١ / ١٢٩ عن تأريخ دمشق: ١٢ / ق١ / الورقة ١٩.

[٢٠] طبقات الفقهاء: ٢ / ٣٤.

[٢١] تهذيب التهذيب: ٣ / ٩.

[٢٢] تهذيب اللغات والأسماء، القسم الأول: ٣٤٣.

[٢٣] حياة الإمام زين العابدين (دراسة وتحليل): ١ / ١٣٠ عن تهذيب التهذيب.

[٢٤] المصدر السابق عن تهذيب الكمال م٧ / ق٢ / الورقة ٣٣٦.

[٢٥] نفس المهموم: ٤٤٨ ـ ٤٥٢ ط قم عن مناقب آل أبى طالب: ٤ / ١٨١ عن كتاب الأحمر عن الأوزاعى: الخطبة بدون المقدمة، والمقدمة عن الكامل للبهائى: ٢ / ٢٩٩ ـ ٣٠٢ وانظر حياة الإمام زين العابدين للقرشى: ١ / ١٧٥.

[٢٦] بحار الأنوار: ٤٦ / ٧٥.

[٢٧] الكامل للمبرد: ٢ / ٤٦٧، العقد الفريد: ٥ / ٣١٠.

[٢٨] تاريخ اليعقوبى: ٣ / ٤٦.

[٢٩] تأريخ دمشق: ٣٦ / ١٤٢.

[٣٠] سير أعلام النبلاء: ٤ / ٢٤٠.

[٣١] حلية الأولياء: ٣ / ١٣٣.

[٣٢] وسيلة المآل فى عدّ مناقب الآل: ٢٨٠.

[٣٣] عن تهذيب اللغات والأسماء: ق١ / ٣٤٣.

[٣٤] عيون الأخبار وفنون الآثار: ١٤٤.

[٣٥] عمدة الطالب: ١٩٣.

[٣٦] الإرشاد: ٢ / ١٣٨ و ١٥٣.

[٣٧] منهاج السنّة: ٢ / ١٢٣.

[٣٨] الصراط السوى الورقة ١٩.

[٣٩] مطالب السؤول: ٢ / ٤١.

[٤٠] رسائل الجاحظ: ١٠٦.

[٤١] عمدة الطالب: ١٩٣ ـ ١٩٤.

[٤٢] تذكرة الخواص: ٣٢٤.

[٤٣] أمالى الصدوق: ١٦٨ ح ١٢ والارشاد: ٢ / ١٤٦، ومناقب آل أبى طالب: ٤ / ١٥٧، تاريخ دمشق: ٣٦ / ١٥٥ وابن منظور فى مختصره: ١٧ / ٢٤٠، وسير أعلام النبلاء: ٤ / ٣٩٧، ونهاية الارب: ٢١ / ٣٢٦.

[٤٤] مناقب آل أبى طالب: ٤ / ١٧١، والبداية والنهاية: ٩ / ١٠٥.

[٤٥] الإرشاد: ١ / ١٤٦ عن نسب آل أبى طالب للعبيدلى النسّابة م ٢٧٠ هـ

[٤٦] الإرشاد: ٢ / ١٤٩، ومناقب آل أبى طالب: ٤ / ١٦٣ وراجع: البداية والنهاية: ٩ / ١٠٥، وسير أعلام النبلاء: ٤ / ٢٣٩.

[٤٧] تأريخ اليعقوبى: ٢ / ٢٥٩ ط بيروت.

[٤٨] مناقب آل أبى طالب: ٤ / ١٦٦ عن الباقر(عليه السلام) وعن أحمد بن حنبل، وكشف الغمة: ٢ / ٢٨٩ عن مطالب السؤول عن حلية الأولياء، وفى الكشف: ٢ / ٣١٢، عن الجنابذى، ولكن فيه: ٢ / ٣٠٤ عنه أيضاً عن الصادق(عليه السلام) قال: كان يعول سبعين

بيتاً.

[۴۹] حلية الأولياء: ۳ / ۱۳۷، وعنه فى مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۷.

[۵۰] كشف الغمة: ۳ / ۲۸۸ عن مطالب السؤول للشافعى عن حلية الأولياء للاصفهانى.

[۵۱] مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۶ و ۱۶۷ عن الباقر (عليه السلام).

[۵۲] بحار الأنوار: ۴۶ / ۶۲.

[۵۳] علل الشرائع: ۱ / ۶۱ ب ۴۲ ح ۱ ط بيروت.

[۵۴] وسائل الشيعة: ۶ / ۲۹۶.

[۵۵] تأريخ دمشق: ۳۶ / ۱۶۱.

[۵۶] مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۷ عن حلية الأولياء: ۳ / ۱۳۶ ـ ۱۴۰.

[۵۷] مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۷.

[۵۸] المحاسن: ۲ / ۳۶۱ طبعة المجمع العالمى لأهل البيت(عليهم السلام)، وفروع الكافى: ۶ / ۳۵۰.

[۵۹] مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۷ عن حلية الأولياء: ۳ / ۱۴۰، وجمهرة الأولياء: ۲ / ۷۱، وخلاصة تهذيب الكمال: ۲۳۱.

[۶۰] مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۵ عن الثمالى والثورى، وفى تذكرة الحفاظ: ۱ / ۷۵ واخبار الدول: ۱۱۰ ونهاية الإرب: ۲۱ / ۳۲۶، وكشف الغمة: ۲ / ۲۸۹ عن مطالب السؤول عن حلية الأولياء. وفى الكشف: ۲ / ۳۱۲ عن الجنابذى عن الثورى عنه(عليه السلام) كان يقول: إنّ الصدقة تطفئ غضب الرب. بدون قيد السّر.

[۶۱] مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۶.

[۶۲] كشف الغمة: ۲ / ۳۱۹ عن نثر الدرر للآبى.

[۶۳] حلية الأولياء وعنه فى مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۶ وكشف الغمة: ۲ / ۲۹۰ عن مطالب السؤول عن الحلية: ۴ / ۱۳۶ وفى البداية والنهاية لابن كثير: ۹ / ۱۱۴، وصفة الصفوة: ۲ / ۵۴، الإتحاف بحب الأشراف: ۴۹ والأغانى: ۱۵ / ۳۲۶.

[۶۴] مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۶ عن الباقر(عليه السلام).

[۶۵] تذكرة الحفّاظ: ۱ / ۷۵.

[۶۶] تأريخ اليعقوبى: ۲ / ۳۰۳ ط بيروت.

[۶۷] علل الشرائع: ۱ / ۲۷ وعنه فى بحار الأنوار: ۴۶ / ۶۵ ـ ۶۶.

[۶۸] وقعة الطف: ۲۰۹.

[۶۹] الكافى: ۲ / ۱۰۹ و ۱۱۱ والخصال: ۱ / ۲۳ وعن الكافى فى بحار الأنوار: ۷۱ / ۴۰۶ ومعه بيان المؤلف فى صفحة كاملة.

[۷۰] بحار الأنوار: ۷۸ / ۱۳۵.

[۷۱] بحار الأنوار: ۴۶ / ۶۴ عن علل الشرائع: ۱ / ۲۷۰ ط بيروت.

[۷۲] مجالس ثعلب ۲: ۴۶۲، وعنه فى حياة الإمام زين العابدين للقرشى: ۱ / ۸۱. وفى مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۷۵ عن نافع: شيئاً، بدل: درهماً.

[۷۳] بحار الأنوار: ۴۶ / ۶۲ عن علل الشرائع: ۱ / ۲۷۰ ط بيروت.

[۷۴] كشف الغمة: ۲ / ۳۱۸ عن نثر الدرر للآبى، والفصول المهمّة: ۱۹۲.

[۷۵] الكافى: ۸ / ۷۲ ـ ۷۶، وتحف العقول: ۲۴۹ ـ ۲۵۲.

[۷۶] حياة الإمام زين العابدين(عليه السلام) دراسة وتحليل:۱ / ۹۳.

[۷۷] قرموا: اشتدّ شوقهم إلى اللحم.

[۷۸] بحار الأنوار: ۴۶ / ۶۷ عن الكافى: ۲ / ۱۲.

[۷۹] بحار الأنوار: ۴۶ / ۶۷ عن الكافى: ۲ / ۱۲.

[۸۰] الكامل للمبرد: ۱ / ۳۰۲، وشذرات الذهب: ۱ / ۱۰۵، ومناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۷۶ عن أمالى النيشابورى.

[۸۱] الصحيفة السجادية، دعاؤه لأبويه.

[۸۲] حياة الإمام زين العابدين، دراسة وتحليل: ۵۵ ـ ۵۶.

[۸۳] أُصول الكافى: ۲ / ۳۷۶، والاختصاص: ۲۳۹، وتحف العقول: ۲۷۹، والبداية والنهاية: ۹ / ۱۰۵.

[۸۴] البيان والتبيين: ۲ / ۷۶، العقد الفريد: ۳ / ۸۸.

[۸۵] العقد الفريد: ۳ / ۸۹.

[۸۶] اقبال الأعمال: ۱ / ۴۴۳ ـ ۴۴۵ باسناده عن التلعكبرى عن ابن عجلان عن الصادق(عليه السلام) وعنه فى بحار الأنوار: ۴۶ / ۱۰۳ ـ ۱۰۵. و ۹۸ / ۱۸۶ ـ ۱۸۷.

[۸۷] الإرشاد: ۲ / ۱۴۷، ومناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۷۱ وفى تأريخ دمشق: ۳۶ / ۱۵۵.

[۸۸] إشارة لقوله تعالى: (فى بيوت اذن الله ان ترفع ويـذكر فيها اسـمه يسـبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار). النور (۲۴): ۳۶ ـ ۳۷.

[۸۹] الإرشاد: ۲ / ۱۳۷، ومنـاقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۸۹، والإقبال: ۶۲۱، ومصباح الكفعمى: ۵۱۱، والأنوار البهية: ۱۰۷ قال: سنة ۳۶ يوم فتح البصرة.

[۹۰] تاريخ أهل البيت، لابن أبى الثلج البغدادى م ۳۲۵: ۷۷.

[۹۱] رغم أنّ أغلب المؤرخين متفقون على أنّ اُم الإمـام السـجاد (عليه السـلام) هى ابنـة الملك يزدجرد إلّا أن هناك من يعتبر ذلك مجرد اُسـطورة، راجع زندگانى على بن الحسـين(عليه السـلام) للسـيد جعفر الشـهيدى. والإسـلام وايران للشـهيد مطهرى: ۱۰۰ ـ ۱۰۹ وحول السـيدة شهر بانو للشيخ اليوسفى الغروى فى مجلة رسالة الحسين(عليه السلام): ۲۴ / ۱۴ ـ ۳۹، والثابت أن اُمّ الإمام السجاد(عليه السلام) سبيّة من سبايا الفرس، ولا يثبت أكثر من هذا.

[۹۲] سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السـلام): ۲ / ۱۸۹، المجمع العـالمى لأهل البيت (عليهم السـلام) الطبعة الاُولى ۱۴۱۴ هـ.

[۹۳] حياة الإمام زين العابدين، دراسة وتحليل: ۳۹۰.

[۹۴] الفرقان (۲۵): ۶۳.

[۹۵] إحقاق الحق: ۱۲ / ۱۳ ـ ۱۶، والبداية والنهاية لابن كثير: ۹ / ۱۰۶.

[۹۶] علل الشرائع: ۱ / ۲۶۹، والأمالى: ۳۳۱ وعنهما فى بحار الأنوار: ۴۶ / ۲ الحديث ۱ و ۲.

[۹۷] علل الشرائع: ۱ / ۲۷۳ ومعانى الأخبار: ۶۵ وعنهما فى بحار الأنوار: ۴۶ / ۶.

[۹۸] علل الشرائع: ۱ / ۲۷۲ وعنه فى بحار الأنوار: ۴۶ / ۶ ح ۱۰.

[۹۹] المناقب لابن شهر آشوب: ۳ / ۳۱۰، بحار الأنوار: ۴۶ / ۸ ـ ۱۵.

[۱۰۰] راجع: ترجمة سُمّية أم زياد فى هامش وقعة الطف: ۲۱۱ و ۲۱۲.

[۱۰۱] قرية تقع بين تدمر ودمشق.

[۱۰۲] اقرأ أخبار هذه الأحداث مسندة موثقة فى: وقعة الطف لأبى مخنف: ۷۰ ـ ۱۴۱، تحقيق محمد هادى اليوسفى الغروى.

[۱۰۳] راجع: منتخب الأثر: ۹۷، الباب الثامن، والإرشاد وإعلام الورى بأعلام الهـدى: ۲ / ۱۸۱، ۱۸۲، النصوص على الأئمة الاثنا عشر، قادتنا: ۵ / ۱۴، وإثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: ۲ / ۲۸۵، النصوص العامة على الأئمة، وإحقاق الحقّ وملحقاته ج ۱ ـ ۲۵.

[۱۰۴] الكافى: ۱ / ۲۴۲ / ۳، والغيبة للطوسى: ۱۱۸ الحديث ۱۴۸، واثبات الهداة: ۵ / ۲۱۴ ـ ۲۱۶.

[۱۰۵] الكافى: ۱ / ۲۴۱ / ۱، واثبات الوصيّة: ۱۴۲، وإعلام الورى: ۱ / ۴۸۲ ـ ۴۸۳.

[۱۰۶] الاحتجاج: ۲ / ۱۴۷، احتجاجات الإمام زين العابدين(عليه السلام).

[۱۰۷] الإرشاد: ۲ / ۱۱۲، وانظر وقعة الطف لأبى مخنف: ۲۵۶، ۲۵۷.

[۱۰۸] التدمت المرأة: ضربت صدرها فى النياحة، وقيل: ضربت وجهها فى المآتم.

[۱۰۹] الأمالى للطوسى: ۹۱.

[۱۱۰] الإرشاد للمفيد: ۲۴۴، ووقعة الطف: ۲۶۲، ۲۶۳.

[۱۱۱] مقتل الخوارزمى: ۲ / ۴۳ مرسلاً، واللهوف على قتلى الطفوف: ۱۴۵.

[۱۱۲] الكامل فى التاريخ للجزرى: ۴ / ۸۳، وإنّ أوّل رأس حمل فى الإسلام هو رأس عمر بن الحِمق الخزاعى الى معاوية.

[۱۱۳] عن طبقات ابن سعد فى ذيل تاريخ دمشق ترجمة الإمام الحسين(عليه السلام): ۱۳۱، وأنساب الأشراف: ۲۱۴، والطبرى: ۵ / ۴۶۰ و ۴۶۳، والإرشاد: ۲ / ۱۱۹ واللفظ للأخير.

[۱۱۴] مقتل الخوارزمى ۲: ۶۱، واللهوف على قتلى الطفوف: ۱۰۰، ومقتل المقرم: ۴۴۹ عن تفسير ابن كثير والآلوسى.

[۱۱۵] أمالى الطوسى: ۶۷۷.

[۱۱۶] الارشاد: ۲ / ۱۱۹ و ۱۲۰، ووقعة الطف لأبى مخنف: ۱۶۸ و ۲۷۱، والعقد الفريد: ۵ / ۱۲۴.

[۱۱۷] الحديد (۵۷): ۲۲ ـ ۲۳.

[۱۱۸] الشورى (۴۲): ۳۰.

[۱۱۹] الإرشاد: ۲ / ۱۲۱، ووقعة الطف لأبى مخنف: ۲۷۱، ۲۷۲.

[۱۲۰] نفس المهموم: ۴۴۸ ـ ۴۵۲ ط قم عن مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۸۱ عن كتاب الأحمر عن الأوزاعى: الخطبة بدون المقدمة. والمقدمة عن الكامل للبهائى: ۲ / ۲۹۹ ـ ۳۰۲، وانظر حياة الإمام زين العابدين للقرشى: ۱۷۵ ـ ۱۷۷.

[۱۲۱] تاريخ الطبرى: ۵ / ۴۶۲، والارشاد: ۲ / ۱۲۲.

[۱۲۲] اللهوف فى قتلى الطفوف: ۸۵ مرسلاً ورواه ابن سعد فى الطبقات مسنداً عن المنهال بن عمرو الكوفى فى الكوفة وليس الشام، والخبر أكثر من هذا وإنّما هذا مختصر الخبر.

[۱۲۳] الطبرى: ۵ / ۴۶۲، والارشاد: ۲ / ۱۲۲ وعنهما فى وقعة الطف لأبى مخنف: ۲۷۲.

[۱۲۴] عن تفسير المطالب فى أمالى أبى طالب: ۹۳، والحدائق الوردية: ۱ / ۱۳۳.

[۱۲۵] الإرشاد: ۲ / ۱۱۷ وعنه فى وقعة الطف لأبى مخنف: ۲۶۵، ۲۶۶.

[۱۲۶] اللهوف: ۱۱۶، بحار الأنوار: ۴۵ / ۱۴۸ ـ ۱۴۹.

[۱۲۷] تأريخ الطبرى: ۵ / ۴۷۹، ۴۸۰.

[۱۲۸] الطبرى: ۵ / ۴۸۰ وعنه فى الكامل فى التأريخ: ۴ / ۱۰۳.

[۱۲۹] تأريخ الطبرى: ۴ / ۴۸۵، والكامل فى التأريخ: ۴ / ۱۱۳.

[۱۳۰] الطبرى: ۵ / ۴۸۴ وعنه فى الكامل.

[۱۳۱] التنبيه والاشراف: ۲۶۳ ط. القاهرة.

[۱۳۲] البداية والنهاية: ۸ / ۲۲۰، وتأريخ الخلفاء: ۲۳۳. أمّا الطبرى فلم يـذكر إلّا إباحة القتال والأموال ثلاثة أيام: ۵ / ۴۹۱ وترك ذكر الفروج وتبعه الجزرى فى الكامل.

[۱۳۳] تاريخ ابن عساكر: ۱۰ / ۱۳، المحاسن والمساوئ: ۱ / ۱۰۴.

[۱۳۴] تاريـخ الطبرى ۵ / ۴۹۳ و ۴۹۵ وعنه فى الكامل فى التاريـخ: ۴ / ۱۱۸ وفى مروج الـذهب ۳: ۷۰، الكامل فى التاريـخ ۴: ۱۱۸، والبداية والنهاية ۸: ۲۲۲. وقـد جاء فى تاريخ اليعقوبى ۲: ۲۵۱: كـان الرجل من قريش يؤتى به فيقال: بايع على أنّك عبـد قنّ ليزيـد، فيقول: لا. فيضرب عنقه.

[۱۳۵] الكامل فى التأريخ: ۴ / ۱۱۸، مروج الذهب: ۳ / ۷۰.

[۱۳۶] تأريخ الطبرى: ۵ / ۴۹۲ وعنه فى الكامل فى التاريخ: ۴ / ۱۱۸.

[۱۳۷] تأريخ الطبرى: ۵ / ۴۹۳، الاخبار الطوال: ۲۶۵.

[۱۳۸] النظرية السياسـية لدى الإمام زين العابدين، محمود البغدادى: ۲۷۳. المجمع العالمى لأهل البيت(عليهم السـلام) ـ الطبعة الاولى سنة ۱۴۱۵هـ

[۱۳۹] كشف الغمة: ۲ / ۳۱۹ عن نثر الدرر للآبى (ق ۴ هـ) عن ابن الأعرابى.

[۱۴۰] الإرشاد: ۲ / ۱۵۲.

[۱۴۱] تأريخ الطبرى: ۵ / ۴۹۷ وعنه فى الكامل فى التاريخ: ۴ / ۱۲۳.

[۱۴۲] وقعة صفين: ۲۰۶ و ۲۱۳ وفى الإصابة: ۳ / ۴۹۳ ـ ۴۹۴.

[۱۴۳] البدايـة والنهاية: ۸ / ۲۲۳، رواه عن النسـائى، وروى مثله عن أحمـد بن حنبـل. اُنظر أحـاديث اُخرى عن هـذا الموضوع فى كنز العمال، كتاب الفضائل الحديث ۳۴۸۸۶، ووفاء الوفاء: ۹۰، وسفينة البحار: ۸ / ۳۸، ۳۹ عن دعائم الإسلام.

[۱۴۴] تأريـخ الطبرى: ۵ / ۴۹۸ وعنه فى الكامل فى التأريـخ: ۴ / ۲۴ عن الكلـبى عن عوانـة بن الحكم، ثم روى أخبـاراً عن ابن عمر تحاول نسبة الحرق إلى أصحاب ابن الزبير خطأً، فى محاولة لتبرير يزيد الشّرير.

[۱۴۵] منطقة فى شرق دمشق.

[۱۴۶] زندگانى علىّ بن الحسين: ۹۲ =حياة الإمام على بن الحسين(عليه السلام).

[۱۴۷] تاريخ الطبرى: ۶ / ۱۲ ـ ۱۴ بروايـة أبى مخنف. وابن نما الحلّى فى كتابه: شـرح الثأر روى عن والده: أنّه قال لهم: قوموا بنا إلى إمامى وإمامكم على بن الحسـين، فلمّا دخلوا عليه وأخبروه خبرهم الذى جاؤوا لأجله قال لعمّه محمّد: يا عمّ، لو أن عبداً زنجيّاً تعصّب لنـا أهـل البيت لوجب على النـاس مؤازرته، وقـد وليّتـك هـذا الأمر فاصـنع ما شـئت. فخرجوا وهم يقولون: قـد أذن لنا زين العابـدين ومحمّد بن الحنفية، كما روى عنه فى بحار الأنوار: ۴۵ / ۳۶۵.

[۱۴۸] رجال الكشى: ۱۲۷ ح ۲۰۳ وعنه فى. المختار الثقفى: ۱۲۴.

[۱۴۹] تأريخ اليعقوبى: ۲ / ۲۵۹ ط بيروت.

[۱۵۰] المصدر السابق.

[۱۵۱] العقد الفريد:۵ / ۱۴۳.

[۱۵۲] تاريخ الطبرى: ۵ / ۴۵۱ وعنه فى وقعة الطف: ۲۵۴ وقريباً منه فى الإرشاد: ۲ / ۱۱۰، ۱۱۱. وليس فيه: سنين كسنىّ يوسف، ولا غلام ثقيف.

[۱۵۳] حياة الحيوان: ۱۶۷.

[۱۵۴] حياة الحيوان: ۱ / ۱۷۰.

[۱۵۵] معجم البلدان: ۵ / ۳۴۹.

[۱۵۶] تهذيب التهذيب: ۲ / ۲۱۲.

[۱۵۷] شرح النهج: ۱۵ / ۲۴۲ عن كتاب: افتراق هاشم وعبد شمس للدبّاس. وقد ورد الخبر قبله فى الكامل للمبرّد: ۱ / ۲۲۲. وفى سنن أبى داود: ۴ / ۲۰۹ والبداية والنهاية: ۹ / ۱۳۱ والنصائح الكافية لابن عقيل: ۱۱ عن الجاحظ، وفى رسائل الجاحظ: ۲ / ۱۶.

[۱۵۸] تاريخ الخلفاء: ۲۲۰.

[۱۵۹] البداية والنهاية: ۹ / ۶۸.

[۱۶۰] مروج الذهب: ۳ / ۹۶.

[۱۶۱] مروج الذهب: ۳ / ۹۶.

[۱۶۲] تأريخ الخلفاء: ۲۲۳.

[۱۶۳] هناك من المؤرّخين من يرى أنّ هشام بن عبد الملك هو الذى دسّ السمّ للإمام (عليه السلام)، راجع بحار الأنوار: ۴۶ / ۱۵۳، ويمكن الجمع بين الرأيين فيكون أحدهما آمراً والآخر منفّذاً للجريمة.

[۱۶۴] راجع: حياة الإمام زين العابدين: ۶۷۸.

[۱۶۵] بحار الأنوار: ۴۶ / ۱۵۳ عن الفصول المهمة لابن الصباغ المالكى: ۱۹۴.

[۱۶۶] أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف: ۱۱۷ ـ ۱۲۲، طبعة دار التعارف.

[۱۶۷] بحث حول الولاية: ۱۵، طبعة دار التعارف.

[۱۶۸] المصدر السابق: ۵۹.

[۱۶۹] بحث حول الولاية: ۵۷ ـ ۵۸.

[۱۷۰] المصدر السابق: ۶۰ ـ ۶۱.

[۱۷۱] راجع: أهل البيت تنوّع أدوار ووحدة هدف: ۱۲۷ ـ ۱۲۹.

[۱۷۲] أهل البيت تنوّع أدوار ووحدة هدف: ۱۲۲.

[۱۷۳] المصدر السابق: ۵۹.

[۱۷۴] أهل البيت تنوع ادوار ووحدة هدف: ۱۳۱ ـ ۱۳۲ و۱۴۷ ـ ۱۴۸.

[۱۷۵] أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف: ۱۴۴.

[۱۷۶] أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف: ۷۹ ـ ۸۰.

[۱۷۷] حياة الإمام زين العابدين دراسة وتحليل: ۶۶۵.

[۱۷۸] الأغانى: ۱ / ۵۵، ۴ / ۴۰۰، ۵ / ۱۱۱.

[۱۷۹] الأغانى: ۸ / ۲۲۴.

[۱۸۰] العقد الفريد: ۳ / ۲۳۳.

[۱۸۱] العقد الفريد: ۳ / ۲۴۵.

[۱۸۲] راجع: الأغانى: ۲ / ۲۲۶، ۳ / ۳۰۷، ۴ / ۲۲۲، ۶ / ۲۱، ۷ / ۳۱۶، و ۳۳۲، ۸ / ۲۲۷، ۱۰ / ۵۷. والشعر والغناء فى المدينة ومكة: ۲۵۰.

[۱۸۳] حياة الإمام زين العابدين، دراسة وتحليل: ۶۷۲ ـ ۶۷۳.

[۱۸۴] التوبة (۹): ۱۱۱.

[۱۸۵] من لا يحضره الفقيه: ۲ / ۱۴۱، ومناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۷۳ باختلاف يسير فى الألفاظ.

[۱۸۶] القصيدة طويلة وهى مذكورة فى كثير من المصادر التأريخية والأدبية، اُنظر: وفيات الأعيان لابن خلّكان: ۶ / ۹۶، الإرشاد للمفيد: ۲ / ۱۵۰، ۱۵۱ عن محمّد بن اسماعيل بن جعفر الصادق(عليه السلام) وراجع غيرهما من المصادر فى أوائل الفصل الأوّل من الباب الأوّل.

[۱۸۷] كانت عملية منع الحديث ـ تدويناً ورواية ـ قد بدأت بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) مباشرة.

[۱۸۸] المحاسن: ۲۲۱ ح۱۳۳.

[۱۸۹] تفسير البرهان: ۳ / ۱۵۶.

[۱۹۰] بحار الأنوار: ۴۶ / ۱۰۷.

[۱۹۱] المصدر السابق: ۷۰، ب۵، ح۴۵.

[۱۹۲] الاحتجاج: ۳۱۲ ـ ۳۱۹.

[۱۹۳] التوحيد للصدوق: ۳۶۶.

[۱۹۴] كشف الغمة: ۲ / ۸۹.

[۱۹۵] جهاد الإمام السجاد: ۱۰۷.

[۱۹۶] أمالى الصدوق: ۱۱۲، الاحتجاج: ۳۱۷.

[۱۹۷] تأريخ دمشق: الحديث ۲۱.

[۱۹۸] كفاية الأثر: ۲۳۶ ـ ۲۳۷.

[۱۹۹] نزهة الناظر: ۴۵.

[۲۰۰] إكمال الدين: ۳۲۴، الباب ۳۱، الحديث ۹.

[۲۰۱] نشأة الشيعة والتشيّع، للشهيد السيّد محمد باقر الصدر.

[۲۰۲] قد أشرنا إلى حادثة استلام الإمام(عليه السلام) للحجر بعد أن انفرج الحجيج له، راجع الصفحة ۱۱۱ من الكتاب.

[۲۰۳] مختصر تأريخ دمشق: ۱۷ / ۲۱.

[۲۰۴] جهاد الإمام السجاد(عليه السلام): ۱۵۴.

[۲۰۵] لاحظ تنقيح المقال: ۲ / ۲۵۱.

[۲۰۶] تأريخ دمشق: ۴۱ / ۴۱۰، مختصر ابن منظور: ۱۷ / ۲۵۵.

[۲۰۷] حياة الإمام زين العابدين: ۱۸۷ نقلاً عن تفسير الإمام الحسن العسكرى.

[۲۰۸] الخصال: ۴۸۸.

[۲۰۹] نهاية الإرب: ۲۱ / ۳۲۶، سير أعلام النبلاء: ۴ / ۲۳۸.

[۲۱۰] الخصال: ۲ / ۶۲۰.

[۲۱۱] بحار الأنوار: ۴۶ / ۵۸.

[۲۱۲] بحار الأنوار: ۴۶ / ۱۰۸.

[۲۱۳] حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام): ۱۹۰.

[۲۱۴] وسائل الشيعة: ۴ / ۶۸۵.

[۲۱۵] المصدر السابق.

[۲۱۶] تهذيب الأحكام: ۲ / ۲۸۶ ح۱۱۴۶.

[۲۱۷] بحار الأنوار: ۴۶ / ۱۰۸.

[۲۱۸] علل الشرائع: ۸۸، بحار الأنوار: ۴۶ / ۶۱.

[۲۱۹] تهذيب التهذيب: ۷ / ۳۰۶، نور الأبصار: ۱۳۶، الإتحاف بحب الأشراف: ۴۹، ومصادر اُخرى.

[۲۲۰] بحار الأنوار: ۴۶ / ۶۱، الخصال: ۴۸۷.

[۲۲۱] الخصال: ۴۸۸.

[۲۲۲] وسائل الشيعة: ۴ / ۹۸۱.

[۲۲۳] وسائل الشيعة: ۴ / ۱۰۷۹.

[۲۲۴] دعوات القطب الراوندى: ۳۴.

[۲۲۵] عن صفة الصفوة: ۲ / ۵۳ وكشف الغمة: ۲ / ۲۶۳.

[۲۲۶] خوالى الأعوام: مواضيها.

[۲۲۷] أمده: غايته.

[۲۲۸] تفسخت: أى تقطّعت وتمزّقت وبطلت، فإنّك فوق نعت الناعتين.

[۲۲۹] الوصلات: وُصلة ـ بالضم ـ وهى ما يتوصل به إلى المطلوب، يعنى أنّه قد فاتتنى الأسباب التى يتوصل بها إلى السعادات الاُخروية إلّا السبب الذى هو رحمتك فانه لا يفوت من أحد، لأنّها وسعت كلّ شيء.

[۲۳۰] عِصَم: جمع عصمة، وهى الوقاية والحفظ.

[۲۳۱] ما أبوء: أقرّ وأرجع.

[۲۳۲] صدف: خرج وأعرض.

[۲۳۳] يصول: من الصولة بمعنى الحملة.

[۲۳۴] تذر: تترك.

[۲۳۵] رميماً: بالياً.

[۲۳۶] حميماً: ماء شديد الحرارة.

[۲۳۷] النكال: العقوبة.

[۲۳۸] الوبال: الوخامة وسوء العاقبة.

[۲۳۹] الصحيفة الكاملة السجادية: الدعاء ۳۲.

[۲۴۰] الإرشاد: ۲۷۲، روضة الواعظين: ۱ / ۲۳۷.

[۲۴۱] بحار الأنوار: ۴۶ / ۹۹.

[۲۴۲] المصدر السابق: ۴۶ / ۹۹.

[۲۴۳] مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۱، ۱۶۲.

[۲۴۴] دعوات الراوندى: ۴.

[۲۴۵] فروع الكافى: ۴ / ۸۸.

[۲۴۶] سبّلنا: أدخلنا.

[۲۴۷] أى: املأه بعبادتنا إيّاك.

[۲۴۸] الصحيفة الكاملة السجادية: الدعاء ۴۴.

[۲۴۹] بحار الأنوار: ۴۶ / ۷۲.

[۲۵۰] سورة النور (۲۴): ۲۲.

[۲۵۱] بحار الأنوار: ۴۶ / ۱۰۳ ـ ۱۰۵.

[۲۵۲] بَرِحَ المكان ومنه: زال عنه.

[۲۵۳] تملقك: التودّد اليك.

[۲۵۴] سريرتی: نيّتی.

[۲۵۵] السَيْب: العطاء.

[۲۵۶] راجع: مفاتيح الجنان «الدعاء المعروف بدعاء أبی حمزة الثمالی».

[۲۵۷] مضّ: آلَم.

[۲۵۸] انسلخ الشهر: مضی.

[۲۵۹] راجع: الصحيفة السجادية «الدعاء فی وداع شهر رمضان».

[۲۶۰] وسائل الشيعة: ۸ / ۵.

[۲۶۱] فروع الكافی: ۴ / ۲۵۲.

[۲۶۲] من لا يحضره الفقيه: ۲ / ۲۰۸ ح ۲۱۶۸.

[۲۶۳] بحار الأنوار: ۹۹ / ۳۸۶ مع اختلاف فی اللفظ.

[۲۶۴] الفصول المهمة: ۱۸۹.

[۲۶۵] حياة الإمام زين العابدين: ۲۲۷.

[۲۶۶] نهاية الإرب: ۲۱ / ۳۲۶.

[۲۶۷] المؤمنون (۲۳): ۱۰۱.

[۲۶۸] الأنبياء (۲۱): ۲۸.

[۲۶۹] الأعراف (۷): ۵۶.

[۲۷۰] بحار الأنوار: ۴۶ / ۱۰۱.

[۲۷۱] مناقب آل أبی طالب: ۴ / ۱۶۳، ۱۶۴، وبحار الأنوار: ۴۶ / ۸۱.

[۲۷۲] بديع السماوات والأرض: مخترعها لا عن مثال سابق، أو أنّ السماوات والأرض بديعة، أی عديمة النظير.

[۲۷۳] لا يعزب: لا يغيب.

[۲۷۴] المحال: الأخذ.

[۲۷۵] سربلنی: قمّصنی، والسربال: القميص.

[۲۷۶] منازلتی ايّاک: أی مراجعتی.

[۲۷۷] عامهاً: العَمَه فی البصيرة كالعمی فی البصر.

[۲۷۸] ولا فی غمرتی: أی إغمائی وغفلتی، ناظراً إلی قوله سبحانه: (فذرهم فی غمرتهم حتّی حين). المؤمنون (۲۳): ۵۴.

[۲۷۹] الصحيفة الكاملة السجادية: الدعاء ۴۷.

[۲۸۰] لا ـ يحفيه سائل: أی لا ـ يستقصيه فی السؤال، إذ كلما سأله شيئاً فما بقی عنده فهو أكثر منه بكثير، بل لا نسبة بينهما، لنهاية

أحدهما ولا نهاية الآخر.

[۲۸۱] عكوفهم: إقامتهم ومواظبتهم.

[۲۸۲] أن عُدْتَ: أى عن أن عدت، وحذف مثله قياسى، و «أن» مصدرية يعنى العود.

[۲۸۳] إنّ هذا المقام: أى مقام صلاة الجمعة أو العيد.

[۲۸۴] لخلفائک: أى الأئمة المعصومين(عليهم السلام)، يعنى هم المستحقّون لذلک، وأن يكون أزمّته بأيديهم، فامّا يجعلونه لأنفسهم كما فى زمن حضورهم وبلد شهادتهم وأمنهم من الضرر، أو يأذنون لمن يرونه أهلًا له عموماً أو خصوصاً، كما فى زمن غيبتهم أو تقيّتهم، وفى غير بلد حضورهم.

[۲۸۵] ومواضع اُمنائک: نصب عطف على «هذا المقام»، و «لخلفائک» متعلق بهذا «المقام»، أو خبر له.

[۲۸۶] قد ابتزوها: الابتزاز والبزّ: السلب والنزع وأخذ الشىء بجفاء وقهر، والعائد للدرجة أو للمواضع أو للمقام باعتبار اكتساب تأنيث الدرجة.

[۲۸۷] الدعاء: ۴۸ من الصحيفة الكاملة السجاديّة.

[۲۸۸] الفرقان (۲۵): ۷۷.

[۲۸۹] فلاح السائل للسيد ابن طاووس: ۲۶، طبعة مكتب الإعلام الإسلامى للحوزة العلمية فى قم المقدسة.

[۲۹۰] الدعاء الخامس من الصحيفة الكاملة.

[۲۹۱] مناجاة الراجين.

[۲۹۲] طَولک: فضلک.

[۲۹۳] ترادُف: تتابع.

[۲۹۴] عوائدک: جمع عائدة وهى المعروف والمنفعة.

[۲۹۵] نشرى: يعنى هنا بسط الحديث بالمدح.

[۲۹۶] جَلّلتنى: غطّتنى، وغمرتنى.

[۲۹۷] كللًا: كلل جمع الكُلّة وهى بيت أو خيمة رقيقة تُضرب للمبيت تمنع من الذباب والبَعوض وإنّما ذلک لأرباب النعمة.

[۲۹۸] لا تُفلّ: لا تثلم.

[۲۹۹] مناجاة الشاكرين.

[۳۰۰] مناجاة المطيعين.

[۳۰۱] البدار: السباق.

[۳۰۲] المآرب: جمع مأرب ومأربة أى الحاجة.

[۳۰۳] ولهى: تحيّرى من شدّة الوجد.

[۳۰۴] صبابتى: شوقى.

[۳۰۵] الرَوح: الفرح والراحة.

[۳۰۶] غلّتى: عطشى الشديد.

[۳۰۷] لوعتى: حرقة حزنى وهواى ووجدى.

[۳۰۸] كرْبتى: همّى وغمى.

[۳۰۹] مناجاة المريدين.

[۳۱۰] خلّتی: حاجتی وفقری.

[۳۱۱] مناجاة المفتقرين.

[۳۱۲] مناجاة العارفين.

[۳۱۳] الخلاء: المكان الفارغ الذی ليس فيه أحد.

[۳۱۴] الملاء: اجتماع الناس.

[۳۱۵] جَنان: القلب.

[۳۱۶] مناجاة الذاكرين.

[۳۱۷] نفس المهموم، المحدّث القمی: ۴۰۸.

[۳۱۸] راجع الفصل الخاصّ بتراثه(عليه السلام).

[۳۱۹] جهاد الإمام السجّاد: ۲۲۴ ـ ۲۲۵.

[۳۲۰] كشف الغمة: ۲ / ۷ ـ ۱۲.

[۳۲۱] أعيان الشيعة: ۱ / ۶۳۶، سيرة علی بن الحسين (عليه السلام) بكاءه علی أبيه.

[۳۲۲] المصدر السابق.

[۳۲۳] بحار الأنوار: ۴۶ / ۱۰۸ عن مناقب آل أبی طالب: ۴ / ۱۷۹ و ۱۸۰ وعن حلية الأولياء: ۳ / ۱۳۸.

[۳۲۴] راجع: ثواب الأعمال: ۸۳.

[۳۲۵] الإمام زين العابدين للسيّد الموسوی المقرّم: ۳۶۰ ـ ۳۶۵، نشـر دار الشبستری للمطبوعات. وفی النص مقاطع أخذها من مصادر اُخری ذكرها فی الكتاب.

[۳۲۶] جهاد الإمام السجاد: ۲۲۰.

[۳۲۷] بحار الأنوار: ۴۶ / ۷۹، باب ۵، ح۷۵.

[۳۲۸] نقش الخواتيم للسيد جعفر مرتضی: ۱۱.

[۳۲۹] مختصر تأريخ دمشق: ۱۷ / ۲۸۴.

[۳۳۰] البقرة (۲): ۲۸۲.

[۳۳۱] النجم (۵۳): ۳ ـ ۴.

[۳۳۲] راجع مصادر وأسانيـد ونصوص هـذا الحـديث الشـريف والمتواتر عنـد الفريقين فی الأعداد ۴ إلی ۹ من مجلـة رسالة الثقلين، وحديث الثقلين، طبعة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، مصر: ۹.

[۳۳۳] القسط: العدل.

[۳۳۴] لا يحيف: لا يميل.

[۳۳۵] جواسی: جمع جاسية وهی الغليظة، والمراد غلاظ الألسنة.

[۳۳۶] الصحيفة السجادية: من دعائه فی ختم القرآن (۴۲).

[۳۳۷] حياة الإمام زين العابدين(عليه السلام): ۲ / ۳۲.

[۳۳۸] حياة الإمام الباقر: ۱ / ۱۱، نقلاً عن الفهرست للشيخ الطوسی: ۹۸.

[۳۳۹] البقرة (۲): ۲۲.

[۳۴۰] الحمأ: شدّة حرارة الشمس.

[٣٤١] تعطبكم: أى تهلكم.

[٣٤٢] المتانة: ما صلب من الأرض وارتفع.

[٣٤٣] الأوهاد: الأرض المنخفضة.

[٣٤٤] الهطل: المطر الضعيف الدائم.

[٣٤٥] عيون أخبار الرضا: ٢ / ١٢٥ ـ ١٢۶. طبعة مؤسسة الاعلمى ـ بيروت.

[٣۴۶] البقرة (٢): ٢٠٨.

[٣۴٧] تفسير البرهان: ١ / ١٢٩.

[٣۴٨] التوبة (٩): ١٠۵.

[٣۴٩] تفسير البرهان: ١ / ۴۴١، تفسير الصافى: ٢ / ٣٧٢ ـ ٣٧٣.

[٣۵٠] المعارج (٧٠): ٢۴ و ٢۵.

[٣۵١] لآلئ الأخبار: ٣ / ٣، وسائل الشيعة: ۶ / ۶٩.

[٣۵٢] الحجر (١۵): ٨۵.

[٣۵٣] وسائل الشيعة: ۵ / ۵١٩.

[٣۵۴] بحار الأنوار: ٢٢ / ۴٧٠.

[٣۵۵] المصدر السابق: ٢٣ / ١١٩.

[٣۵۶] التوحيد للشيخ الصدوق: ٣۶۶ ـ ٣۶٧ منشورات جامعة المدرّسين فى الحوزة العلمية فى قم المقدسة، الطبعة السادسة.

[٣۵٧] حياة الإمام زين العابدين: ٣٠۴.

[٣۵٨] معجم أحاديث الإمام المهدى (عج): ٣ / ١٩٠.

[٣۵٩] المصدر السابق: ٣ / ١٩١.

[٣۶٠] المصدر السابق: ٣ / ١٩٣.

[٣۶١] معجم أحاديث الإمام المهدى (عج): ٣ / ١٩۴.

[٣۶٢] المصدر السابق.

[٣۶٣] فى الكنى والألقاب للشيخ عباس القمى: ١ / ۶٠ قال: «قال الفضل بن شاذان: ولم يكن فى زمن علىّ بن الحسين(عليه السلام) فى أول أمره إلّا خمسة أنفس: سعيد بن جبير، سعيد بن المسيّب، محمد بن جبير بن مطعم، يحيى بن اُم الطويل، أبو خالد الكابلى واسمه وردان ولقبه كنكر. ثم قال: وفى خبر الحواريّين أنّه من حوارى علىّ بن الحسين(عليه السلام) وقد شاهد كثيراً من دلائل الأئمة(عليهم السلام).

[٣۶۴] الاحتجاج: ٢ / ۴٨ ـ ۵٠ احتجاجات الإمام علىّ بن الحسين (عليه السلام).

[٣۶۵] راجع ترجمة الإمام زين العابدين (عليه السلام) من تاريخ دمشق، تحقيق محمد باقر المحمودى: ٢٧.

[٣۶۶] تأريخ دمشق: ٣۶ / ١۶، بحار الأنوار: ۴۶ / ٧.

[٣۶٧] النساء (۴): ٩٢.

[٣۶٨] الظهار: أن يقول الرجل لزوجته: أنت علىّ كظهر اُمّى.

[٣۶٩] المجادلة (۵٨): ٣ ـ ۴.

[٣٧٠] المائدة (۵): ٨٩.

[۳۷۱] البقرة (۲): ۹۶.

[۳۷۲] البقرة (۲): ۱۹۶.

[۳۷۳] المائدة (۵): ۹۵.

[۳۷۴] المقنعة، الشيخ المفيد: ۳۶۳.

[۳۷۵] الاعتكاف إنّما يجب بعد مضى يومين منه فيتعيّن اليوم الثالث، وكذلك يجب بالنذر وشبهه.

[۳۷۶] أيام التشريق: هى أيام منى وهى الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر بعد يوم النحر.

[۳۷۷] صوم الوصال: وهو أن يصوم الليل والنهار، وحرمته حرمة تشريعية.

[۳۷۸] صوم الصمت: هو أن يمسك الإنسان فيه عن الكلام، وقد كان الكلام محرّماً على الصائم فى الشرائع السابقة، كما أعلن القرآن ذلك فى قصة مريم، قال تعالى: (إنّى نذرت للرحمن صوماً فلن أُكلِّم اليومَ إنسيّاً)إلاّ أنّه نسخ فى الشريعة الإسلامية المقدسة.

[۳۷۹] الأيام البيض: وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وسمّيت لياليها بيضاً لأنّ القمر يطلع فيها من أولها الى آخرها. جاء ذلك فى مجمع البحرين (مادة: بيض).

[۳۸۰] فروع الكافى: ۱ / ۱۸۵، الخصال: ۵۰۱ ـ ۵۰۴، تفسير القمّى: ۱۷۲ ـ ۱۷۵، المقنعة: ۵۸، التهذيب: ۱ / ۴۳۵.

[۳۸۱] الدعاء ۵۱ من الصحيفة الثانية التى جمعها الشيخ الحرّ العاملى.

[۳۸۲] دعاءه لأهل الثغور فى الصحيفة الكاملة أو الجامعة.

[۳۸۳] تأريخ الأدب العربى فى ضوء المنهج الإسلامى: ۳۵۳.

[۳۸۴] الاحتجاج للطبرسى: احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السلام).

[۳۸۵] سبأ (۳۴): ۱۸.

[۳۸۶] الطلاق (۶۵): ۸.

[۳۸۷] الكهف (۱۸): ۵۹.

[۳۸۸] يوسف (۱۲): ۸۲.

[۳۸۹] الاحتجاج ۲: احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السلام).

[۳۹۰] الاحتجاج للطبرسى: احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السلام).

[۳۹۱] الاحتجاج: احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السلام).

[۳۹۲] الاحتجاج: احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السلام).

[۳۹۳] تحف العقول لابن شعبة الحرّانى: ۱۸۲ ـ ۱۸۴ / ط. مؤسسة الأعلمى ـ بيروت.

[۳۹۴] الحُطام: القشر، والمعنى: أنّ ما فيها من مال كثير أو قليل يغنى ولا يبقى.

[۳۹۵] الهامد: اليابس.

[۳۹۶] القرار: ما قُرّ فيه أى فعل فيه السكن أو السكون.

[۳۹۷] تصريف أيامها: تحوّلها من وجه إلى وجه.

[۳۹۸] خليط: مُخالط، مُجالس.

[۳۹۹] المؤمنون (۲۳): ۹۹ و ۱۰۰.

[۴۰۰] ابراهيم (۱۴): ۱۴.

[۴۰۱] البلد (۹۰): ۸ ـ ۱۰.

[۴۰۲] يجأرون إلى ربّهم: يتضرّعون اليه تعالى.

[۴۰۳] القِداح: مفردها قِدْح وهو السهم قبل أن يُنصل ويُراش.

[۴۰۴] كل ما جاء تحت هذا العنوان نقلناه عن تحف العقول ۲۰۰ ـ ۲۰۵.

[۴۰۵] خطراً: قدراً وشرفاً.

[۴۰۶] الحديد (۵۷): ۲۳.

[۴۰۷] أسبغكم: أوسعكم.

[۴۰۸] الدثار: ما يتغطّى به النائم.

[۴۰۹] فى كنف الله: فى حرزه ورحمته.

[۴۱۰] ابراهيم (۱۴): ۳۴.

[۴۱۱] حياة الإمام زين العابدين: ۴۷۷.

[۴۱۲] الخصال: ۵۶۴ ط. مؤسسة النشر الإسلامى.

[۴۱۳] والظاهر تصحيفه، والصواب كما سيأتى فى تفصيله(عليه السلام) هذه الحقوق (حقّ مولاك الجارية نعمتك عليه).

[۴۱۴] الشورى (۴۲): ۴۱.

[۴۱۵] منهم العلّامة السيد حسن القبانچى فقد شرحها فى جزئين كبيرين باسم: شرح رسالة الحقوق.

[۴۱۶] حياة الإمام زين العابدين: ۳۷۳ ـ ۳۷۴.

[۴۱۷] راجع فصل: من علوم الإمام (عليه السلام)، حقائق علميّة فى الأدعيّة السجّادية.

[۴۱۸] نقلاً عن مقدمة السيد الشهيد محمد باقر الصدر على الصحيفة السجّادية الكاملة.

[۴۱۹] حياة الإمام زين العابدين: ۳۷۵، وراجع شجرة طرق أسانيد الصحيفة السجادية المطبوعة فى مؤسسة الإمام المهدى (عليه السلام) بإشراف السيد الأبطحى.

[۴۲۰] حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام): ۱۹۰.

[۴۲۱] حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام) السيد جعفر شهيدى: ۱۹۱.

[۴۲۲] راجع مقدمة الصحيفة السجّادية الجامعة.

[۴۲۳] راجع مقدمة السيد الشهيد محمد باقر الصدر للصحيفة السجّادية.

[۴۲۴] من مقدمة السيد الشهيد محمد باقر الصدر للصحيفة السجّادية.

[۴۲۵] اُصول الكافى: ۱ / ۳۵.

[۴۲۶] حياة الإمام زين العابدين: ۲۳.

[۴۲۷] الدرّ النظيم: ۱۷۳.

[۴۲۸] راجع ترجمته بالتفصيل فى حياة الإمام زين العابدين: ۵۲۲ ـ ۵۲۷.

[۴۲۹] المصدر السابق: ۵۲۹.

[۴۳۰] راجع تفصيل البحث عن رواة حديث الإمام وتلامذته (حياة الإمام زين العابدين: ۵۱۷ ـ ۵۸۷).

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقَافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَةِ

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.


مرکز
القائمیه
اصفهان
للبحوث والتحریات الکمبیوتریة
WWW
للحصول علی المکتبات الخاصه الاخری
ارجعوا الی عنوان المـرکز من فضلـکم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلکم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹